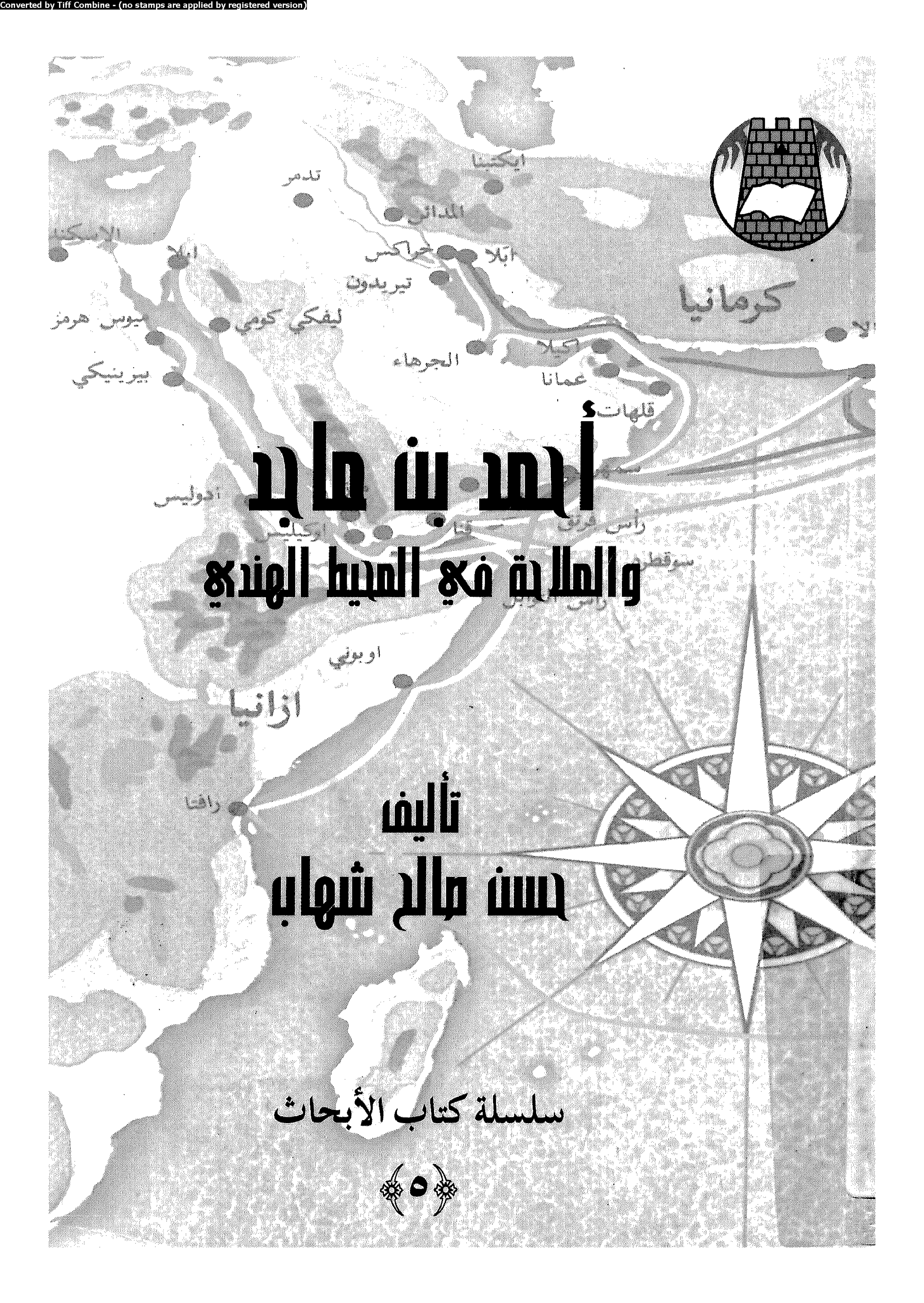
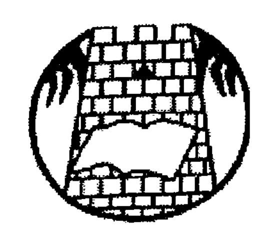

أحمد بن ماجد
والملاحة في المحيط الهندي
تأليف
حسن صالح شهاب
سلسلة كتاب الأبحاث
(٥)
كرمانيا
ازانيا
تدمر
ايكبتنا
المدائن
تيريدون
ليفكي كومي
الجرهاء
عمانا
بيرينيكي
ادوليس
اوبوني
رافتا




الله
بسم الله الرحمن الرحيم





أحمد بن ماجد
والملاحة في المحيط الهندي

تأليف : حسن صالح شهاب

سلسلة كتاب الأبحاث

(٥)



١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الثانية

رقم الإيداع لدى وزارة الإعلام والثقافة

٤٥٨ بتاريخ ٢٠/١/٢٠٠١م

ش هـ أ
٩١٠.٩٢

أحمد بن ماجد

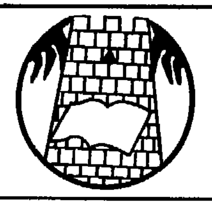
والملاحة في المحيط الهندي

تأليف : حسن صالح شهاب

إصدار مركز الداسات والوثائق

رأس الخيمة - الإمارات العربية المتحدة

مقاس : ١٧ × ٢٤ ص: ١٧٢



مـركـز الـدراسـات والـوثـائـق

ص.ب: ١٥٥٩ - رأس الخيمة - الإمارات العربية المتحدة

هاتف : ٢٣٣١١١١ - ٧ - ٠٠٩٧١ - فاكس : ٢٣٣١٠٠٠ - ٧ - ٠٠٩٧١

DOCUMENTARIES & STUDIES CENTRE

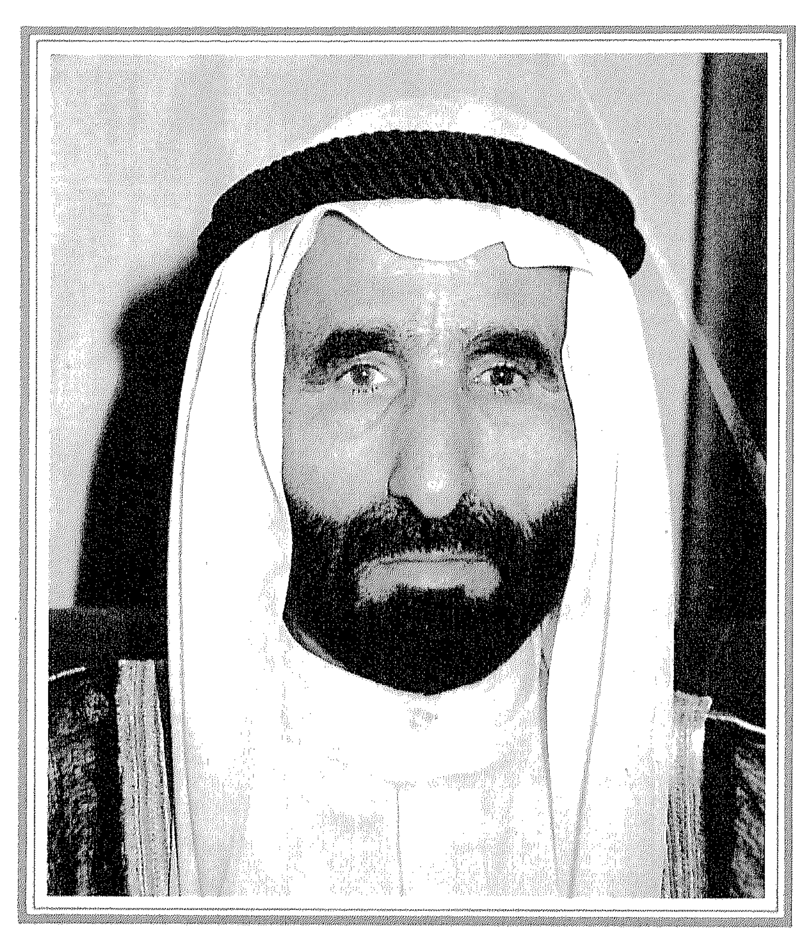
Tel.: 00971 - 7 2331111 - Fax : 00971 - 7 - 2331000

P.O.Box : 1559, Ras Al Khaimah, U.A.E.

E-mail: dscgrak@emirates.net.ae

www.dsc_amiricourt.com





صاحب السمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي

حاكم إمارة رأس الخيمة





سمو الشيخ خالد بن صقر القاسمي

ولي العهد ونائب الحاكم



مقدمة الطبعة الثانية

يسرني وأنا أضع مقدمة الطبعة الثانية لكتاب (أحمد بن ماجد والملاحة في المحيط الهندي) أن أشير إلى الاهتمام الذي ناله الكتاب عند جميع الباحثين والمهتمين بالتاريخ عامة وتاريخ الإمارات خاصة ، ولابد أن أنبه إلى أنه قد نفدت الطبعة الأولى لكثرة الطلب عليها لأن مرجعية أبحاث الكتاب كانت مجموعة مصادر قيمة وذات خصوصية علمية فريدة لأن علم الملاحة يومها لم يكن معروفاً عند العرب فقلة التأليف في هذا المجال وندرة التوثيق جعلت من الوثائق والمراجع العربية والأجنبية مهمة للغاية ،فاجتهد المؤلف اجتهاداً كبيراً للحصول عليها ، ولا أغالي إذا قلت أن المؤلف ممن شهد لهم بالدقة والشمول في كتاباته التاريخية القيمة التي جعلت منه بحق المؤرخ العربي الوحيد الذي نال قصب السبق في ترجمة كثير من الوثائق التي تخص منطقة الخليج العربي وبالأخص منطقة الإمارات العربية المتحدة ونتيجة لذلك كان على مركزنا* أن يتعهد بالرعاية والمتابعة لمثل هذه الأبحاث القيمة وذلك في شكل إصدارات محكمة طبعت خصيصا لإثراء المكتبة العربية في وقت قل فيه العطاء والتأليف . وتأتى هذه الأبحاث لتضع السيرة الحافلة - للعالم العربي المسلم أحمد بن ماجد ابن مدينة جلفار رأس الخيمة حالياً - بين أيدي المهتمين والباحثين بتراث هذه الأمة العربية التي أنجبت فطاحلة العلوم قاطبة فكانوا بمثابة النبراس والنور الذي أنار مسالك الحضارة التي انبهرنا بها رغم أنها من بنات أفكار علمائنا الأجلاء . أملنا كبير في أن تحظى هذه الإصدارات بالقبول الحسن من لدن الباحثين والدارسين .

والله نسأل أن يرزقنا السداد في القول والإخلاص في الفكر والعمل .

مدير المركز

د/ علي عبدالله فارس

* مركز الدراسات والوثائق بالديوان الأميري رأس الخيمة



بســم اللــه الــرحمــن الــرحيــم

تقــديـــم

حظي التراث العلمي العربي لمنطقة الخليج العربي ببالغ الاهتمام لدى مركز الدراسات والوثائق بالديوان الأميري برأس الخيمة وذلك بتوجيه من صاحب السمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى لدولة الإمارات العربية المتحدة حاكم إمارة رأس الخيمة وبرعاية سمو الشيخ خالد بن صقر القاسمي ولي العهد نائب الحاكم وإشراف الشيخ سعود بن صقر القاسمي رئيس الديوان الأميري .

فكان من أولويات ذلك الإهتمام العمل على إحياء تراث عالم البحار العربي شهاب الدين أحمد بن ماجد ، ابن جلفار (رأس الخيمة) بدولة الإمارات العربية المتحدة ، فعمل المركز على جمع مؤلفات هذا العالم الجليل وإصدار المؤلفات التي تبحث في علومه وسيرته .

ويأتي هذا المؤلف الذي بين أيدينا ضمن سلسلة من الإصدارات المخصصة لإحياء تراث ابن ماجد ، تأتي تباعاً لتحيط بنتاج هذا العالم العربي وتضعها محققة مدروسة بين أيدي الباحثين والدارسين والمهتمين بالعلوم العربية وبالتراث الفكري والعلمي العربي .

ونأمل أن يلقي هذا الكتاب ضوءاً على جانب مهم من السيرة الحياتية لإبن ماجد الذي يمثل لنا إرثاً حضارياً عربياً وفكراً إنسانياً نعتز به ونفخر .

والله الموفق

أحمد جلال التدمري

مدير مركز الدراسات والوثائق

سابقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في سنة ١٩١٢م عثر المستشرق الفرنسي المعروف (جابريل فيرّان) Gabriel Ferrand ، وزميل له يدعى (جودفراي ديمومبيني) Gaudefray Demombyne على مخطوطين عربيين في علم الملاحة ، في المكتبة القومية بباريس . أحدهما يضم «كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد» لشهاب الدين أحمد بن ماجد ومجموعة من منظوماته . ويضم المخطوط الآخر خمسة من مؤلفات سليمان بن أحمد المهري هي : «رسالة قلادة الشموس» وكتاب «تحفة الفحول في تمهيد الأصول» و«العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية» و«المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر» و«شرح تحفة الفحول» ، مع ثلاثة من منظومات ابن ماجد .

وقام (فيران) بدراسة هذين المخطوطين ، وفي سنة ١٩٢٣م نشرت صورة فوتوغرافية للمخطوط الأول الذي يضم مؤلفات ابن ماجد ومنظوماته ، وفي سنة ١٩٢٥م نشرت صورة المخطوط الثاني[1] ، وأثناء هذه الفترة نشر لـ (فيران) عدد من البحوث والدراسات في علم الملاحة والفلك البحري عند العرب .

وكان (فيران) ينوي قبيل وفاته في سنة ١٩٣٥ دراسة مخطوطة كان (كراتشكوفسكي) أستاذ المستشرقين السوفييت ، قد عثر عليها في سنة ١٩١٩م بين

مخطوطات معهد الدراسات الشرقية بلينجراد ، تضم ثلاث من أراجيز ابن ماجد هي : «السُّفالِيّة» و«المُلعَقِيّة» و«التائية» . وهذه الأراجيز هي التي قام (تيودور شوموفسكي) فيما بعد بتحقيقها ، ونشرها المجمع العلمي السوفييتي في سنة ١٩٥٧م[٢] .

هذه الدراسات لآثار ابن ماجد وسليمان المهري ، ونشرها في اوروبة ، لفتت انتباه المهتمين بدراسة تراث العرب العلمي من المستشرقين ، وأضافت إلى ما عرفوه من هذا التراث لوناً كان مجهولاً قبلها ، هو التراث الملاحي . وبفضلها عرف المثقفون الغربيون ابن ماجد ، كأمهر ملاح عرفه المحيط الهندي في القرن الخامس عشر الميلادي ، قبل أن يعرفه من اطّلع على هذه الدراسات من المثقفين العرب . أما البحارة العرب فلم ينسوا ابن ماجد .

وبدأت تظهر في الستينات مقالات ، في بعض المجلات والصحف العربية ، تلفت نظر القارىء العربي ، إلى هذا التراث ، وتتغنّى بما كان للعرب من نشاط بحري واسع ، وعلم بأساليب الملاحة في البحار الخطرة . وظهرت بعدها محاولات لدراسة هذا النشاط ، وقواعد علم الملاحة عند العرب ، من خلال دراسة المرشدات الملاحية ، النثرية منها والنظمية . غير أن الألفاظ والمصطلحات البحرية التي كتبت بها هذه المرشدات حالت دون فهم كثير من المسائل الفنية الدقيقة فيها ، مما أدى إلى حدوث أخطاء ، ليس فقط في هذه المحاولات العربية ، وإنما في المحاولات الغربية أيضاً .

وعلى الرغم من ظهور عدد لا بأس به من الكتب في مختلف جوانب تراثنا البحري ، خلال الخمس سنوات الأخيرة ، إلا ان قواعد علم الملاحة ، بوجه خاص ، لا تزال عسيرة الفهم ، لا يصبر على متابعة شرحها الدقيق الجاف غير الباحث المهتم بدراستها ، أما القارىء العادي فلا صبر له على ذلك .

وفي هذا الكتاب الذي سنحاول فيه مرافقة ابن ماجد في رحلتين من أهم رحلاته ، هما (المَعلقيّة) و(السُّفالِيّة) ، يوجد كثير من المصطلحات الملاحية ، التي بدون فهمها فهماً صحيحاً تتعذر متابعة هاتين الرحلتين ، ثم التعرّف من خلالها

على اسلوب ابن ماجد في الملاحة . ومن أجل تيسير فهم هذه المصطلحات كررت شرحها ـ كما سيلاحظ القارىء ـ عدة مرات . كما استعنت بخرائط لتوضيح اتجاهات طريقي هاتين الرحلتين ، وعروض المراسي وغيرها بأصابع قياسات النجوم ، التي نشر بعضها في كتابي «فن الملاحة عند العرب»[٣] .

واخترت هاتين الرحلتين ، من بين رحلاته ، لأنهما تقطعان المحيط الهندي ، من أقصاه في المشرق إلى أقصاه في المغرب . وفي كتابي «فن الملاحة عند العرب» شرحت رحلته في البحر الأحمر ، أخطر بحار العالم بالنسبة للملاحة . وشرحت رحلته في الخليج العربي في كتابي «طرق الملاحة التقليدية في الخليج العربي»[٤] .

ومن الملاحظ أن جميع ما عُرف من منظومات ابن ماجد الملاحية يوجد بها ـ للأسف ـ كثير من التصحيف ، والتحريف ، والاسقاط ، الذي ربما حدث عن سهو من الناسخ ، أو قراءة خاطئة ، أو رواية غير سليمة للأصل . فما استطعت معرفته من الكلمات الساقطة ، أو المصحفة أثبته في موضعه من البيت . وما لم يتضح لي منها وضعت نقطاً في موضعه .

في الختام أرجو أن أكون قد وفقت ، في هذا الكتاب ، إلى إضافة جهد موفق في سبيل تيسير فهم تراثنا العلمي البحري للقارىء .

وبالله التوفيق

٨ ابريل ١٩٨٨م　　　　　　　　　　　　المؤلف

تمهيد

نشاط العرب البحري في المحيط الهندي

من المعلوم أن الموقع الجغرافي المتوسط بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط لشبه الجزيرة العربية والمياه المحيطة بها ، قد جعل منها معبراً للتجارة الدولية بين الشرق والغرب ، منذ أن عرفت شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط توابل الهند وطيوب بلاد العرب . وأن التجارة البحرية منها لا زالت ، حتى الآن ، تنقل عبر الطريقين البحريتين التقليديتين حول شبه الجزيرة : طريق البحر الأحمر وطريق الخليج العربي . ومن المعلوم أيضاً أنه كان للعرب دور كبير في نقل هذه التجارة والمشاركة فيها ، براً وبحراً ، وأن البحري منه استمر حتى دخول الأساطيل البرتغالية مياه المحيط الهندي ، عبر طريق رأس (الرجاء الصالح) في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي .

وأقدم وثيقة مكتوبة موثوق بها يُستدل بها على قدم مساهمة العرب في التجارة والملاحة في المحيط الهندي هي تلك الوثيقة اليونانية ، التي ترجع ـ على رأي الأغلبية ـ إلى القرن الأول الميلادي[1] ، وهي عبارة عن تقرير عام عن سواحل وموانىء وتجارة ما كان يسمى عند اليونان والرومان بـ(البحر الأريتري) The Periplus of the Erythraean Sea[2] ، و(البحر الأريتري) في الخرائط اليونانية

والرومانية يشمل الجزء الغربي من المحيط الهندي[٣] ، لكن التقرير يشمل سواحل الجزء الشرقي من المحيط الهندي أيضاً .

ويصف التقرير جميع سواحل شبه الجزيرة العربية ، مبتدئاً من ساحلها الغربي على البحر الأحمر : فبأقصى الجنوب من هذا الساحل وجد صاحب التقرير ميناء ومدينة (موزا) MUZA[٤] مزدحمة بالتجار وأصحاب السفن والبحارة العرب ، وهم في شغل شغال بشئون التجارة ، ولهم تجارة واسعة مع ما أسماه بـ (الساحل الأوساني) The Ausanitic Coast ، الذي يشمل - كما حدده التقرير - ساحلي (كينيا) و(تنزانيا) ، وكان في أيامه خاضعاً للملك (ظفار) الحميري (كرب ال) Charibael . وآخر ميناء للعرب على الساحل الأوساني ميناء أسماه (ربطه) Rhapta ، وأهل (موزا) أو (موزع) يحكمون هذا الميناء نيابة عن أمير أوشيخ (المعافر) The Mapharitic Chief الخاضع للملك الحميري (كربئيل) ، ويرسلون إلى هناك كثيراً من السفن الكبيرة عليها ربابنة ووكلاء من العرب يعرفون الساحل ويألفون سكانه ويتزوجون منهم ويعرفون كل قراهم ولغاتهم[٥] . كما وجد لموزع علاقة تجارية باقليم أسماه (باريجازا) Barygaza بالهند وهو - حسب تحديده له - في موقع اقليم (جوزرات) بشمال ساحل الهند الغربي[٦] .

وعلى بُعد حوالي ألف ومائتي (اصطاديا) Stadia (حوالي ١٣٨ ميلاً)[٧] من مضيق باب المندب في اتجاه المشرق تأتي (العربية السعيدة) Arabia Eudaeaman وهي في أيامه قرية على مدخل خليج يتراجع منه الساحل إلى داخل البر[٨] وسميت بالسعيدة لأنها كانت في أيامها الخوالي ، عندما كان السفر من مصر إلى الهند مباشرة لم يتحقق بعد ، وعندما كانوا لا يجرؤون على الإبحار إلى ما خلف المحيط من الموانىء ، وإنما كانوا يأتون جميعهم إليها - كانت تتلقى السلع من مصر والهند ، تماماً مثلما تتلقى (الإسكندرية) في أيامه السلع الواردة من خارج مصر وداخلها[٩] .

وبعد ألفي (اصطاديا) أو أكثر من (العربية السعيدة) في اتجاه المشرق تأتي (قنا) Cana[١٠] ، ميناء مملكة حضرموت أو - كما أسماها - بلاد اللبان ، وكان ملكها في أيامه (إليزوس) ELEAZUS ، وينقل اللبان إلى (قنا) على الأطواف المشدودة

إلى القرب المنفوخة ، وعلى القوارب . ولها علاقة تجارية مع شرقي افريقيا و(باريجازا) بالهند و(سكيثيا) Scythia وهي السند[١١] ومع فارس[١٢] .

وبعد قطع حوالى ألف وخمسمائة (اصطاديا) من (قنا) ، نحو المشرق ، يأتي ميناء (موسكا) Mouscha[١٣] وهو تابع لملك بلاد اللبان ، وله علاقة تجارية بحرية مع الهند والسند وشرقي افريقيا[١٤] .

وفي الخليج العربي يقول أن ميناء (أبولوجوس) (الأبله) على رأس الخليج يستقبل السلع التجارية من البحر والبر[١٥] . ويبدو أن النفوذ الفارسي في الخليج آنذاك قد حال بين صاحب تقرير (بريبلس) وزيارة الموانىء على الساحل العربي فيما بين عمان جنوباً و(الأبله) شمالاً . لكنه يصف بعد قطع مدخل الخليج بلداً أسماه (عمّانه) Ommana وهو ، حسب وصفه ، في موقع (كرمان) جنوبي فارس ، ويجعله بعضهم في موقع (جُلّفار) على الساحل العربي[١٦] . وكان في أيام (بريبلس) يصدر التمر والقوارب المخيطة إلى الموانىء المجاورة له من بلاد العرب[١٧] .

ذلك موجز ما ورد في تقرير (بريبلس) عن الموانىء العربية ونشاط أهلها التجاري والملاحي في القرن الأول أو الثاني الميلادي . وليست ثمة أدلة كافية تمكننا من تحديد بداية هذا النشاط إلاّ أن اتساعه في أيام (بريبلس) يجعل القول بمواكبة هذه البداية لبداية معرفة أقطار حوض البحر الأبيض المتوسط لتوابل وطيوب بلاد العرب وعاج شرق افريقيا أمراً محتملاً .

ولم يشر (بريبليس) إلى تأثر نشاط العرب البحري بتدخل السفن التجارية اليونانية والرومانية في المحيط الهندي ، وقيامها برحلات مباشرة بين مصر والهند على الرغم من ازدياد عدد هذه الرحلات في أيامه ، خاصة بعدما زعم من اكتشاف (هيبالوس) للرياح الجنوبية الغربية الموسمية والسفر بها في عرض المحيط من ساحل بلاد العرب الجنوبي إلى الهند رأساً[١٨] .

ويقال أن الملاحة اليونانية والرومانية المباشرة بين مصر والهند ظلت مزدهرة منذ عهد (أغسطس) إلى العقود الأولى من القرن الثالث الميلادي ، ثم أخذت بعد ذلك فى التقلص نتيجة للضعف والتفكك الذي اعترى كيان الامبراطورية

الرومانية ، حتى غدت السفن البيزنطية لا تتعدى موانىء بلاد العرب الجنوبية ، والموانىء المجاورة لها من شرق افريقيا[19] . وفي اعتقادي أن سبب توقف الرحلات الرومانية المباشرة بين مصر والهند يرجع إلى أنها كانت حَوليَّة طويلة إضافة إلى مخاطرها[20] بخلاف الرحلات بين مصر وموانىء بلاد العرب ، فإنها كانت رحلات قصيرة يمكن القيام بها مرتين في العام الواحد ، ويمكن لأصحابها أن يكسبوا منها أضعاف ما يكسبه أصحاب الرحلات الحولية .

وفي القرن الرابع الميلادي يصف شاهد عيان الخليج العربي بكثرة السفن العربية فيه ، وبأن (تريدون) ، وهي في موقع (البصرة) الآن ، كانت منتهى رحلات هذه السفن ، وأن العرب يسيطرون في الخليج على ثروات البر والبحر ، ولهم فيه مراسي منيعة[21] .

وفي عهد خضوع اليمن لسيطرة الأحباش حلفاء (بيزنطه) (٥٢٥ ـ ٥٧٥م)[22] ازدهرت الملاحة والتجارة البحرية الرومانية في البحر الأحمر ، بعد تدهور تجارة القوافل البرية بين اليمن والشام ، ومحاولة الأحباش ، بإيعاز من حلفائهم الروم ، تحويل هذه التجارة إلى البحر الأحمر والموانىء التي يسيطرون عليها[23] . إلّا أن الملاحة والتجارة البحرية في المحيط الهندي بقيت بيد العرب والهنود ، وإن لم توجد وثائق كتابية تثبت ذلك ، فهناك شواهد وجيهة يمكن الاستدلال بها ، منها انتشار الإسلام عقب ظهوره بفترة قصيرة في المستوطنات التجارية العربية على طول الشريط الساحلي والجزر المجاورة له من شرق افريقيا ، وفي الموانىء التي توجد بها جاليات تجارية عربية ، من ساحل الهند الغربي والجزر المجاورة له[24] . ومنها الهجرات من المناطق الفقيرة من ساحل بلاد العرب الجنوبي ، التي وصلت إلى شرق افريقيا قبل (بريبلس) بزمن طويل ، ومع الرحلات التجارية البحرية الأولى بين بلاد العرب وشرق افريقيا ، ولم تنقطع إلا منذ عهد قريب جداً . فهذه الهجرات كانت تجري بالطبع بواسطة السفن العربية .

ويؤكد العثور على ضريح أحد المسلمين إسمه (سلم بن صالح) في (روديسيا) بإفريقية الجنوبية ، توفي سنة ٧٠٣م[25] على وصول الإسلام إلى هذه

البقعة البعيدة من إفريقية عقب ظهوره في جزيرة العرب بفترة قصيرة . ويتضح من إسمه أنه من بلاد العرب الجنوبية . هذا إلى أن المستوطنات التجارية العربية على الشريط الساحلي والجزر المجاورة له من شرق إفريقية ظلت مرتبطة منذ تأسيسها ببلاد العرب ، ولم يعرف أن أحداً انتزع تجارتها البحرية من يد العرب . وليس كل من قام برحلة في زمن ما في سفينة هندية أو صينية أو غيرها ، ولم يذكر السفن العربية ، يصح قوله دليلاً على توقف نشاط العرب البحري في ذلك الزمن .

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب بدأت السفن العربية في الخليج غاراتها على ساحل السند[٢٦] . وباتساع رقعة الدولة الإسلامية في عهد بني أمية ، واستتباب الأمن والاستقرار في ربوع الشام والعراق ازدهرت التجارة فيها ، فاتسعت تبعاً لذلك حركة الملاحة والتجارة البحرية في كل من الخليج العربي والبحر الأحمر . وأراد الحجاج بن يوسف الثقفي أن يشجع في الخليج صناعة السفن المقيّرة ، ذوات الغاطس العريض كسفن البحر الأبيض المتوسط ، بدلاً من السفن العربية المخرّزة بخيوط من القنبار[٢٧] ذوات الجؤجؤ فلم تنجح محاولته ولم يكتب للسفن المسمارية التي أجراها البقاء طويلاً في الخليج[٢٨] . ولعل كثرة حوادث عطب وغرق السفن ذوات الجؤجؤ برأس الخليج ، بسبب سهولة انغراز قاعدتها الحادة في المضاحل المنتشرة هناك هي السبب الذي جعل الحجاج يشجع استخدام السفن المسمّرة ذوات القاعدة العريضة التي تمكنها أن تطفو على المياه الرقيقة وعبور المضاحل الخطرة . وفي وصف هذه المضاحل يقول المقدسي (عاش نحو ٩٨٥م) : «ثم الخشبات التي تنسب إلى البصرة ، وهي الطامة الكبرى ، مضيق وبحر رقيق . وقد نُصبت في البحر جذوع عليها بيوت ، ورتب فيها قوم يوقدون بالليل حتى تتباعد عنها المراكب من رقة تلك المواضع[٢٩] » .

واستمر نشاط العرب الملاحي في المحيط الهندي في الاتساع ، حتى أصبحت شبكة خطوطه البحرية تغطي المحيط الهندي والبحار المتفرعة منه ، في العصر العباسي ، ووصلت أطرافها الشرقية إلى ساحل الصين الجنوبي ، وأطرافها الغربية إلى ساحل شرقي إفرقية الجنوبية . وكانت السفن إذا أرادت السفر إلى الصين تسير بعد خروجها من الخليج إلى (صحار) أو (مسقط) على ساحل عمان ثم تنطلق في

اتجاه الجنوب الشرقي بمساعدة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية إلى ميناء (كولم) بالمليبار من ساحل الهند الغربي ، ثم تساير البر الهندي إلى جزيرة (سيلان) ، ومن هناك تنطلق في اتجاه الشرق إلى شبه جزيرة (ملقا) وتخرج من مضيق (ملقا) إلى (سنغفوره) ، ومنها تتجه إلى الصين حيث تلقي مراسيها في ميناء (كانتون)(٣٠) . وإذا أرادت السفر إلى شرقي إفريقية الجنوبية فإنها تنطلق من عمان في اتجاه الجنوب الشرقي بمساعدة الرياح الموسمية الشمالية الشرقية إلى جزيرة (قنبلوا) (مدغشقر) أو إلى (سفالة) على الساحل المقابل لهذه الجزيرة من ساحل شرقي افريقيا الجنوبية . ويخبرنا المسعودي (توفي ٩٥٦م) أنه سافر من (قنبلو) إلى (صحار) بعمان مباشرة(٣١) . وإذا لم تعرج سفينة المسعودي على أحد المراسي الافريقية أو الجزر الواقعة على الخط البحري لهذه الرحلة كجزر (زرين) (سيشل) ، مثلاً ، فإن هذا الخط يعتبر أطول خط بحري عُرف للملاحة البحرية الشراعية ، إذ يبلغ طوله طول الخط البحري الذي يقطع المحيط الأطلسي بين (لشبونة) عاصمة البرتغال ، و(نيويورك) تقريباً . ولا نجد لهذا الخط البحري الطويل المباشر ، أو ما يماثله ، ذكراً لا عند ابن ماجد ولا سليمان المهري .

أما من البحر الأحمر وموانىء اليمن الجنوبية فكانت السفن تنطلق إلى ساحل الهند الغربي من (رأس فرتك) أو من (ساجر) إلى الشرق من (فرتك) ، وأحياناً تساير البر العربي إلى (ظفار) ثم تنطلق في عرض البحر العربي إلى (جوزرات) ، الجزء الشمالي من ساحل الهند الغربي . ومن هناك تسلك نفس الطريق ، السالفة الذكر ، إلى جزر الهند الشرقية والصين . وإذا أرادت السفر إلى شرقي افريقيا الجنوبية ، فإنها تساير ساحل الصومال المقابل لبلاد العرب إلى (حافون) ، جنوبي (رأس جردفوي)(٣٢) . ومن هناك تسير بالرياح الشمالية الشرقية إلى مراسي ساحل شرقي افريقيا الجنوبية ، والجزر المجاورة له(٣٣) .

وتؤكد مشاهدة الرحالة ابن بطوطة (١٣٠٤ ـ ١٣٧٨م) للسفن العربية في الموانىء الهندية و(بنجاله) (بنجلادش حالياً) ، وشرقي افريقيا الجنوبية ، في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي ، أن نشاط العرب الملاحي لم ينقص كثيراً عن المستوى الذي وصل إليه في العصر العباسي أيام المسعودي(٣٤)

كما يتضح لنا من «الحاوية» ، أول وأطول أراجيز ابن ماجد ، أن شبكة خطوط الملاحة العربية القديمة لم تنقص منها غير أطرافها الشرقية ، بين جزر الهند الشرقية والصين ، منذ أيام (ابن بطوطة) ، وربما من قبله . فالطرق البحرية التي تصفها «الحاوية» ، وإن كانت ـ كما نعتقد ـ تختلف قليلاً عن الطرق القديمة ، إلا أنها تغطي نفس المساحة التي كانت تغطيها تلك باستثناء الأطراف الشرقية منها .

ومن بحارة المحيط الهندي ، إلى جانب العرب ، يذكر ابن ماجد وسليمان المهري «الهنود ، والشوليان ، والزنوج» . ويعنون بالهنود بحارة (جوزرات) وكنكن) بساحل الهند الغربي ، وتقع (كنكن) بين اقليم (المليبار) جنوباً واقليم (جوزرات) شمالاً . و(جوزرات) بالجزء الشمالي من هذا الساحل شرقي شبه جزيرة (كمبايا) أو (كنبايه) ، ويسميها ابن ماجد (زهر كنباه) . قال يصف هذا الساحل : «فإذا خلّفت جزيرة (سيلان) التي على جنوبيها (سرنديب) انجذب البر للمغارب والشمال ، ويسمى ذلك البر بر (المِلَيْبارات) إلى حدود (كُنكُن) وإلى (زهر كنبايه) فوقها (جوزرات) . فإذا خلّفت (زهر كنبايه) وأنت تابع الشمال والمغارب تأتي إلى (السند)»[٣٥] .

و(الشوليان) هم أهل (شول مندل) ، ومقر سلطانهم مدينة (قايل) على الساحل الجنوبي الشرقي من الهند من اقليم (مَدْراس) ، مقابل لجزيرة (سيلان) من الناحية الشمالية الغربية . و(قايل) مرسى قديم مشهور في بلاد (كريكره) و(معبر)[٣٦] . والشوليان هم بحارة الجزء الشرقي من المحيط الهندي ، المعروف عند البحارة بـ (تحت الريح) ، ويسميهم (ابن بطوطة) الصوليين ، حيث قال في وصف مدينة (كولم) : «وهي أحسن بلاد (المليبار) وأسواقها حسان وتجارها يعرفون بالصوليين ، لهم أموال عريضة ، يشتري أحدهم المركب بما فيه ، أو يوسقه بما بداره من السلع[٣٧]» . ويسميهم ابن ماجد تارة (الصوليين) وتارة (الشوليين) ، وكذلك سليمان المهري . فعند ذكر قياسات مراسي البنجال (بنجلادش حالياً) يقول ابن ماجد أن قياس (ركنج) عند المعالمة العرب و(الكنكن) عشر أصابع وعند الصوليين تسع أصابع ونصف[٣٨] . وقال في موضع آخر من كتابه «الفوائد» أن (كليترة) في جزيرة سيلان مقابلة عند الشوليين (فانوه) وعند العرب مقابلة

(قلاولكم)[٣٩] . والمعلم (مفرد معالمة) عند البحارة ، أعلى درجة من الربان ، ويسمى أيضاً (الرئيس) و(الأستاذ) .

أما الزنوج فهم بحارة شرقي افريقيا ، إلى الجنوب من الصومال ، ويسمون أيضاً بـ (السواحليين) . وهم مولدون من أب عربي وأم افريقية ، ولغتهم خليط من اللهجات الافريقية والعربية الدارجة . ولم يذكر ابن ماجد أو سليمان المهري رأياً لمعالمة الزنج في القياسات ، والدِّيَر ، أي الخطوط البحرية ، ويقول سليمان المهري إنهم قليلو المعرفة بفن الملاحة[٤٠] .

وتذكر (الهرامزة) من بحارة المحيط الهندي ، وهم من (هرمز) ، لكن من المحتمل أن أغلبهم ، إن لم يكن كلهم ، من أصل عربي . وقواعد الملاحة عندهم لا تختلف عن قواعدها عند البحارة العرب . وكانت (هرمز) في عصر ابن ماجد لا تزال تحتل المركز التجاري الذي كان للبصرة من قبل ، حيث كانت سوقاً تلتقي فيه السلع التجاريةمن الشرق والغرب . ويقول ابن ماجد في هرمز إنها فرضة تجار العراق[٤١] .

ومع أن الصينيين كانوا يجوبون مياه المحيط الهندي منذ العصور القديمة ، إلا أن ابن ماجد وسليمان المهري لم يذكراهم ضمن بحارة المحيط الهندي ، ولعل ذلك يرجع الى الاختلاف بين قواعد الملاحة عندهم وقواعدها عند بحارة المحيط الهندي . فدائرة بيت الإبرة (البوصلة) عند الصينيين وبحارة جزر الهند الشرقية ـ كما قال ابن ماجد ـ مقسمة الى أربعة وعشرين جزءاً أو خنّاً ، بينما هي عند بحارة المحيط الهندي من عرب وهنود وغيرهم مقسمة إلى اثنين وثلاثين خنّاً . فهذا الاختلاف بين أجزاء أو أخنان الدائرتين قد أدى بالطبع إلى الاختلاف في اتجاهات الخطوط البحرية بينهم وبين بقية بحارة المحيط الهندي[٤٢] . هذا إلى أن المراكب الصينية كانت تختلف في بنائها وأشكالها وشرعها عن المراكب العربية والهندية .

الفصل الأول

ابن ماجد

اسمه ونسبه :

في مقدمة قصيدة «تحفة القضاة» يرد اسم ناظمها أحمد بن ماجد على النحو التالي :

شهاب الدين أحمد بن ماجد بن عمرو بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين ابن أبي معلق السعدي ابن أبي الركاب ، رحمه الله تعالى .

وفي مقدمة قصيدة «برّ العرب» هو :

أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين ابن أبي معلق ابن أبي الركايب ، عفى الله عنهم وعن جميع المسلمين .

وفي قصيدة «الذهبية» هو :

شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن الحسين ابن أبي معلق الركايب ، عفى الله عنهم أجمعين .

أما في مقدمة «كنز المعالمة» فورد مقتضباً هكذا :

أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك عفى الله عنهم أجمعين .

وفي مقدمة قصيدة «النتخات لبر الهند وبر العرب» أيضاً :

شهاب الدين أحمد بن ماجد بن عمرو السعدي ، لطف الله به والمسلمين .

وباستثناء مقدمة «النتخات» التي كتبت ـ كما نلاحظ ـ في حياته ، وربما تكون له ، فإن بقية مقدمات القصائد يحتمل جداً أن تكون من وضع النساخ ، وبعضها كتب بعد وفاته . ولا اختلاف بينها في اسم ابن ماجد إلا في اسم جدّه (محمد) الذي سقط ـ كما نلاحظ ـ من «تحفة القضاة» و«النتخات» ، وفي وضع اسم (السعدي) بين (أبي معلق) و(أبي الركائب) في «تحفة القضاة» وإضافة (ال) التعريفية لإسم (حسين) في «الذهبية» ، وسقوط (أبي) من (أبي الركايب) في «الذهبية» أيضاً . وإذا كان اسم (السعدي) هو حقاً اسم العشيرة التي ينتسب إليها ابن ماجد فإن موضعه الصحيح يكون في نهاية الإسم كما نلاحظ في مقدمة قصيدة «النتخات» .

وفي دفتر الإرشادات الملاحية للربان منصور بن الحاج ابراهيم الخارجي[1] يرد اسم ابن على هذا النحو :

«شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن يوسف بن فضل بن حسن بن حسين بن دويك السعدي ابن أبي بركات النقدي (النجدي) » .

ونلاحظ أن الاختلاف بينه وبين الإسم الوارد في مقدمات القصائد يقع في ترتيب الأسماء في النص ، فقط ، إذا استثنينا سقوط اسم (أبي معلق) منه ، وإضافة اسم (النجدي) إليه . وهذه الإضافة ، التي سنتعرف على حقيقة أصلها في مناقشة موضوع نسب ابن ماجد ، لا نجدها في جميع ما عرفناه من شعر ابن ماجد ونثره . لكن الربان منصور من البحارة المتأخرين ، الذين بقوا على قيد الحياة حتى بعد منتصف القرن الحالي ، واحتمال أن يكون هذا الإسم قد نقل عن

المرشدات الملاحية (الرحمانيات) المتأخرة ، بعد أن حدث به هذا التغيير في ترتيب الأسماء ، يحملنا على الاعتقاد بصحة نسق الإسم الأول ، أعني الوارد في مقدمات القصائد .

ويدّعي ابن ماجد أن (السعدي) نسبة إلى (سعد بن قيس بن عيلان) القبيلة العدنانية المشهورة ، ويفخر بانتسابه إليها ، حيث يقول في قصيدة «عدة الأشهر الرومية» :

فخذ حِكَماً من ماجد ابن ماجد   يؤول إلى سعد بن قيس بن عيلان

لكن هذه القبيلة من القبائل العربية القديمة ، التي اختفت أسماؤها من جزيرة العرب ، لذلك لا يمكن الجزم بصحة ، أو عدم صحة ، انتساب ابن ماجد إليها . وفي «معجم قبائل العرب» نجد لفظة (السّعدي) اسم لأكثر من عشيرة وفخيذة[٢] :

السعدي : عشيرة من ميمون من بني سالم من حَرْب ، تقيم على طريق المدينة .

السعدي : بطن من الحصنة من البريح المعدودة من الخرصة من شمّر الطائية .

سعدي : فخذ من بني سُلَيْم من زهران ، احدى قبائل عسير الكبيرة .

ولأن منازل (الخرصة) الشمّرية الطائية ، التي ينتمي إليها بطن (السعدي) ، أحد بطون الحصنة ، في الشام وشمال العراق ، فإن ارجاع نسب (السعدي) في اسم ابن ماجد إلى هذا البطن من شمر الطائية يبدو بعيد الاحتمال . لكن من المحتمل جداً أن يرجع إلى عشيرة (السعدي) من حَرْب . وحرب «قبيلة أكثرها من العدنانية غير متحدّرة من سلالة واحدة بل هي مجموعة أحلاف» تقع منازلها في نجد والحجاز[٣] . ولايستبعد أن يكون لقب (النجدي) في نهاية اسم ابن ماجد في (رحماني) الربان منصور قد جاء من الاعتقاد بانتسابه إلى عشيرة السّعدي الحربية ، النازلة في نجد . كما نستبعد انتسابه إلى فخذ (سعدي) من (زهران) العسيرية .

جلفار مسقط رأسه

قال الربان منصور بن الحاج ابراهيم في كتابه السالف ذكره :
«أقوال الشيخ احمد بن مايد [ماجد] شيخ علم البحر(*)

بسم الله الرحمن الرحيم ، فهذا مختصر في علم البحر ، من كلام الشيخ الأوَّلي ، عارف البلدان ، والموسوم معلم البحرين والبرين ، المعلم الشيخ أحمد بن مايد بن محمد بن عمرو بن يوسف بن فضل بن حسن بن حسين بن دويك السعدي ابن أبي بركات النقدي [النجدي] ساكن قلفار [جلفار] ، وهي طلع من رأس الخيمة . غفر الله لنا وله والمسلمين أجمعين»(٤) .

فجلفار عند الربان منصور تقع «طلع من رأس الخيمة» ، أي مرتفعة إلى ناحية الشمال من رأس الخيمة . ويحدد لنا ابن ماجد موقع (جلفار) تحديداً دقيقاً من جزيرة (هنجام) ، حيث يجعلها في اتجاه خن القطب الجنوبي من (هنجام) . قال في وصف الطريق البحرية من هنجام إلى جلفار(٥) :

ومن جرى في القطب من هنجامِ   يــأتي عــلى جلفــار والســلامِ

كما حدد موقع رأس الخيمة من جزيرة (طُنْب) ، فجعلها في اتجاه مطلع خن أو نجم الإكليل عن طنب . قال :

ومن جرى أيضاً لـرأس الخيمةْ   فـالصـير في الإكليـل بـالعـزيمـةْ

فإذا نظرنا إلى خريطة الخليج العربي نلاحظ أن جزيرة (هنجام) تقع في اتجاه القطب الشمالي من (رأس الخيمة) تقريباً . وهذا يؤكد قول الربان منصور من أن (جلفار) مجاورة (لرأس الخيمة) من ناحية الشمال . كذلك إذا رسمنا خطاً مستقيماً في اتجاه خن القطب الجنوبي من جزيرة (هنجام) نجده ينتهي إلى موقع رأس الخيمة ، أو قريباً منه . وإذا رسمنا خطاً في اتجاه مطلع خن الإكليل من جزيرة

(*) تُقْلب الجيم ياءً في اللهجة الدارجة في الخليج العربي وحضرموت .

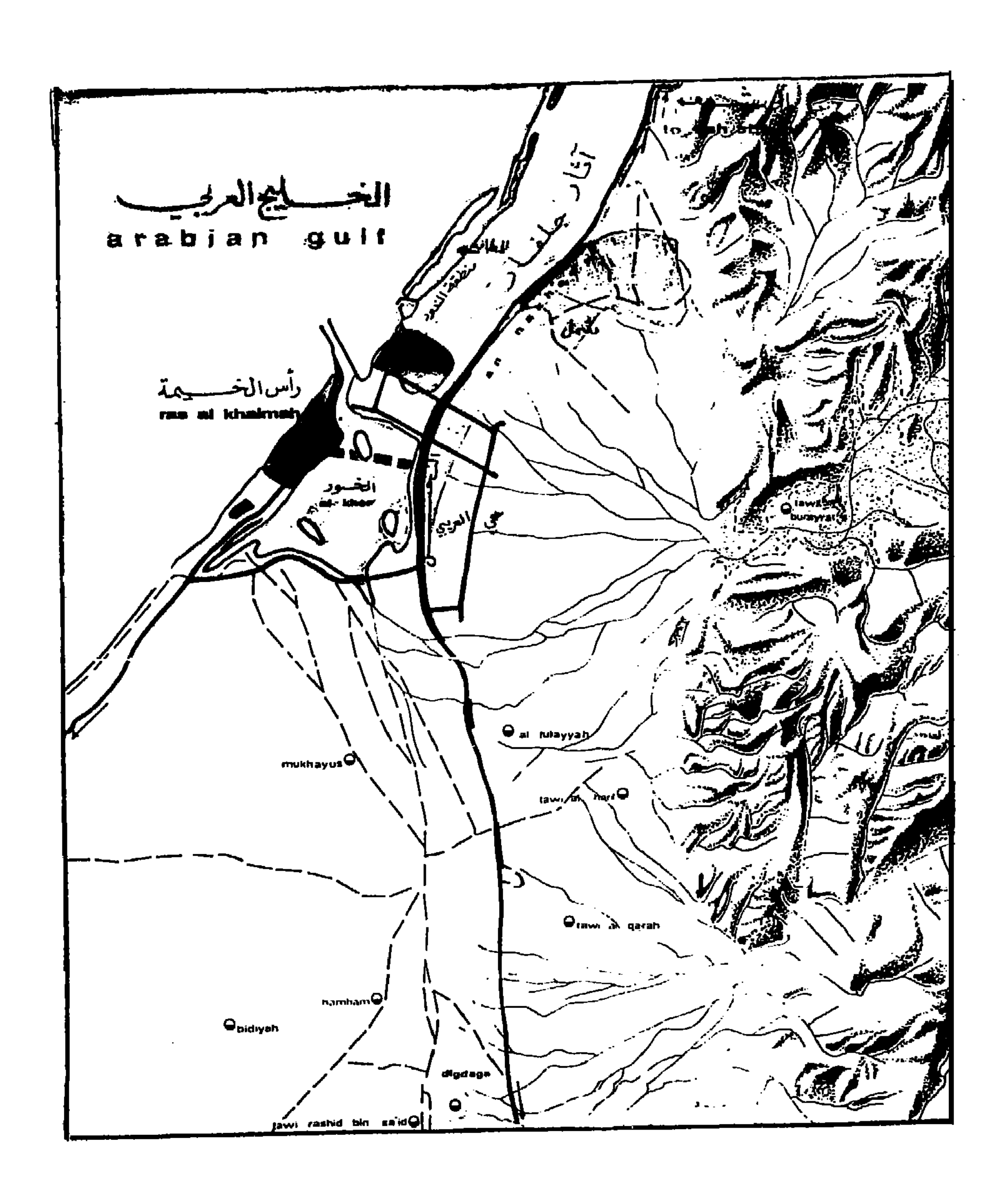
(طُنب) إلى ساحل رأس الخيمة ، نجده ينتهي إلى نقطة من الساحل ينتهي إليها تقريباً الخط الذي رسمناه في اتجاه القطب الجنوبي من جزيرة (هنجام) ، أي في موقع جلفار (انظر الخرائط) .

وفي بعض كتب الإرشادات الملاحية المتأخرة نجد في جداول عروض وأطوال مراسي الخليج العربي هذه العبارة : «رأس الخيمة بندر جلفار»[٦] أي مرسى جلفار . ويفهم منها أن مرسى رأس الخيمة حل محل مرسى جلفار القديم .

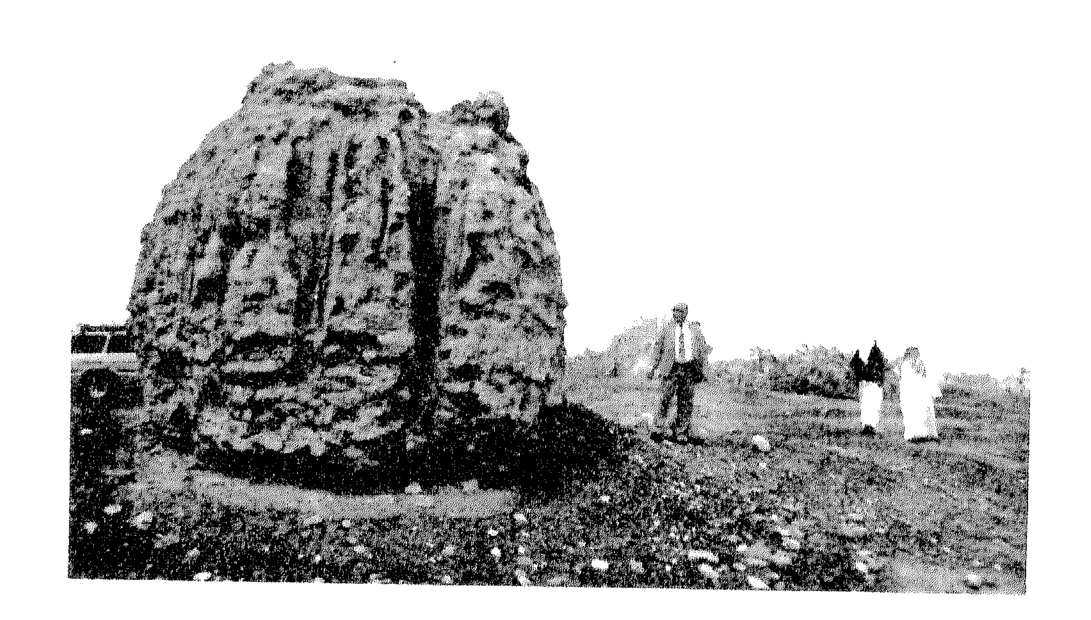
ويقال أن أصل تسمية (رأس الخيمة) أن الشيخ رحمة بن مطر ، شيخ القواسم ، نصب خيمة على مكان مرتفع من الساحل ، وكان يجعل على رأسها ضوءاً ليراه البحارة من بعيد ، فكانوا إذا رأوه يصيحون : «رأس الخيمة» ، فسمي ذلك المكان باسم (رأس الخيمة)[٧] .

ونلاحظ في خريطة (نيبور) NIEBUHR ، العالم الجغرافي الدنماركي[٨] ، الذي زار الخليج العربي فيما بين ١٧٦٢ و١٧٦٤م ، أن اسم (جلفار) قد وضع على الساحل في موقع (رأس الخيمة) تقريباً ، كما وضع بالحروف الكبيرة أيضاً على المنطقة الممتدة من (الشارقة) على ساحل الخليج العربي ، إلى (خورفكان) على خليج عمان ، والممتدة من هنا في اتجاه الشمال الشرقي إلى سلسلة الجبال المعروفة بـ (رؤوس الجبال) ، المطلة على مدخل الخليج العربي (انظر الخريطة) . ولا يعني عدم ظهور اسم (رأس الخيمة) في خريطة (نيبور) أنه لم يكن لها وجود في ذلك الوقت ، فابن ماجد ، الذي عاش في القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي ، قد ذكر ـ كما رأينا ـ رأس الخيمة ، قبل أن يزور (نيبور) منطقة الخليج بأكثر من ربع قرن ، وإنما لأن (جلفار) حتى ذلك الوقت بقيت محتفظة بشهرتها كميناء لمنطقة جلفار . ويصف ياقوت الحموي جلفار بأنها بلد واسع المراعي «كثير الغنم ، والجبن والسمن يجلب منها إلى ما يجاورها من البلدان»[٩] .

ويذكر ابن ماجد موطنه (جلفار) في ثلاث مما عرفناه من قصائده : في «الحاوية» أطول وأشهر أراجيزه في فن الملاحة ، وقد أتم نظمها في (جلفار) في



آثار (جلفار) بجوار (رأس الخيمة) من الناحية الشمالية الشرقية



بقية من أحد برجين في منطقة (شمل) بظاهر (رأس الخيمة) يقال لهما «برجي النجدي» نسبة ـ كما يعتقد ـ إلى عائلة (النجدي) التي ينسب إليها ابن ماجد .

(شكل ١)

اليوم التاسع من شهر ذي الحجة ، يوم وقوف الحجيج بعرفات ، من سنة ٨٦٦هـ . قال :

تمت بشهـر الحج في جلفـار	أوطـان أسد البحـر في الأقطارِ
يـوم الـغـديـر أبـرك الأيـام	إذ خص بـالإحسـان والصيـامِ
وكـان في الهجرة يـا مـولايـه	ست وستـون وثـمان مـايـهْ
سميتهـا بـالحـاويـة يـا صـاح	تضيء للجـاهـل كـالمصبـاحِ

وفي قصيدته «البليغة» :

ولا ذكر اسمي عند من كان عالماً	إذا مت إلا غـرّقتـه المـدامعُ
رعى الله جلفار ومن قد نشأ بها	وأسقىٰ قـراهـا واكف متتـابعُ
بها من أسود البحر كل مجرب	وفـارس بحـر للشـدائـد بـارعُ

وفي «المعرِّبة» السالفة الذكر أيضاً .

تاريخ ميلاده :

لا يزال تاريخ ميلاد ابن ماجد مجهولاً . وهناك بضع إشارات عابرة لابن ماجد في بعض قصائده وكتاب «الفوائد» إلى مقدار عمره ، يمكن الاستعانة بها في استخراج التاريخ التقريبي لميلاده . ففي مطلع قصيدته التي أسماها «ضريبة الضرائب» يقول :

شباب برأسي أعجب الناس من أمري	أتاني عقيب الشيب في آخر العمرِ
وأي شبـاب بعد ستـين حجـة	سمىٰ في السماء فوق السماكين والنسرِ

وفي أحد أبيات القصيدة الأخيرة يقول :

مهذبة في تسـع مايـه قد أتت	إذا هي قد تمت وفيت بها نذري

فإذا كان معنى البيت ، هو أن القصيدة قد تم نظمها في سنة تسع مائة من الهجرة ، فإن مولده يكون بالطبع في سنة أربعين وستمائة . ولأن القصيدة من مائة وتسعين بيتاً فإن تفسير قوله : «في تسع مائة قد أتت» بأن القصيدة من تسع مائة بيت يكون غير صحيح ، لكن إذا كانت عبارة «تسع مائة» تصحيفاً أو تحريفاً

خريطة (نيبور) للخليج العربي

(١٧٦٢ - ١٧٦٤م)

لـ «تسعين ومائة» فإن ذلك يجعل المعنى المقصود هو عدد أبيات القصيدة وليس تاريخ نظمها . وسبب الشك في صحة المعنى الأول أن ابن ماجد يذكر عادة عدد أبيات القصيدة بنفس صيغة هذا البيت . ففي أرجوزة «الحاوية» يقول :

جملتها ألف وثمانون أتت   تزيد بيتان بذلك قد وفت

أما تاريخ الفراغ من نظم القصيدة فيذكر شهره وسنته كما في قوله في «الحاوية» :

تمت بشهر الحج في جلفار   ....
وكان في الهجرة يامولايه   ست وستون وثمان مايهْ

وفي قوله في قصيدة «المعربة» :

قد كملت في سادس المحرم   ....
من بعد تاريخ ثمان مايه   وفوقها تسعين للهداية

وفي قصيدة «تحفة القضاة» :

....   تاريخها أوائل المحرم
عام ثمان مايه مع تسعينا   وبعدها ثلاثة وفينا

لكن إذا أخذنا بالمعنى الأول ، أعني أنه حقاً فرغ من نظم القصيدة في تسع مائة من الهجرة ، وأن عمره بلغ في هذه السنة ستين عاماً ، فإن هذا التقدير يطابق التقدير المفترض لسِنه حين فرغ من نظم «الحاوية» في سنة ٨٦٦هـ ، وهو ـ كما قال ـ «في أول الشباب»[١٠] . فالمعروف أن سِنَّ أول الشباب لا يبلغ الثلاثين من السنين . فإذا افترضنا أنه بدأ عمله في البحر وهو صبي صغير السن ، كما جرت العادة ، غالباً ، عند الإلتحاق بسلك العمل في السفن الشراعية العربية ، وأن هذا السن كان ، على أعلىٰ تقدير ، أربعة عشر عاماً ، فإن عمره يكون حينما فرغ من نظم «الحاوية» ستة وعشرين عاماً . وعلى هذا يكون مولده في سنة (٨٤٠هـ) مطابقاً لتفسير «تسع مائة» في بيت قصيدة «ضريبة الضرائب» بأنها تاريخ الفراغ من نظم القصيدة . وسن ستة وعشرين عاماً يعتبر سنّاً متقدماً في مرحلة الشباب .

ويكون عمره حينما فرغ من تأليف كتاب «الفوائد» ـ كما قال ـ في سنة (٨٩٥هـ) حوالى ١٤٩٠م) خمسة وخمسين عاماً . وفي سنة ١٤٩٨م ، وهي السنة التي وصل فيها (فاسكو داغاما) إلى شرقي افريقيا ، بعد نجاحه في الدوران حول رأس (الرجاء الصالح) يكون سن ابن ماجد أربعة وستين عاماً[١١] تقريباً .

وحتى إذا ظهر نص صريح بتاريخ ميلاد ابن ماجد الحقيقي فإنه ، في اعتقادي ، لن يزيد أو ينقص عن هذا التاريخ التقريبي لميلاده بأكثر من سنتين أو ثلاث سنوات .

وتاريخ وفاته غير معروف أيضاً . لكن لم تعرف له قصيدة بعد سنة ٩٠٦هـ ، وهي السنة التي نظم فيها القصيدة المخمسة في «الاستوائيات» . لكن قوله في الأرجوزة «السفالية» في وصول حملة البرتغال الثانية إلى (كاليكوت) بالمليبار من ساحل الهند الغربي :

وجاء لكاليكوت خذ ذي الفائدة لعام تسعة مايه وست زائدة

يدل على إمّا أنه نظم «السفالية» بعد سنة (٩٠٦هـ) وإما أنه أدخل هذا البيت في الأرجوزة بعد نظمها ، كما فعل في قصيدته «الذهبية» ، حيث زاد عليها ، أو استبدل بعض أبياتها بأبيات يذكر فيها أسماء قصائد نظمها بعد «الذهبية» ، مما يثير الحيرة والارتباك لدى القارىء . ففي كتابه «الفوائد» ، مثلاً ، يذكر «الذهبية» وشرحها[١٢] ، وفي «الذهبية» يذكر كتاب «الفوائد» في قوله :

وكم فاد علماً في كتاب فوائد بنظم ونثر يا لها من مناقب[١٣]

وكتاب «الفوائد» قد فرغ من تأليفه ـ كما رأينا ـ في سنة ٨٩٥هـ ، ويذكر «السفالية» التي يخبرنا فيها بوصول البرتغال ، للمرة الثانية ، إلى الهند في سنة ٩٠٦هـ حيث قال فيها ، أعني «السفالية» :

ومن قال سوفالية قد هدى بها هنود وأهل الزنج ثم المغارب[١٤]

ففي قصائده ـ كما قال ـ «ناسخ ومنسوخ»[١٥] . ويعترف بتصحيحه للأخطاء في قصائده بعد نظمها . قال في أرجوزة «الجمة» :

تصح ما فيها سوى سهو القلم فـرحـمـة الله لمـن أصلح ثم

ولم أزل أصلح للمات كسورها في سائر الأبيات

ومثل ابن ماجد أيضاً سليمان المهري ، فهو يذكر كتابه «المنهاج» في كتابه «شرح التحفة» ويذكر «شرح التحفة» في «المنهاج» فلا يدري القارىء أيهما قبل الآخر[١٦] .

نشأته :

يقول ابن ماجد ، يصف خبرة والده ماجد ، وجدّه محمد بن عمرو ، بالملاحة في البحر الأحمر ، أخطر بحار العالم ، ومعرفة جزره وشعابه ، والأماكن الخطرة فيه ، أن جدّه كان «محققاً فيه ومدققاً ، ولم يقرأ لأحد فيه ، فزاد عليه الوالد ، رحمة الله عليه ، بالتجريب والتكرار ، ففاق علمه علم أبيه . فلما جاء زماننا جربنا هذا وكررناه قريباً من أربعين سنة ، وقد حررنا وقررنا علم الرجلين النادرين ، وأرخناه ، وفهمنا جميع ما جربوه»[١٧] . وقال أيضاً : «وكان الوالد عليه الرحمة والغفران ، تسميه الربابين ربان البرّين[١٨] ، ونظم الأرجوزة المشهورة «الحجازية» ، فوق ألف بيت»[١٩] . ويقول أن والده لم يدع جزيرة ولا شعباً إلاّ ذكره «ومع كل ذلك ختم أرجوزته وقال :

قد فرغ القرطاس والمداد وما بلغت العشر من أعدادي

لأن بحر قلزم العرب[٢٠] أوسخ بحور الدنيا ، وسلكه الناس أكثر من بحور جميع الدنيا لأجل البيت ، وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولأجل المعاش»[٢١] .

ووصف (جلفار) ـ كما رأينا ـ بأنها موطن أسود البحر وفرسانه . فابن ماجد ، إذاً ، سليل أسرة ذات ماض بحري عريق ، أُوتيت حظاً ، لا بأس به ، من علوم اللغة ، والثقافة الأدبية . وفي مجتمع بحري كهذا يولد الطفل ، في الغالب ، ووالده فوق أمواج البحر الصاخبة ، في رحلة بعيدة عن وطنه ، لا يعود منها إلى أهله وطنه إلا بعد عام أو عامين ، وأحياناً لا يعود أبداً . وإن عاد فإنه لا يمكث بين أهله إلا فترة قصيرة ، تكون الرياح خلالها غير ملائمة لسفره في

البحر ، كحال ابن ماجد مع زوجته العامرية في (مكة) التي يصفها لنا في قصيدته «الملكية» :

تــزوجتهــا وأنــا قليـل إقــامتي ... وذا يقتضي حال المحب المسافر
فــلا حضرة إلا وفيهـــا تــودع ... ولا نــظرة إلا وفيهــا مـــواطــر
مخافة وشـك البين يـوم رحيلنا ... بغــير وداع وانكســار الخــواطـر
ومن لم يكن في الركب ناه وآمر ... يفارق من يهوى بجزّ الحناجر
فقضيت مـا قضيت منها معجـلاً ... سقىٰ الله أهليها ثقيفاً وعامر
ففـــارقتهـا دمعـــاً يفيض كـأنــه ... علـى جيرانها والعشـائـر

. . . .[٢٢]

وسرت بقلب كاد يقضىٰ تأسفاً ... وزودت من سكان مكة ناظري
ولا برح التذكار عندي وشـوقهم ... يجـاذبني مهـما خـطين الأبـاعـر
إلى أن نظرنا عند جدة بحرها ... به راسيات الفلك فوق الأناجر
أقمت قليـــلاً أستعـد مســافـرا ... وعفت هـوى فتيـاتهـا والحـرائـر
ركبت على اسم الله مجري سفينتي ... وعجلت فيهـا بـالصـــلاة مبـادر

لذلك لا نستبعد أن يكون ابن ماجد واحداً من أولئك الذين ولدوا ، من أبناء البحارة ، في غيبة آبائهم . وأن يجد أباه ، حينما يعي ما حوله ، كثير الأسفار لا يطيل البقاء عندهم ، وجدّه الذي أقعده المشيب عن ركوب البحر ، ومن حوله من المسنين من أهل (جلفار) ، لا يتحدثون ، غالباً ، إلا عن البحر والبحارة ، ومن عاد منهم سالماً ومن هلك . ويسمع جدّه محمد بن عمرو يقص عليهم قصص مغامراته في البحر الأحمر ، وغيره من البحار الخطرة . وما شاهده من عجائب البر والبحر ، فينشأ على حب البحر ، ويتطلع بشوق وحماس إلى اليوم الذي يسمح له فيه بركوبه ، ويسافر إلى البلدان التي يسمع البحارة يتحدثون عما فيها من الغرائب والعجائب ، ويصبح كأبيه أسداً من أسود البحر .

ويخبرنا ابن ماجد أنه ركب البحر وتعلم علم الملاحة منذ صباه :

وكم نظرت في الحساب العربي ... وحسبة الهندي مذ كنت صبي[٢٣]

كما يدل ، ضمناً ، قوله هذا على تلقيه قواعد الكتابة والقراءة في صباه ، ربما قبل التحاقه بالعمل في سفينة أبيه ، وأن أبيه ، الأديب الملاح ، عنى بعد ذلك بتثقيفه وتأديبه ، في أوقات فراغه من أعمال البحر الشاقة المضنية ، وأثناء تلك الساعات التي تكون فيها الرياح ومياه البحر ملائمة لمجرى السفينة ، وإلى جانب والده وجدّه يذكر شيوخاً آخرين شاركوا في تثقيفه وتوسيع معلوماته الملاحية :

ألا ليت شعري هل تراه شيوخنا   فتحمده أو والدي وابن هيثم[٢٤]

ومما يؤكد تلقيه بعض علوم اللغة على أيدي شيوخها قوله في الجِناس :

عن نحوكم قدمي ذا غير منصرف   والنحو من حكمة الأقلام ينصرفُ

وقوله في الفصل الأخير من أرجوزة «الحاوية» :

سميتها بالحاوية يا صاح   تضيء للجاهل كالمصباحِ
ولا ألام بعد موتي فيها   أن يغلط الكاتب أو قاريها
تلوتها على أهيل الصرف   والنحو والعربان أهل العرفِ

هذا إلى أن طموحه البالغ كان ، دائماً ، الدافع له على المثابرة على النظر فيما كان متداولاً في عصره من المؤلفات في علم الملاحة ، وفي كتب الفلك والأدب . ويعترف بأن هذه المؤلفات كانت المصادر التي أخذ عنها معظم المعلومات والإرشادات الملاحية في أرجوزة «الحاوية» . ومن هذه المصادر أرجوزة والده الألفية المسماة بـ «الحجازية» التي ـ كما يبدو ـ عارضها ، من حيث عدد الأبيات ، بـ «الحاوية» ، حيث قال : «صفّيتها [يعني الحاوية] مما سلك في عصري من الأراجيز المصنفة والرهمانجات الواسعة المؤلفة»[٢٥] .

وقد ساعده على مواصلة تعلم قواعد القراءة والكتابة في صباه ، دون شك ، أن عائلته كانت ميسورة الحال ، فلم يكن هناك من مشاكل المعيشة ما يشغله عن القراءة وتوسيع ثقافته الملاحية والأدبية . ولو أن بقية البحارة العرب حصلوا من التعليم والثقافة ما حصل عليه ابن ماجد ، أو سليمان المهري ، لخلّفوا

لنا تراثاً بحرياً عظيماً ، نعرف منه كثيراً من قصص رحلاتهم ومغامراتهم في البلدان والجزر البعيدة المجهولة . لكن آفة الأمية ، المتفشية بين صفوفهم ، حرمتنا من هذا الميراث القيّم .. فظروف المعيشة الصعبة قد اضطرت أغلبهم إلى العمل في البحر في سن الصبا المبكر . ويظل الواحد منهم يتدرج على سلم العمل البحري حتى يصل إلى درجة ربان ، دون أن يجد فرصة لتعلم القراءة والكتابة . فهم في البحر ـ كما قال ابن ماجد ـ مرهقون وفي البر كالمجانين[٢٦] .

ويذكر ابن ماجد الحَلَقات التي كانت تعقد في خانات الموانىء أو على ظهور السفن ، ويتناظر فيها شيوخ علم البحر ، في المسائل الدقيقة العويصة من فن الملاحة . ويقول أنه حضر أكثر من عشرين حلقة من هذه الحلقات الزاخرة بـ (المعالمة) المحققين ، وخرج منها كلها غالباً منتصراً[٢٧] . ويُعتبر الفوز في هذه الحلقات بمثابة شهادة ببلوغ صاحبها أعلى درجات فن قيادة السفن .

أخطاء الشباب وتصحيحها في المشيب :

يلاحظ الناظر في كتاب «الفوائد» ، أن ابن ماجد يرجع أخطاءه في بعض منظوماته ، والشعر الذي يصف به الخمرة ومنادمة الحسان ، إلى «عصر الشباب» و«أيام الشباب» ، وكأنه كان يتحرج من ذكرها عندما تقدمت به السن ، وأصبح يلقب بـ (حاج الحرمين الشريفين) . فأرجوزة «الحاوية» التي نظمها ـ كما قال ـ في أول الشباب ، مثلاً ، كانت بها أخطاء في بعض القياسات استدركها عند المشيب ، بعد كثرة تجاربه . قال :

«وكنا أول العمر نحسب كحساب الجهلاء ، فبعد كثير التجريب رجعنا لصحة العلم ، ودققناه وحققناه ، فما للجهل عندنا مدخل . وكنا قد ذكرناهما في أول الشباب في «الحاوية» ، فلما تحققنا شخصنا في «الحاوية» و«السبعية» أبياتاً لنستدرك بهما ابطالها وقلة صحتها[٢٨] . . فقد بان لنا خلله عند المشيب[٢٩]» .

ومن شعره «في الراح في عصر الشباب»[٣٠] :

صفراء ساطعة كالنار لم أرها   في الكأس إلا نفت همي وأحزاني

أصلحتها بقراح الماء من حذر　　وكيف تصلح أمواه لنيران

وقال فيها أيضاً وفي منادمة الحبيب[٣١] :

حضر المدام ومنيتي والماء　　فلحا العذول وعذله اغراء

أين الملام من المدام وشربها　　بمهفهف ماذا وذاك وسواء

بالماء يحيا كل غصن ذاوي　　وكذا الملاح حياتهن الماء

ويبدو من قصيدته «المكيّة» السالفة الذكر أنه كان له أكثر من زوجة في أكثر من بلد ، ولا يستغرب هذا من ملاح كابن ماجد لا يعود ، غالباً ، إلى وطنه الأصلي إلا مرة واحدة كل عام أو عامين ، وأحياناً أكثر من عامين . وإن عاد لا يمكث ـ كما قلنا من قبل ـ غير أيام قلائل يعود بعدها إلى ركوب البحر .

لكن طموحه إلى بلوغ ما لم يبلغه أحد من مشاهير عصره من الملاحين ، خاصة في الفلك البحري ، وضبط عروض الأماكن على قياسات النجوم ، واستكشاف ما كان مجهولاً منها ، سرعان ما كان ينسيه المدام ومنادمة الملاح . قال[٣٢] :

تركت اشتغالي بالمها والجآذر　　وقد صرت مغرى بالنجوم الزواهرِ

وكيف اشتغالي عن مرام أرومه　　ودون ارتقاء المجد جز الحناجرِ

فلا بد لي أن أترك الأهل والكرى　　وأصبر عن وصل الملاح النوادرِ

وأعزم على ما يقصر الطير دونه　　وأركب فياضاً من الموج زاخرِ

على ظهر معتد من الساج هللت　　عليه المساء والصبح . . . . [٣٣]

أقيس به والليل مرخ سدوله　　نجوماً بها رشدي وفيها أشائري

وقال :

سهرت وغيري خالي البال هاجع　　غراماً ومثلي كيف يهنا المضاجع

لقد عودت زهر النجوم رعايتي　　وصرت شهيراً للثلاثة رابع[٣٤]

ومن طول إلفته للنجوم ومرافقته لها في أسفاره تخيّلها كائنات حية تحزن لغيابه عنها ، فتشكوه لبارئها . قال[٣٥] :

هذي النجوم اشتكت مني لخالقها ... تقول هذا جفانا في تنوخذه[٣٦]
قد كان يوصلنا طول الزمان وقد ... كانت منافعنا جماً على يده

وقال[٣٧] :

وإلا فمن حزن لنقدي تزلزلت ... بلا شك أفلاك السماء بالكواكب
ومن بات يرعاهن خمسين حجة ... على طلب عاف الكرى في الغياهب

وإذا مات كره النجم قياسه بعده[٣٨] :

إذا مت عاف النجم بعدي قياسه ... ولي تشهد الرائيتين النوادر

وإذا كانت ملوك الأرض تكتنز الجواهر في حياتها وتوزع هذه الجواهر بعد مماتها فنجوم السبع السموات وما استنبطه من قياساتها ، وهداياتها ، هي كنوزه وذخائره[٣٩] :

تصون ملوك الأرض فيها جواهر ... تفرق بعد الموت تلك الجواهر
وصنت على السبع السموات أنجماً ... فهذي صياناتي وهذي ذخائري

وتمنى هلاك من لا يهتدى بقياس النجوم وأنكر انتسابه إليه وتبرأ من صحبته[٤٠] :

عدمت الذي لا يهتدي بقياسها ... ولا هو من قومي ولا ذاك صاحبي

وتتقدم به السن فيتحرر من شهوة الجسد :

لقد كنت قبل اليوم مملوك شهوة ... وقد صرت حراً والهوى صار خادمي
كتابي جليسي والجميلة متجري ... وعقلي مشيري والفتاكة صارمي

وهداه طول تأمله في النجوم ورصد مواقعها وحركاتها إلى اكتشاف قياسات لها لم تكن معروفة من قبل ، كان يستدل بها على المواقع الصحيحة للمراسي والرؤوس وغيرها . كما هدته أسفاره الكثيرة ، وما اكتسبه فيها من تجارب ، إلى معرفة الدير الصحيحة ، أي الخطوط البحرية ، لكثير من الأماكن التي اختلفت فيها البحارة . وقام برحلات جريئة في أيام كهولته لم يسبقه إليها أحد من قبل .

منها ، على سبيل المثال ، رحلته في آخر موسم الرياح الشمالية الشرقية من (كاليكوت) بساحل الهند الغربي إلى (جدّة) ، في مركب لتاجر يدعى (صدقة الجُلْبي) . وكان قد عزم على السفر من (كاليكوت) إلى (بنجاله) [بنجلاديش] ، فحصل على حمولة وركاب إلى (جدة) ، فسافر به ابن ماجد في آخر موسم السفر من ساحل الهند الغربي إلى البحر الأحمر . وقال إنه لم يدخل مرسى جدة «إلا بعد مشقة عظيمة»[٤١] . وسافر ذات مرة بمركب عبد الرحمن بن الشيخ علي الحموي ، من (هرمز) إلى (جدة) وسلك به طريقاً بعيدة عن شاطىء بلاد العرب الجنوبي ، بسبب عدم ملاءمة الريح لجريه في الطريق المعتادة المسايرة لبر العرب ، وخرج به من المضيق بين جزيرة (سقطرى) ورأس (جردفوي) أو (عسير) إلى خليج عدن و(باب المندب) ووصل إلى جدة بعد سفر طويل شاق وخطر . وقال إن الناس تعجبوا من وصوله إلى جدة في غير أيام الموسم المعتادة للسفر إليها . وكانت المراكب في أيام هبوب الشمال في البحر لا تقوى على السفر من الموانىء الجنوبية إلى (جدة) وغيرها من الموانىء الشمالية . فاتخذ الأتراك والمماليك من وصوله إلى جدة في تلك السنة ، في عهد (قايتباي الأشرفي) ونائب جدة (قراجا) ، حجة على المراكب التي لا تقوى على مواصلة رحلتها إلى جدة وتعود إلى الموانىء اليمنية ، وتبقى هناك إلى أن تصير حالة الجو ملائمة لسفرها إلى جدة . فصاروا منذ تلك السنة يلزمون أصحاب المراكب التي تعود إلى الموانىء اليمنية بعشورها في السنة القابلة[٤٢] .

وشاع ذكره كأمهر ملاح بين الشعوب البحرية المطلة على المحيط الهندي المتفرعة منه . وتودد إليه الملوك . قال[٤٣] :

أنفقت عمري على علمٍ عرفت به　　فازددت بالعلم توقيراً على الكبر
لو لم أكن لذا أهلاً لما عنيت　　بي الملوك وهذا غاية الوطر

إلا أن نجاحه وشهرته في الأوساط البحرية ، وحظوته عند السلاطين ، قد جَرّت عليه حسد بعض منافسيه من (معالمة) عصره ، فأنكروا فضله وما ابتدعه من قياسات النجوم :

حصرت نجوم الأفق في البحر هادياً ... بها سالك البحر المحيط المعظمِ
بخير قياسات وجم فوائد ... فلم يعترض لي غير جحش مُعمَّمِ
إذا جئته من باب علم مجرد ... تعامى بتعجيل الصراخ المترجمِ

. . . .

ولما رأيت الناس في الوهم أسرفوا ... ولم يفرقوا بين الدنىء والمقدمِ
حددت لهم حداً فلم يصلوا له ... وزال بهذا الحد كل التوهمِ
وألقوا سلاح الجهل لما تحققوا ... مقالي في عرب وعجم وديلمِ
بقولي إني رابع لثلاثة ... فحق لحسادي تموت وتغتمِ[44]

وقال فيهم أيضاً[45] :

قليل من الناس الذين أراهم ... عفاف يرون الحق خير المآثر
يقولون كان الفلاني ولم أر ... مخلف علم مثل ما في دفاتري
فلم أر إلا سارق أو مقامر ... ووغد وحجاج عن العلم قاصر
يرومون أسباب المعالي تكلفاً ... وذلك شيء لا يكون بخاطري
إذا ما رأيت الشخص بالبر خلته ... معد وفي النتخات غاو وخاسر

وقال في قصيدته «الذهبية» :

كشفت جميع البحر مع جملة السماء ... فإن مت لا حي يعد كذاهب[46]
فيا عجباً يا قوم والحق أبيض ... وقد بلغ السيل الربى والهواضب
أينكر أفعالي وأقوالي جماعة ... مسودة والعار شر العواقب
هبوا أنكم حسادنا فتأملوا ... لما هو ماض من سيوف قواضب

وله أشعار كثيرة في منافسيه لا يتسع المجال لذكرها .



الفصل الثاني

ابن ماجد في سقطره

نلاحظ في وصف «الجزر المشهورات المعمورات» ، في (الفائدة) أو الفصل العاشر من «كتاب الفوائد» ، أن ابن ماجد قد أتى ، في وصف جزيرة (سقطرى) ، بتاريخ مفصل للجزيرة في أيامه لم يأت بمثله لأية جزيرة اخرى في هذا الفصل . ومما قاله في ذلك :

«وملكها في عصرنا هذا محمد بن علي بن عمرو بن عِفَّرار ، و[ابن][1] عبد النبي السليماني الحميري ، وكلاهما من مشائخ المهرة»[2] .

وقال : «وما ملكها المهرة إلا لأنهم يريدونها لعاقبة أمرهم ، يحتمون فيها ، عند خوفهم وضعفهم من سلاطين حضرموت وغيرهم . وكان محمد بن علي بن عمرو قد استشارني فيها سنين ، فلم أطعه في ذلك . فلما تولى على المهرة صرف المال وملكها» .

«فلما مات ، وأقامت بها قبيلته ، مكثوا فيها سنين . وتعاون ملوك أهل (الشحر) ، المخرّجين[3] منها مدة ثلاثين سنة ، فعاونهم أخوالهم المهرة على (الشحر) وأخذوها . وتولى عليهم سعد بن مبارك بن فارس ، بعد أن حاصرها ثلاثة أشهر كاملة ، فجاعوا وأخرجوهم من حصار الشحر إلى بلدهم حضرموت ،

وكان عليهم حينئذ بدر بن محمد الكثيري ، فأخرجوه وأجاروه ومن عنده ، في عام أربعة وتسعين وثمانمائة» .

«وفي هذا التاريخ جزيرة (سقطرى) للمهرة ، مشتركين فيها بنو السليماني وبنو عفرار»[٤] .

وقال إن أهل سقطرى «قد قتلوا أحمد بن محمد بن عفرار ، الذي تولى عليهم بعد موت أبيه ، فجاء أعمامه وقبيلته وأخذوا بثأره وسخروهم وولوا عليهم ابن عبد النبي السليماني الحميري»[٥] .

فمن هذه المعلومات التاريخية عن جزيرة (سقطرى) في أيام ابن ماجد ، يتضح لنا أن محمد بن علي بن عمرو بن عفرار سلطان سقطرى قد اتصل بابن ماجد وقرّبه إليه . وهذا ما يؤكده قوله أنه ، أي محمد بن علي بن عفرار سلطان سقطرى ، كان قد استشاره فيها سنين . وقوله أيضاً :

لو لم أكون لذا أهلاً لما عنيت   بي الملوك وهذا غاية الوطر

أما عبارة «فلم أطعه في ذلك» فنلاحظ أنها لا تتفق في المعنى مع قوله قبلها «قد استشارني سنين» أي أنه جعله مستشاراً له ، أو ظل يأخذ بمشورته سنيناً . ويحتمل أن يكون المعنى المقصود هو أن سلطان سقطرى عرض عليه الإستشارة عدة مرات ، في سنوات متفرقة ، فلم يقبلها . لكن هذا الاحتمال ، في نظرنا ، يبدو بعيداً ، في ضوء معنى قوله «قد استشارني سنين» .

هذه المعلومات التاريخية نجدها قد امتزجت بالخرافة في حكاية تُروَى عن الأشراف ، فقهاء مدينة (الغيظة) ، ببلاد المهرة ، أوردها البروفسور آر. بي. سارجنت R.B.AERJEANT في كتابه «البرتغاليون حول ساحل بلاد العرب الجنوبي» The Portuguese off The South Arabian Coast وملخص هذه الحكاية هو : أن (بدر بوطويرق) ، سلطان حضرموت ، غزى بلاد المهرى ، وقتل في مدينة (قشن) جميع الشيوخ والأطفال والنساء ، ما عدا امرأة حامل هربت إلى الجبال ، ولجأت إلى قبيلة (الزويدي) ، وهناك ولدت طفلاً سمي (سعد أبو

شوارب) ، لأنه بعد أن بلغ أبى أن يحلق شاربيه حتى يثأر لأهله . ورحل إلى (السلطان ابن ماجد) سلطان سقطرى ، في ذلك الوقت ، فزوجه (ابن ماجد) من ابنته ، لكنه لم يدخل بها ، فلما سألته عن سبب ذلك أجاب : «الكثيري يحتل بلادي ، وقتل شعبي ، رجالاً ، ونساءً ، وأطفالاً» ، فأخبرت زوجته أباها ابن ماجد بأمره . وفي ذلك الوقت كان الإفرنج في (سقطرى) ، فأرسل ابن ماجد حملة بحرية بمساعدة الإفرنج (البرتغاليين) إلى ساحل المهرة ، ونزل (سعد أبو شوارب) على رأس الحملة إلى (قشن) وقاتل بدر بوطويرق وطرده وجنوده من (قشن) . ونُصّب سعد أبو شوارب سلطاناً على المهرة ، فحلق شاربيه في مسجد (قشن) . وجاء بزوجته من سقطرى ، واستقر بمدينة (قشن) ، وولدت له ابنه (طوعري) . وتزوج (طوعري) فأنجب (عامر) و(سعد) . ورحل (سعد) إلى أخواله في سقطرى ، حيث نصب سلطاناً عليها ، بينما بقي (عامر) في (قشن) ، وتولى عليها بعد موت أبيه (طوعري)[٦] .

ويقول (سارجنت) إنه أتى بهذه الحكاية كمثال للأسطورة التي لها أصل من الحقيقة ، أي امتزاج الحقيقة بالخرافة . وأوجه الاختلاف بين هذه الحكاية وما ذكره ابن ماجد تقع في الشخصيات ، والتواريخ ، والمدن . فبدر عند ابن ماجد هو بدر بن محمد الكثيري ، الذي تولى حكم حضرموت في العقدين الأخيرين من القرن التاسع الهجري[٧] . بينما هو في هذه الحكاية بدر بوطويرق ، الذي ولد سنة ٩٠٢هـ وتولى حكم حضرموت في النصف الأول من القرن العاشر الهجري . وسعد عند ابن ماجد هو سعد أو سعيد بن مبارك بن فارس ، من آل بادجانة الكندي ، الذي استعاد حكم (الشحر) بمساعدة المهرة ، من آل الكثيري سلاطين حضرموت في سنة ٨٩٤هـ ، أي قبل اكتشاف طريق رأس (الرجاء الصالح) ، ووصول (فاسكو داغاما) إلى شرقي افريقيا بحوالى تسع سنوات ، وقبل مولد (بدر بوطويرق) بثماني سنوات . بينما هو في الحكاية (سعد أبو شوارب) الذي استعاد من الكثيري مدينة (قشن) وليس الشحر .

وفي مصادر تاريخ حضرموت نجد أن آل الكثيري ، سلاطين حضرموت ، أخرجوا حكام (الشحر) من آل بادجانة ، في عهد بدر بن محمد بن عمر

الكثيري ، الذي ذكره ابن ماجد . أما في أيام (بدر بوطويرق) فأخرجوا المهرة من (قشن) ، وكان عليهم سعد وعامر ولدا طوعري الذي تقول الحكاية انه ابن سعد أبو شوارب من ابنة ابن ماجد . وسعد بن طوعري ، في هذه المصادر ، هو الذي جاء مع الحملة البرتغالية من سقطرى إلى (قشن) و(الشحر) في أيام (بوطويرق) ، وهرب أخوه عامر من (قشن) إلى الهند[٨] .

فحكاية فقهاء (الغيظة) ـ كما نرى ـ تنطبق على الأحداث في أيام بدر بوطويرق وسعد بن طوعري . وعلى الرغم من عدم صحة ما جاء في الحكاية عن ابن ماجد ، إلا ان ذكر اسمه دليل ، في حد ذاته ، على أن ما كان لابن ماجد من جاه وحظوة لدى سلاطين سقطرى ، كسبه بفضل علمه وشهرته الملاحية ، قد بقي في أذهان الناس ، في سقطرى وساحل بلاد العرب الجنوبي ، إلى ما بعد وفاته ، ومع مرور الأيام رفعته مخيلات الرواة إلى مرتبة السلاطين ، فجعلته سلطاناً على سقطرى أثناء احتلال البرتغاليين لها[٩] . أما زواجه في سقطرى أيضاً فمحتمل جداً ، ولعل تردده على سقطرى واتصاله بسلاطينها كان بسبب هذه الزيجة . فرحّالة مثله ، لا يستقر في بلد واحد ، لا يستبعد ـ كما قلنا من قبل عند ذكر زوجته المكية ـ أن تكون له أكثر من زوجة في أكثر من بلد .

واحتلال البرتغال لجزيرة سقطرى كان في عام ٩١٢هـ ، أي بعد أقل من ستة أعوام من نظم أرجوزة «السفالية» ، ولم تعرف له قصيدة بعدها . ولعل الكارثة التي حلت بالملاحة والتجارة البحرية العربية ، على يد البرتغاليين ، واحتلالهم لجزيرة (هرمز) والمراسي العربية في الخليج وعمان ، ومن قبلها جزيرة (سقطرى) ، قد آلمه وحزّ في نفسه ، فانزوى يقضي بقية أيام عمره في (جلفار) بعيدا عن أحبته النجوم والبحر المحيط .

الفصل الثالث

مرشد (داغاما) في رحلته الى الهند

ليس هناك ، حتى الآن ، ما يؤكد ، بصفة قاطعة ، أن ابن ماجد هو الذي قاد سفن (فاسكو داغاما) في رحلته الأولى الى الهند . وبعض الذين يصرّون ، من الباحثين ، العرب خاصة ، على أن ابن ماجد هو الذي دلّ البرتغاليين على طريق الهند ، يرون في ذلك مفخرة للعرب . فهذه الطريق ، في اعتقادهم ، طريق مجهولة ، وأن ابن ماجد ، الملاح العربي ، هو أول من ابتدعها وسلكها . وأن البحر بين شرقي افريقيا والهند ، بحر خطر يصعب عبوره .

وبعض الذين ينكرون ، من الباحثين العرب ايضاً ، أن الذي دل البرتغاليين على طريق الهند ، هو ابن ماجد ، يرون في ذلك خيانة عظمى ، ينبغي دفعها عن البحارة العرب . ومن أجل ذلك نجدهم يُفنّدون مزاعم الفريق الأول ويبطلون حججه .

وفي الحقيقة لا توجد ، لدى الفريق الأول ، من الحجج والبراهين التي يستند إليها في زعمه أن ابن ماجد ، هو الذي قاد (داغاما) إلى الهند ، سوى حكاية (النهروالي) صاحب كتاب «البرق اليماني في الفتح العثماني»[1] وافتراضات لا يقبلها المنطق . وخلل حكاية (النهروالي) ، في قولها أن ابن ماجد أرشد الإفرنج

«في حالة السكر» . فمثل هذا القول يرفضه كل ذي عقل يعرف البحر . فأنّى لسكران لا يعي ما حوله أن يهتدي إلى طريق ، لا معالم لها ، في البحر . والبحر جَبّار لا يرحم من لم يكن بركوبه خبير . أما لماذا تذكر الحكاية اسم ابن ماجد بالذات ؟ فربما يرجع ذلك إلى شهرته الملاحية الواسعة . ويحاول بعض هذا الفريق أن يجعل من إسم (كاليموكانا) ، الذي تذكر المصادر البرتغالية أنه بحار من (جوزرات) بالهند ، قاد حملة (فاسكو داغاما) إلى الهند ، بأمر من ملك (ماليندي) بشرقي افريقيا ـ يحاول أن يجعله لقب ابن ماجد (أسد البحار)[٢] .

ولو أمعن هؤلاء وأولئك النظر في كتب الإرشادات الملاحية ، والرحلات العربية في المحيط الهندي ، كرحلة (المسعودي) ، مثلاً ، لوجدوا أن رحلة (داغاما) من شرقي افريقيا إلى الهند ، لا تستحق كل ذلك الاهتمام الكبير ، والجدل الواسع ، الذي يظهر ، بين الحين والآخر ، على صفحات بعض المجلات والكتب العربية . فهذه الرحلة أسهل وأسلم من الرحلة في البحر الأحمر . بل من الرحلة بين جزيرة (سقطرى) والموانىء المقابلة لها من ساحل بلاد العرب الجنوبي ، وأن البحارة العرب كانوا يعرفون المحيط الهندي ، خاصة الجزء الغربي ، معرفة السابح بكل موضع من حوض السباحة . وقد رأينا من قبل ، أنهم كانوا في عصر (المسعودي) يسافرون في عرض هذا المحيط من جزيرة قنبلوا (مدغشقر أو ملجاسي) إلى ساحل عمان والعكس . ثم إن المسافة بين شرقي افريقيا ، من (كينيا) جنوباً ، وساحل الهند الغربي ، تقطعها السفينة الشراعية ، بالرياح الموسمية الجنوبية الغربية الملائمة ، عادة ، في عشرة أيام ، في السفر من شرقي افريقيا إلى الهند ، وتقعطها أيضاً في عشرة أيام ، بالرياح الشمالية الشرقية في العودة من الهند إلى شرقي افريقيا . قال ابن ماجد في «السفالية» :

أما الذي يطلب زنجباري يحكم في الريح وفي المجاري
موسمه السبعين في خروجه وفي الثمانين يكون ولوجه

يقول من يقصد (زنجبار)[٣] من (كاليكوت) يخرج في السبعين من النيروز ، ويكون دخوله مرسى زنجبار في الثمانين من النيروز ، أي بعد عشرة أيام من خروجه من مرسى (كاليكوت) . وسنة النيروز العربي / الهندي ، عند البحارة

العرب والهنود ، أيام ابن ماجد ، وسليمان المهري من بعده ، تبدأ ـ كما ذكرنا من قبل ـ في الثالث عشر من شهر تشرين الثاني . وأعرف أحد البحارة المسنين ، لا يزال على قيد الحياة ، قطع الرحلة مع زملائه ، من (المليبار) من ساحل الهند الغربي إلى (السواحل) من شرقي افريقيا[٤] في عشرة أيام .

فاتجاه خط الرحلة بين شرقي افريقيا ، إلى الجنوب من خط الاستواء ، وساحل الهند الغربي مطابق لاتجاه كل من الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، والرياح الشمالية الشرقية . لذلك يصل المسافر من شرقي افريقيا إلى الهند ، قبل من يسافر إليها من ساحل بلاد العرب الجنوبي ، وهو أقرب إلى الهند من صاحب شرقي افريقيا ، لأن خط رحلته منحرف عن خط اتجاه الرياح الجنوبية الغربية . وكذلك في حالة السفر من الهند إلى كل من شرقي افريقيا وبلاد العرب .

أما سبب وصول سفن (داغاما) إلى (كاليكوت) بالمليبار بعد خمسة وعشرين يوماً ، من خروجها من (ماليندي) بشرقي افريقيا ، فيرجع إلى أن انطلاقها من (ماليندي) كان في ٢٤ من شهر ابريل[٥] ، وعادة لا يبدأ موسم هبوب الرياح الجنوبية الغربية إلا في شهر مايو ، وفيه تسافر السفن من شرقي افريقيا ، والمراسي القريبة من الهند من بلاد العرب ، إلى الهند ، وهو الموسم الأول للسفر إلى الهند .

وفي الغالب تختلف الرياح في العشرة الأيام الأخيرة من شهر ابريل ، والعشرة الأولى من مايو ، فتارة تهب الرياح الجنوبية الغربية ، وتارة الرياح الشمالية الشرقية . وهذا ما يؤكده ما ورد في يوميات سفينة القيادة للحملة LOGBOOK ، من أن هبوب الرياح أثناء الرحلة ، كان ، أحياناً ، معاكساً لاتجاه سير السفن[٦] .

وبعد شهر مايو يتوقف سفر السفن الشراعية في غربي المحيط الهندي بسبب اشتداد هبوب الرياح الجنوبية الغربية ، ويستمر توقفه حوالى ثلاثة أشهر : يونيو ، ويوليو ، وأغسطس . ومن أواخر شهر أغسطس يبدأ سفر السفن ، في الموسم الثاني ، إلى الهند ، ويستمر السفر في هذا الموسم ، من بعض المراسي ، إلى العاشر من شهر سبتمبر . أما السفر من الهند إلى شرقي افريقيا وبلاد العرب

فيستمر موسمه طوال معظم أيام موسم الرياح الشمالية الشرقية[٧] .

فالرحلة من شرقي افريقيا إلى الهند يستطيع أن يقوم بها ، إذاً ، أي ربان لديه علم بقياس ارتفاع نجم القطب الشمالي ، المعروف عند البحارة بـ (الجاه) ، الذي تحدد به عروض المراسي وغيرها في الملاحة القديمة . وليس فيها شيء من خطورة تلك الرحلة ، التي قام بها ابن ماجد من (كاليكوت) إلى (جدّة) في الأيام الأخيرة من موسم هبوب الرياح الشمالية الشرقية ، والتي يفخر بها - كما رأينا من قبل - ابن ماجد ويقول أن البحارة تعجبوا منها .

وكان البرتغاليون بعد اكتشافهم لطريق رأس (الرجاء الصالح) ، ومعرفتهم لمخاطر بحر (سفالة) والبحار التي تليه جنوباً ، سيصلون بالطبع إلى الهند ، وإلى غيرها من الأقطار المطلة على المحيط الهندي ، حتى وإن لم يرشدهم إليها أحد . فالطريق إليها أصبحت مفتوحة أمامهم . ولولا أن مجيئهم ، لأول مرة ، كان لغرض الوصول إلى الهند ، في أقصر فترة ممكنة ، لكان بامكانهم الاستمرار في مسايرة ساحل افريقيا الشرقي إلى رأس (جردفوي) ثم الانطلاق إلى ساحل بلاد العرب الجنوبي ، ومسايرته إلى عمان ، ومن هناك ينطلقون إلى (جوزرات) بالطرف الشمالي الغربي من الهند . فطريق رأس (الرجاء الصالح) قد فتحت لاوروبة باب المحيط الهندي الذي ظلت تسعى للوصول إليه منذ الحروب الصليبية[٨] .

والعجيب أن ما من أحد ، لا من الذين يزعمون أن ابن ماجد هو الذي دل البرتغاليين على طريق الهند ، ولا من الذين ينكرون ذلك ، قد نظر فيما ذكره ابن ماجد في الأرجوزة «السفالية» من أخبار الإفرنج (البرتغاليين) في حملتهم الأولى والثانية ، لعله يجد في ذلك القول الفصل فيما هم فيه مختلفون .

فقد ذكر ابن ماجد في أبيات قليلة متفرقة طرفاً من أخبار الإفرنج (البرتغاليين) في رحلتهم الأولى والثانية . ففي الرحلة الاولى يصف غرق بعض سفنهم في بحر (سفالة) بسبب سفرهم في موسم توقف السفر فيه . قال :

زلوا بها الإفرنج غلق الموسم   في عيد ميكال بالتوهم
قام عليهم موج تلك الروس   في سفاله بقي معكوس

وانقلبت أدقالهم في الماء والسفن فوق الماء ياخائي
غرقى يرون بعضهم لبعض كن عارفاً موسم تلك الأرضِ

يقول عبرت الإفرنج بسفالة في موسم توقف السفر إليها ، فقام عليهم الموج عند رؤوس ساحل سفالة ، فانقلبت سفنهم ، فصارت الأدقال ، أي الصواري ، في الماء وهياكل السفن فوق الماء . فكن يا أخي عارفاً موسم السفر إلى تلك الأرض . وهذه الكارثة التي حلت بسفن (فاسكو داغاما) ، في رحلته الأولى ، تذكرها التقارير البرتغالية[9] ، ولم تبق منها غير ثلاث ، هي التي وصلت إلى (ماليندي) .

ويقول أن مراكب الإفرنج عبرت في سنة تسعمائة من الهجرة ، بحر جنوب افريقيا ، وأن رحلتها من بلاد الإفرنج إلى الهند تستغرق عامين كاملين :

جازتها في عام تسع مايه مراكب الإفرنج ياخايهْ
تجيز عامين كاملين فيها ومالوا الهند باليقين
ورجعوا من هندهم للزنج في ذي الطريق الإفرنج

بدأت رحلة (داغاما) الأولى ، من البرتغال ، في ٨ يوليو ١٤٩٧م ، وفي ١٥ ابريل ١٤٩٨ وصل إلى (ماليندي) ، وفي ٢٤ ابريل من هذه السنة واصل رحلته إلى الهند ، ووصل إلى (كاليكوت) في ٢٠ من شهر مايو . وسنة ١٤٩٨م توافق سنة ٩٠٣هـ ، فإذا أضفنا العامين الكاملين في البيت الثاني إلى تسعمائة في البيت الأول ، يصير تاريخ هذه الرحلة عند ابن ماجد قريباً من تاريخها بالسنة الميلادية المذكورة .

وبعد ذا في عام تسع مايه وست جاءوا الهند ياخايهْ
واشتروا البيوت ثم سكنوا وصاحبوا وللسوامر ركنوا
والناس تضرب فيهم الظنونا ذا حاكم أو سارق أو مجنونا
وتضرب السكة وسط البندر بندر كاليكوت بين السفرِ
ياليت شعري مايكون منهم والناس معجبين من أمورهمْ

وفي عام تسعمائة وستة عاد البرتغاليون إلى الهند ، ويوافق هذا العام الهجري العام ١٥٠٢م . والسوامر جمع سامري . ويعرف سلطان (كاليكوت) عند العرب بـ (السامري) . وفي هذه الرحلة اشتروا البيوت ، وركنوا ، أي وثقوا ، بصداقة (السوامر) ، وضربوا السكة وسط بندر (كاليكوت) بين المسافرين . والناس في حيرة من أمرهم . وابن ماجد كذلك لا يدري «ما يكون منهم ، أي ما ينوون عمله ، وما يسعون إليه من مجيئهم إلى الهند .

وفي أبيات اخرى من الأرجوزة يبدو أنه نظمها بعد أن عرف نوايا البرتغاليين وما شرعوا من ملاحقة السفن العربية ، وقطع الطريق عليها بين مدخلي البحر الأحمر والخليج العربي وبين كل من الهند وشرقي افريقيا :

وجا لكاليكوت خذ ذي الفايدة	لعام تسع مايه وست زايدة
وباع فيها واشترى وحكما	والسامري برطله وظلما
وصار فيها مبغض الإسلام	والناس في خوف واهتمام[٩]
وانقطع المكي عن أرض السامري	وشد جردفون للمسافري

المكي : يعني المسافر من (جدّة) ، وأرض السامري : كاليكوت . وشد : تصحيف لفظة تحمل معنى المنع ، أي منع السفر عبر طريق (جردفوي) ، بين البحر الأحمر وشرقي افريقيا ، من رأس (جردفوي) أو (جردفون) جنوباً .

وكانت رحلة (داغاما) الأولى رحلة استكشافية ، حاول فيها التودد إلى حكام وأهالي المراسي التي مرّ بها بعد عبور رأس (الرجاء الصالح) . فعندما وصلت الحملة إلى (موزمبيق) ظنهم الأهالي من الأتراك ، أو من المغرب العربي ، فرحبوا بهم ، وقام السلطان بزيارة سفينة القيادة . وعندما قَدّم له أحد قادة الحملة قلنسوة حمراء أهداه السلطان ، مقابل ذلك ، سبحة سوداء ، وطلب منهم أن يرى ما عندهم من المصاحف وكتب الشريعة الإسلامية ، فلمّا عرف أنهم مسيحيون دَبّر حيلة للقبض عليهم لكن (داغاما) عرف ما يدبر له ، فهرب من مرسى (موزمبيق) بعد أن قصف بمدافعه قاربين فيهما حشد من الأهالي[١٠] .

وكانت أخبار قدومهم إلى (موزمبيق) قد سبقتهم إلى (كلوة) المسيطرة على (سفالة) و(موزمبيق) ، وإلى (ممباسا) حليفتها ، فشاع فيها القلق والخوف ، وبسبب المنافسة المريرة بين (ممباسا) ، حليفة (كلوة) ، وبين (ماليندي) استقبلت (ماليندي) البرتغاليين استقبالاً ودياً ، وزودتهم بما يحتاجون إليه من المؤونة وبمرشد بحري ليدلهم على طريق الهند[١١] .

وأثار وصول البرتغاليين إلى (كاليكوت) الشك والارتياب في نفس سلطانها (السامري) ، فاستقبل (داغاما) بفتور ، ولم يبد أي استعداد للدخول معه في أية معاهدة[١٢] . لكن سلطان (كوشي) المنافسة لكاليكوت ، رحب بهم وسمح لهم ببناء قلعة على ساحل كوشين ، فكانت أول قاعدة للبرتغال في الهند[١٣] .

وتكشفت نوايا البرتغاليين في رحلة (داغاما) الثانية ، حين أخذت سفنهم تتصيد المراكب العربية في بحر العرب ، وتحاول شل حركة التجارة البحرية العربية ، بين الهند وبلاد العرب ، عن طريق فرض حصار على مدخلي البحر الأحمر والخليج العربي[١٤] . وأرغم (داغاما) سلطان (كلوة) على دفع أتاوة سنوية للبرتغال[١٥] . واعتبر سلطان (ماليندي) ، من بين جميع سلاطين وشيوخ المستوطنات العربية على الجزر والشريط الساحلي من شرق افريقيا ، صديقاً لملك البرتغال[١٦] ، فسلمت ماليندي من بطش البرتغاليين والمصير المؤلم الذي لاقته على يدهم بقية المستوطنات .

ولم يذكر ابن ماجد صراحة أنه دلّ البرتغاليين على طريق الهند ، غير أن هناك ثلاثة أبيات يمكن أن تفسر بذلك ، لا سيما وأنها قد وردت في هذه الأرجوزة التي يذكر فيها البرتغاليين . هي :

وخصني والي البـلاد بـالسفـر ... من دون غيري بالهدى والظفر
لا شـك أن من يرى بـالعين ... تـركن إليـه النـاس بـاليقين
قـد ركنـوا لي والنبي الهـادي ... وتـركوا من لم عـاين البـلاد[١٧]

فالمعنى المفهوم من هذه الأبيات أن حاكم أو والي البلاد قد خصه ، من بين الربابنة ، بالسفر والهداية ، ووثق به لعلمه بسعة خبرته .

فالناس ، عادة ، تثق بمن جرّب الشيء وعاينه . لكن من هو والي البلاد ؟
وما هي البلاد ، ووجهة السفر إليها وطريقها ؟ ذلك ما لم يصرح به ابن ماجد .

الفصل الرابع

نثره ونظمه

لم يعرف لابن ماجد ، حتى الآن ، غير كتاب «الفوائد في أصول علم البحر والقواعد» ، وله كتاب ، لا يزال مجهولاً ، ذكره في كتاب «الفوائد» . شرح فيه منظومته البائية المسماة بـ «الذهبية» . وكان قبل كتاب «الفوائد» قد ألّف في علم الملاحة كتاباً ، أو موسوعة ، من عشرة أجزاء ، فخشى أن يستثقلها النساخ والقراء[1] ، لا سيما البحارة فإنهم في البحر ـ كما قال ـ منهكون من العمل الشاق في السفينة «وفي البر كالمجانين»[2] . يعني أنهم في البر يسرعون في أسواق البنادر كالمجانين ، يبيعون ما جلبوه ويشترون ما يحتاجون إليه ، وما يرون له رواجاً ، في الأسواق الأخرى ، من السلع الخفيفة الثمينة . فاختصر من العشرة الأجزاء كتاب «الفوائد» . وفرغ من تأليفه «في سنة خمس وتسعين وثمانمائة من الهجرة النبوية»[3] ، بعد تسع وعشرين سنة من نظم أرجوزة «الحاوية» التي نظمها ـ كما قال ـ في أول شبابه .

وفي نهاية المخطوطة التي نشر صورتها المستشرق الفرنسي (فيران) السالف ذكره ، والتي تضم كتاب «الفوائد» ومجموعة من قصائد ابن ماجد ، نجد فصولاً في (المناتخ) ، وهي العلامات التي ينتخ ، أي يقبض ، بها البحار المكان

المقصود ، بمعنى يهتدى بها ألى مدخل المكان المقصود . هذه الفصول المنثورة لا نعلم إن كانت لابن ماجد ، أم أن (النوخذا) أو الربان ، جامع هذه المجموعة من قصائد ابن ماجد قد أضافها إليها .

أما نظمه فهو كثير . وما عرفناه منه ، حتى الآن ، هذه المجموعة من قصائده التي نشر (فيران) صورة مخطوطتها ، وعددها ١٦ قصيدة هي :

١ - «حاوية الاختصار في أصول علم البحار» . وهي باكورة منظوماته الطويلة في قواعد علم الملاحة . عارض بها من حيث عدد أبياتها أرجوزة والده المسماة بـ (الحجازية) ، السابقة الذكر ، وفرغ من نظمها في سنة (٨٦٦هـ) ، وهو في أول شبابه . عدد أبياتها - كما قال - (١٠٨٢) بيتاً . المعروف منها (١٠٧١) بيتاً . مطلعها :

الحمد لله الخالق ذي الجلال   القاهر الفرد بلا مثال

٢ - «المعرَّبة» : أرجوزة من مائة وثمانية وسبعين بيتاً ، صحح فيها قياسات الخليج البربري (خليج عدن حالياً) ، ومجاريه أي مسالكه من مرسى (حافون) إلى (باب المندب) . ومن مراسي الساحل البربري (الصومالي) إلى مراسي الساحل العربي المقابل له . ووصف علاماته البحرية والبرية . مطلعها :

يا سائلي عن صفة المجاري   ثم قياس الأنجم الدراري

٣ - «تصنيف القبلة» : منظومة من (٢٩٥) بيتاً في وصف جهات القبلة ، حسب أخنان ، أي أجزاء ، دائرة (بيت الإبرة) ، (البوصلة) ، في جميع أقطار العالم القديم . فرغ من نظمها في شهر محرم سنة ٨٩٣هـ . مطلعها :

باسم الإلـه المستعان أبتدي   مصلياً على النبي أحمدِ

٤ - «أرجوزة بر العرب في الخليج» : قصيدة في وصف دير (مسالك) الخليج العربي ، عدد أبياتها ، في المخطوطة ، مائة بيت . مطلعها :

يا طالقاً من آخر الفرات   والبصرة الفيحاء خذ وصاتي

٥ ـ «أزوام الجمّة» : منظومة في تقسيم أزوام الجمة على حركات كوكبة (بنات نعش الصغرى) (الدب الأصغر) في مدارها . وزام الجمة هو الزام العرفي عند البحارة ، ويقدر بثلاث ساعات ، وبربع وَضْح ، أي ربع النهار ، الذي يقدر باثنتي عشرة ساعة (٣×٤=١٢) . وعدد أبياتها في المخطوطة (٢٢١) بيتاً . مطلعها :

يا قاسم الأرزاق لم ينس أحد فرد غياث المستغيثين صمدْ

٦ ـ «كنز المعالمة» : منظومة في وصف قياسات النجوم المستعملة لدى البحارة وأقدارها . عدد أبياتها في المخطوطة (٧١) بيتاً . مطلعها :

يا أيها الناس ماذا شئتموا قولوا الأرض معلومة والبحر مجهول

٧ ـ «المناتخ» : منظومة في وصف مناتخ ، أي علامات وقياسات ، بر الهند وبر العرب . وقياسات مراسي كل منها . وعلامات الاقتراب منها . عدد أبياتها في المخطوطة (٢٢٥) بيتاً . مطلعها :

يا طالب النتخة بالحقائق من كل بر بقياس فائق

٨ ـ «مخمسة الاستوائيات» : قصيدة مخمسة في وصف قياسات النجوم الاستوائيات ، أي المسامتة لخط الاستواء والقريبة منه . عدد أبياتها في المخطوطة (١٧) مخمساً ، نظمها سنة ٩٠٦هـ . مطلعها :

تأمل وشاور واسهر الليل واعزم وحقق ودقق واحفظ السر واكتم

٩ ـ «ميمية الأبدال» : قصيدة في قياسات نجوم الأبدال . وهي أن تقيس نجمين أحدهما في ناحية المشرق والآخر في المغيب[١] . عدد أبياتها في المخطوطة (٦٤) بيتاً . مطلعها :

سهاداً حكت عيني عصارة عندم وكل نجوم الليل تسأل عن دمي

١٠ ـ «ضريبة الضرائب» : منظومة في تدريج بعض قياسات النجوم على قياس نجم القطب الشمالي المعروف عند البحارة بـ(الجاه) ، وقياسه قياس

العرض الخالص . ويذكر في القصيدة بعض ترفات الأخنان القريبة من خن القطب الشمالي . (الجاه) في بيت الإبرة ، عدد أبياتها في المخطوطة (١٩٢) بيتاً . مطلعها :

شباب برأسي أعجب الناس من أمري أتاني عقيب الشيب في آخر العمر

١١ - «عدة الشهور الرومية» : قصيدة في عدد الأشهر الرومية ، وأيام كل شهر منها . في (١٣) بيتاً . مطلعها :

خيار شهور الروم ياخير خلاني نظمت إلى القاصي من الناس والداني

١٢ - «المكيّة» : في وصف السفر من (جدّة) إلى مارسي ساحل الهند الغربي ، وعمان ، وهرمز . عدد أبياتها في المخطوطة (١٧١) بيتاً . مطلعها :

فؤادي أسير الحي من شِعْب عامر أحوم عليها بالدجى والهواجر

١٣ - «نادرة الأبدال» : في شرح قياس أبدال نجمي (النسر الواقع) مع (ذبّان العيوق)[*] في (٥٧) بيتاً . مطلعها :

تركت اشتغالي بالمها والجآذر وصرت مغرى بالنجوم الزواهر

١٤ - «الفائقة» : في شرح قياس (الضفدع) مع تقييد قياس (سهيل) من (٥٧) بيتاً . مطلعها :

أقول والفلك تجري بالشراعين في ليلة لم تر فيها الكرى عيني

١٥ - «البائية المسماة بالذهبية» : في شرح الإرقاق والإغزار ، أي الاقتراب من الساحل والابتعاد عنه إلى عرض البحر ، والعلامات البحرية لبر الهند والصومال ، وقياساتها ، وغيرها . عدد أبياتها في المخطوطة (١٩٣) بيتاً . مطلعها :

بدأت باسم الله ربي وخالقي ومستخلفي في جيرتي وأقاربي

١٦ - «البليغة» : في قياس نجم سهيل والسماك الرامح . عدد أبياتها في المخطوطة (٦٥) بيتاً . مطلعها :

سهرت وغيري خالي البال هاجع غراماً ومثلي كيف يهنا المضاجع

١٧ ـ «السبعية» : في وصف السفر من (كاليكوت) بالمليبار من ساحل الهند الغربي إلى (جدّة) . وقياسات جزر (الغال) (لكاديف حالياً) ، وعلامات قرب بر الهند والصومال ، والسفر بمحاذات ساحل الهند الغربي . عدد أبياتها في المخطوطة (٣٠٢) بيتاً . مطلعها :

تبارك الذي هدانا في بحره المسجور ثم أنجانا

١٨ ـ «الهادية» : في السفر من عمان إلى مراسي ساحل الهند الغربي ، وعلامات هذا الساحل وقياساته . أبياتها (٥٥) بيتاً . ومطلعها :

الحمد لله الحميد الهادي في بره وبحره للرشاد[٦]

١٩ ـ «القافية» : في علم المجهولات ، عدد أبياتها الأصلية (٤٠) بيتاً ـ كما جاء في البيت التالي منها :

وأعدادها أعداد شهر وعشرة كذلك جاءت كالعروس المقرطق

أما في المخطوطة فالموجود منها (٣٣) بيتاً . مطلعها :

خليلي هبا واسمعا در منطقي فلا عاش من يخفي العلوم ولا بقي

وفي المخطوطة التي عثر عليها في سنة ١٩١٩م بين مخطوطات معهد الدراسات الشرقية بلينينجراد ، ثلاث من منظومات ابن ماجد ، حققها (ث. شوموفسكي) هي :

٢٠ ـ «السفالية» : في وصف الطرق البحرية من ساحل الهند الغربي وعمان إلى مراسي ساحل شرقي افريقيا من رأس (جردفون) أو (جردفوي) إلى (سفالة) بساحل (موزمبيق) وقياساتها ، وعلاماتها البحرية . عدد أبياتها في المخطوطة (٨٠٧) أبيات . مطلعها :

الحمد لله الذي أنشأ الملا من عدم جل تعالى وعلا

٢١ ـ «المُعْلَقِيَّة» : في وصف السفر من (كاليكوت) إلى (مَعْلَقَة) أو (ملقه) بشبه جزيرة (مليزيا) . أبياتها في المخطوطة (٢٧٣) بيتاً . مطلعها :

عـزمت والعزم حميـد في السفر لا سيـما من بلدة فيـهـا ضرر

٢٢ ـ «التائية» : في وصف الرحلة من (جدة) إلى (عدن) . عدد أبياتها (٥٤) بيتاً . مطلعها :

سرت نسمة الفردوس من أرض مكة بريح الصبا فاشتاقت السير جلبتي[٧]

وفي كتاب «الفوائد» يأتي ابن ماجد بأمثلة من قصائد لم يعثر عليها بعد ، نذكرها هنا كما وردت في الكتاب :

٢٣ ـ قصيدة طويلة في النأي والبعد ، يقول فيها :

وأرى ملوك الأرض تغدر بالذي يستصحبون وما غـدرت بصاحبي

٢٤ ـ قصيدة في المواسم ، يقول فيها :

إذا لاح بالفجر الغراب تقاصرت عن الهند ركاب المجاوز في اليمن[٨]

٢٥ ـ أرجوزة في قياس نجمي (التير) و(السلبار) مطلعها :

يـا سـائـلي عن صفـة القيـاس اعـلم وعلمـه جميـع النـاس

٢٦ ـ قصيدة في قياس نجم (الجون) طالعاً ، وهو من نجوم بنات نعش الكبرى (الدب الأكبر) ، وقياس (الفرغ المؤخر) غارباً . أولها :

ابـدأ بـاسـم الملك الـرحمن ....

٢٧ ـ من قصيدة قالها في أيام الشباب :

يـا ليلة قـد غـار منهـا الـزمـان حيث تنـادي بـالأمـان الأمـان

٢٨ ـ من قصيدة قالها في معاشرة الإنسان لمن لا يسير مسيره :

إقامتي بين من لا يقتفي أثـري أمر من خطرات البحر في المطر

٢٩ ـ من قصيدة يصف فيها قياس (الإكليل) :

يــا أيهــا الــلواط كم تـشــتري   وتـشتـهي بـيعــة حـي بميـت

٣٠ ـ قصيدة يقول فيها :

يفــوتـك غفلة نــظمي ونــثري   وتــزعــم أن لــيــلك ذو نهار

٣١ ـ من قصيدة يصف فيها موج البحر :

ومبغوضة للنـاس في كل حـالة   إذا ما استمر الريح شد شديدها

٣٢ ـ قصيدة في إلفة النجوم له ، يقول فيها :

هذي النجوم اشتكت مني لخالقها   تقـول هذا جفـانا في تنـوخـذه

٣٣ ـ قصيدة يقول فيها :

ولا بد من شيخ يريك شخوصها   وإلا فنص العلم عندك ضائـع

٣٤ ـ من قصيدة نظمها في عصر الشباب :

عــذولي لام فيـك فــما أجنه   فـاعكس بالـوصـال قبيح ظنه

٣٥ ـ من قصيدة نظمها في أيام الشباب ، يذكر فيها (الناجد البراق) ، وهو نجم أبيض كبير خفاق من نجوم (الجوزاء) :

مـا قاطعـوك عن العتاب ورسله   إلّا وليس لهم بـوصلك بـاغي

٣٦ ـ من قصيدة يصف فيها فرساً :

أدهم أبيض المحيــا وثلثي شــ   ــعر الـذيـل خلتـه في الهيـاج

الــثريـا إذا بــدت أو سهيــل   ســاقط في الخضم والليـل داج

٣٧ ـ من قصيدة نظمها بعد أيام الشباب وطيشه :

لقد كنت قبل اليوم مملوك شهوة   وقد صرت حراً والهوى صار خادمي

٣٨ ـ من قصيدة في فضل العلم :

العلم لا يعرف مقداره إلاّ ذوو الإحسان عند الكمال

٣٩ ـ قصيدة يقول فيها :

تقف عني إذا حضرت فإني كالثريا وأنت كالإكليل

٤٠ ـ من قصيدة نظمها في أيام الشباب في الراح :

أشرقت على كأس اللجين بنورها فلكم تميل العقل عن منهاجه

٤١ ـ ومن قصيدة اخرى في الراح من أيام الشباب أيضاً :

صفراء ساطعة كالنار لم أرها في الكأس إلا نفت همي وأحزاني

٤٢ ـ قصيدة طويلة يقول فيها :

عن نحوكم قدمي ذا غير منصرف والنحو من حكمة الأقلام ينصرف

٤٣ ـ من قصيدة طويلة :

إذا كنت في السنجار فالكل يهتدي بنور علومي كالسماكين في السماء

ومعنى هذا البيت أنه إذا كان في السنجار ، وهو مجموعة من السفن تسافر معاً . وكانت السفن الشراعية تسافر في موسم السفر إلى الهند أو غيرها في مجموعات ، كل مجموعة تسمى (سنجار) وكل مجموعة تتقدمها سفينة الربان الذي لديه خبرة بالسفر إلى الجهة التي تقصدها المجموعة ـ فابن ماجد يقول أنه إذا كان في (السنجار) فأصحاب السفن يهتدون بنور علومه ، كما يهتدي الناس بنجمي السماكين : السماك الرامح والسماك الأعزل .

٤٤ ـ قصيدة قصيرة في أزوام ترفّا(٩) الثريا يقول فيها :

يقولون أزوام الثريا قليلة وما هي إلاّ أربعون فصاعدا

٤٥ ـ قصيدة في وصف مساكل خن الثريا . منها :

كانت الثريـا والسماك مقـاصدي وكانت طريقي جردفون وقـرطلا

٤٦ ـ قصيدة في القياس المغلق . قال فيها :

سهرت الليل ارصاداً أو شوقـاً فـغـلق ذاك طـرفي والـفـؤاد

٤٧ ـ قصيدة يقول فيها في وصف نجم (نسر الشام) أي (النسر الواقع) والقلب :

كـأني بنسر الشام والقلب قـادة يجرون ما تحوي المجرة من نجم

٤٨ ـ قصيدة في (النجم) أي الثريا و(باره) أي العيوق . يقول فيها :

شهـد الـيراع بـأن خط عـذاره يخفي لـبـدر الليـل ثـم نهاره

٤٩ ـ قصيدة يقول فيها في نجم (سهيل) و(السلبار) :

ونجمان في (هنور) سبع أصابع إذا ما استقل النجم ست بساجر

ومعنى البيت أن قياس سهيل والسلبار ، أي ارتفاعهما عن خط الأفق ، وقت استقلال (الثريا) ، أي وقوفها على سمت الرأس ، يكون سبع أصابع في (هنور) ، ميناء على ساحل الهند الغربي ، وعند (ساجر) وهو جبل على ساحل بلاد العرب الجنوبي ، إلى الشرق من رأس (فرتك) يكون قياسهما ، أي قياس ارتفاعهما عن خط الأفق ، ست أصابع وقت استقلال منزلة الثريا أيضاً[١٠] .

٥٠ ـ قصيدة قافية يقول فيها :

وهـاك دليلاً في سهيـل مؤكـداً يـؤثـر آثـار السـلاف المعتـق

٥١ ـ قصيدة يمدح فيها من يسميهم بالليوث . وكانوا قد ألفوا (رحماني) أو (رهماني) ، وهو كتاب الإرشادات الملاحية وقواعد علم الملاحة ، في عصر الخلافة العباسية ، يبدو أنه كان من بين الكتب الملاحية الأخرى التي بقيت تستعمل عند البحارة العرب إلى أيام ابن ماجد (قال) . قال :

يـاابن شاذات يـاسهـل وثـالثهم السـابقـون بعلم معجب حسن

٥٢ ـ قصيدة نونية مطلعها :

قمت بهـا خـاضبـة اليـديـن

....

٥٣ ـ قصيدة في قياس (السلبار) و(الواقع) . منها :

إذا مـا الكـاثـر المشهـور امسى لـذبـانـا هنـالـك في الأفـول

(الكاثر) : من أسماء نجم (الواقع) أي (النسر الواقع) . والذبان : أربع أصابع .

٥٤ ـ قصيدة هي ـ كما قال ـ من خيرة قصائده . قال فيها :

رصدي طال في (الجدي) وفي (الجَـــدي) وفي (السابقين) و(الدبران)

ويقول رصده طال لهذه النجوم[١١] .

٥٥ ـ النونية الكبيرة المسماة بـ(قصيدة الخيل) ، تصف قياس المراكب التي تنقل الخيل من بلاد العرب إلى الهند ، شطر مطلعها الأول هو :

أبـدأ بـاسـم الأول الـرحمن ....

٥٦ ـ من قصيدة نظمها في أيام الشباب :

حضر المـدام ومـنـيـتي والمـاء فلحـا العـذول وعـذلـه اغـراء

٥٧ ـ قصيدة في قياس المربع :

قيس المربع اثنتا عشر باستقامات ....

٥٨ ـ من قصيدة في الرئاسة :

رئـاسـات الـرجـال بغـير علم ولا تقـوى الإلـه هي الخسـاسـة

٥٩ ـ قصيدة طويلة قال فيها :

دیارك مغناطيس رجلي إن مشت وشخصك مغناطيس قلبي وناظري

٦٠ ـ من قصيدة في الثريا :

أرعى الـثريا راقبـاً صـاحبهـا والليل يغريها لتشرب من دمي

٦١ ـ من قصيدة في وصف قياس نجم (السلبار) :

لعمرك لولا السلبار لما اهتـدى معـالمة التنبـول والتمر والبسر[٦٣]

٦٢ ـ قصيدة يقول فيها :

لمـا تحققت شيئـاً لا دوام لـه حبسـت عنـان الشرح والـقلم

٦٣ ـ القصيدة العينية :

ذلك ما عرف من نثر ونظم ابن ماجد . ومن المحتمل جداً أن يكون له ، غير ما ذكر ، من النثر والنظم لم يعرف بعد ، ولم يشر إليه في كتاب «الفوائد» . فقوله : «وكذلك في الحاوية وغيرها من النظم والنثر»[٦٤] يدل على أن له من النظم غير أرجوزة «الحاوية» ، ومن النثر غير كتاب «الفوائد» . لكن ما يؤسف له جداً أن معظم نظمه قد عبثت به أقلام النساخ وألسنة الرواة . ويبدو أن بعض هؤلاء وأولئك لا يفقهون اللغة العربية . فقول ابن ماجد في مطلع احدى قصائده ، مثلاً :

قمت بهـا خـاضبـة اليـدين ....

نجده في موضع آخر هكذا :

قمت بهـا خـاضبـة الإصبعين ....

فكأن الناسخ لا يفرق بين الإصبعين واليدين ، ولا يعلم أن الخضاب لا يكون في إصبعين من أصابع اليدين ، وربما لا يعرف ما معنى الخضاب . ونجد في القصيدة الواحدة كثيراً من التصحيف والتحريف والإسقاط . بعضها يجعل البيت لا معنى له ، كقول ابن ماجد ، مثلاً :

وهـاك دليلاً في سهيـل مؤكـداً   يـؤثــر آثــار الســلاف المعتـق

الذي نجده في موضع آخر على النحو التالي :

وهـاك دليلاً في سهيـل مؤكـداً   يــا ابن آثــار الســلاف المعتـق

وهكذا أصبح البيت باستبدال (يؤثر) بـ (ابن) لا معنى له . والبعض الآخر يغير المعنى الأصلي الذي يقصده ابن ماجد ، كما في قوله في قصيدته «القافية» :

بسلخ جمـاد قالها نجل مـاجد   وفي عام خمسة بعد ستين سَبِّق
بتـاسع قـرن من مئين تقـدمت   من الهجرة الغراء فاحسب وطَبِّق

فمن المؤكد أن ابن ماجد لم يعش إلى سنة ٩٦٥هـ ، ففي هذه السنة يكون قد بلغ من العمر ـ إن ظل عائشاً ـ حوالى مائة وخمس وعشرين سنة . كما أن بين هذه السنة وسنة ٩٠٦ التي عاد فيها البرتغاليون إلى الهند ، للمرة الثانية ، كما يذكر في أرجوزة «السفالية» ٥٩ سنة . فهل يعقل أن يظل صامتاً هذه الفترة الطويلة ، ثم ينظم بعدها هذه القصيدة في علم الفلك البحري في ظل سيطرة البرتغال على الملاحة في غربي المحيط الهندي والخليج العربي ؟ فلفظة (تاسع) هي ، دون شك ، تحريف (ثامن) ، ومن المحتمل أن تكون (ستين) ، هي أيضاً ، تحريف (سبعين) أو (تسعين) ، وأن البيتين كانا في الأصل على النحو التالي :

بسلخ جمـاد قال نجـل مـاجـد   وفي عام خمسة بعد سبعين سَبِّق
بثـامن قرن من مئـين تقـدمت   من الهجرة الغراء فاحسب وطَبِّق

وقد شكا ابن ماجد من عبث النساخ وإفسادهم لدفاتر الإرشادات ، والمنظومات الملاحية ، حيث قال :

والاستــوائيــات فـجـربـوهـا   لـكـنهـا الـنـســاخ غــيروهــا
وصـيروا في الـتـريـنـة آفــات   من عصر الاسكندر لذي الأوقات

أما ضعف القافية في بعض الأبيات ، أو ضعف بعض اللفظ من حيث النحو والصرف ، فقد اعتذر عنه ابن ماجد في قوله في «السبعية» :

إن كـان في ألفاظهـا والقـافيـة ضـعفـاً تـرى المعـاني وافيـة

ونلاحظ أن جميع منظومات ابن ماجد غير كاملة ، أعني أن عدد أبياتها الموجودة تنقص عن العدد المذكور في القصيدة ، ما عدا أرجوزة «السفالية» التي نجد عدد أبياتها المنشورة يزيد على عدد أبياتها المذكور في آخرها ، وهو سبع مائة بيت . ويرجع هذا ، في رأيي ، إلى أن الأرجوزة إما أن تكون من (تسع مائة بيت) ، وأن لفظة (تسع) كانت في الأصل الأول (سع) بدون نقط ، وأن الناسخ أخطأ فقرأها (سبع) . وعلى هذا تصبح أبيات الأرجوزة ناقصة وليست زائدة ، وهذا ما نلاحظه في تفكك الأرجوزة ، فقوله ، مثلاً :

والـبر يـوالي حـكم الجـمـيـع كفيت كـل الـبر والتصـديـع

وليس له ارتباط بهذا البيت الذي يتلوه :

وجا لكاليكوت خذ ذي الفايدة لعـام تسعـمايـه وست زايـدة

فبين البيتين ـ كما يظهر بوضوح ـ أبيات سقطت تتحدث عن (الإفرنجي) قبل مجيئه لكاليكوت في عام ٩٠٦هـ . وإما أن ابن ماجد قد عدّل الأرجوزة وأضاف إليها أبياتاً ، كما فعل في بعض قصائده ، كالذهبية وغيرها . أما ما ظنه بعضهم من أن الأبيات الزائدة منحولة[١٥] فغير صحيح ، فالأرجوزة مجرد نظم في الإرشادات الملاحية ، خالية من الشعر ، مثلها في ذلك «ألفية» ابن مالك . فمثل هذا النظم لا ينحل . ولماذا ينحل ؟



الفصل الخامس

علم الملاحة ومساهمة ابن ماجد في تهذيب قواعده وتطويرها

يقول (المقدسي) في وصف مهارة من سافر معهم من البحارة العرب في البحر الأحمر ، وبحر العرب بأنهم «من أبصر الناس به [يقصد البحر] وبمراسيه ، وأرياحه ، وجزائره . فسألتهم عنه وعن أسبابه ، وحدوده ، ورأيت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعوّلون عليها ، ويعملون بما فيها[1]» .

هذه الإشارة العابرة إلى دفاتر الإرشادات الملاحية ، التي كان البحارة العرب يتدارسونها ويعولون عليها في أسفارهم في القرن الرابع الهجري ، دليل صريح على أن للملاحة عند العرب قواعد وأسس مدونة في دفاتر ، يتناقلها البحارة جيلاً بعد جيل .

ويبدو أن (المقدسي) لم يفهم شيئاً من هذه الدفاتر ، أو المرشدات البحرية لأنها ـ كما نعتقد ـ لا تختلف عن دفاتر البحارة المتأخرين ، فهي مكتوبة باللهجة العامية المليئة بالرموز والمصطلحات البحرية التي لا يفهمها أحد من غير البحارة . لذلك كانْ الواحد من هذه المرشدات يُهمل ويُترك طعماً للديدان بعد موت صاحبه إن لم ينتشله من هذا المصير بحار آخر .

هكذا ضاعت المرشدات الملاحية ، أو (الرهمانيات)[٢] العربية القديمة ، ولم يبق منها إلى عصر ابن ماجد - كما يبدو - غير عدد قليل جداً ، أشهرها ذلك الكتاب أو (الرهماني) الذي ألفه من أسماهم ابن ماجد بالليوث الثلاثة ، وهم : محمد بن شاذان ، وسهل بن أبان ، وليث بن كهلان . وقد رأى ابن ماجد نسخة منه بخط اسماعيل بن حسن بن سهل بن أبان ، حفيد سهل بن أبان أحد الليوث الثلاثة ، يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ثمانين وخمسمائة من الهجرة[٣] . ويقول إن الليوث أخذوا عن مؤلفات (أحمد بن تبرويه) في علم الملاحة . كما أخذوا وصف البرور عن الربان (خواشير بن يوسف بن صلاح الأركي) ، وأخذوا عن كل واحد معرفته ببره وبحره . وأن كتابهم ملفق لا صحة له ، وأغلبه في وصف البرور ، ومسايرتها ، ووصف الأعماق ، خاصة برور (تحت الريح)[٤] وبر الصين . وأن مراسي هذه البرور قد اندرست وتنكرت أسماؤها[٥] .

ومع أننا لا نعرف عن (رهماني) أو (رحماني) الليوث أكثر مما ذكره عنه ابن ماجد ، إلا أن قوله في موضع آخر من «كتاب الفوائد» : «ولم يعمل أهل زماني بما ألّفه القدماء إلا قليلاً مثل الدير الصحيحة ، وترّفات الرحويات ، وأما الشقاقات فلا»[٦] يجعلنا نعتقد أن (رحماني) الليوث وغيره من (رحمانيات) العصر العباسي ، لا تختلف عن (رحمانيات) عصر ابن ماجد ، إلا في الطرق البحرية ، وقياس عرض بعض الأماكن ، ومواسم الأسفار وغيرها من المسائل التي يختلف فيها ، عادة ، بحارة العصر الواحد ، تبعاً لاختلاف تجاربهم واجتهاداتهم ، وأن قواعد علم الملاحة عند البحارة القدماء لا تختلف عن قواعده عند بحارة عصر ابن ماجد . فتلك الرحلات الطويلة في عرض البحر ، كالرحلة من (عُمان) إلى جزيرة (قنبلو) (مدغشقر) ، أو ميناء (سفالة) على ساحل افريقية الجنوبية تؤكد أن البحارة العرب كانوا يسافرون في أيام (المسعودي) فيما يعرف في علم الملاحة بـ (ديرة المطلق) ، وهي الطريق التي تقطع عرض البحر بين برّين منفصلين ، أو ما يعرف اليوم بأعالي البحار ، بخلاف (ديرة البر) أو (ديرة المُل) المسايرة لخط الساحل .

ومع أن ابن ماجد قد انتقد - كما رأينا - رهماني (الليوث) إلّا اننا نجده في مواضع اخرى من «كتاب الفوائد» وفي بعض قصائده يشيد بالليوث وعلمهم ،

ويعتبر نفسه رابعهم في التأليف في علم الملاحة ، ويفخر بذلك . قال في قصيدته «ميمة الأبدال» :

وألقوا سلاح الجهل لما تحققوا مقالي في عرب وعجم وديلم
بقولي إني رابع لثلاثة فحق لحسادي تموت من الغم[٧]

وقال في قصيدة اخرى[٨] :

يا ابن شاذ ان ياسهل وثالثهم السابقون بعلم معجب حسن
علم نفيس لكن من تداوله سواكم فهو منسوب إلى الغبن
خلفتموني وحيداً في الزمان وقد كنتم ثلاثة أحبار على الزمن

وفي الحقيقة كانت كتب الإرشادات الملاحية الجيدة ، بوجه عام ، قليلة جداً ، وكان أكثرها ـ كما قال سليمان المهري ـ مجرد «وريقات ملفقة وأراجيز مفرقة»[٩] . وكانت الإرشادات الملاحية تجمع عادة للاستعمال الشخصي ، فقد كان البحار بعد أن يترقى إلى درجة ربان ويتولى مسئولية قيادة السفن يجمع لنفسه هذه الإرشادات من مختلف (الرحمانيات) بخطه أو خط غيره ، إن كان أمياً ، وباللهجة التي يفهمها هو وزملاؤه ، كما نلاحظ في مرشدات البحارة المتأخرين ، ثم يضيف إليها ما تحقق من صحته من تجاربه الملاحية .

وكانت المعلومات الملاحية تنتشر بين رجال البحر ، وتنتقل من جيل إلى جيل ، عن طريق المنظومات والأراجيز ، أكثر من انتشارها عن طريق (الرحمانيات) ، أو الحلقات التي كانت تعقد في خانات البنادر ، وظهور السفن في المراسي ويتناظر فيها كبار الربابنة[١٠] وذلك لسهولة حفظ المنظومات والأراجيز وروايتها . يؤكد ذلك كثرة المنظومات المتداولة بين البحارة في كل عصر ، وأن ما خلفه ابن ماجد في علم الملاحة من الشعر يفوق ما خلفه فيه من النثر . بل إننا لا نعلم من النثر غير كتاب «الفوائد» وكتاب آخر ، لم يعثر عليه بعد ، شرح فيه قصيدته المسماة بـ «الذهبية» ذكره في كتاب «الفوائد»[١١] هذا إلى ان باكورة مؤلفاته الملاحية كانت منظومة شعرية هي أرجوزة «الحاوية» التي يقول فيها :

يغنيك عن رهمانجات النثر هذا الذي نظمته بالشعر

وهي أقدم منظومة وصلت إلينا في قواعد علم الملاحة .

وعلم الملاحة ـ كما عرّفه كل من ابن ماجد وسليمان المهري ـ علم «عقلي تجريبي» : فالتجريبي منه مثل (الدّير) ، ومواسم الأسفار ، وعلامات البرور . فالديرة من (عدن) إلى (رأس فرتك) في خن مطلع السماك . أي أنك إذا سرت في اتجاه هذا الخن تصل إلى رأس فرتك . فهذه الديرة ثبتت صحتها بالتجربة . كذلك ثبت بالتجربة أن الموسم الملائم للسفر من بلاد العرب الجنوبي إلى الهند هو في الربع الأخير من موسم هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، وفي الأيام الأولى من موسمها .

والنظري منه كتصور مدارات الكواكب ، وصور المنازل والبروج ، ودوائر الكرة : دائرة معدل النهار (خط الاستواء) ، دائرة منتصف النهار ، الدائرة الأفقية ، وغير ذلك مما لا غنى عن معرفته من الفلك البحري . وحساب ترفات الأخنان ، أي قطع إصبع عرضية من قياس نجم القطب الشمالي المعروف عند البحارة بـ (الجاه) وذلك بالجري في أي خن غير خني المشرق على (٩٠)° والمغيب (٢٧٠)° ، لأنهما خني الطول الخالص .

ومن علم الملاحة ما تثبت صحته بالتجربة ونظر العقل معاً ، كالقياس والمسافة . فقياس (رأس الحد) بالطرف الجنوبي الشرقي من (عمان) هو عند جميع البحارة (١١ إصبعاً) من قياس نجم الجاه . أي أنه ثبت بالتجربة أن ارتفاع نجم الجاه عن خط الأفق ، وقت استقلال منزلة (الصرفة) هو (١١ إصبعاً) عند (رأس الحد) . فهذا هو قياسه عند جميع البحارة . والمسافة عندهم من (رأس مامي) بجزيرة سقطرى إلى جزر (خوريا موريا) أربعة وعشرون زاماً ، لأنها ترفات في خن الجاه . فقياس (رأس مامي) هو (٥ أصابع) أي أن ارتفاع نجم الجاه عن خط الأفق عند هذا الرأس ، وقت استقلال منزلة الصرفة ، أي توسطها في السماء ، هو أعني ارتفاع الجاه ، خمس أصابع ، وعند جزر (خوريا موريا)ثمان أصابع فالفرق بين قياس (مامي) وقياس (خوريا موريا) ثلاث أصابع ، فإذا جريت من (مامي) إلى (خوريا موريا) في خن القطب الشمالي (الجاه) ، وهو خن الديرة بينهما ، فإنك تصل إلى (خوريا) بعد قطع أربعة وعشرين زاماً قياسياً . أي انك

إذا جريت في خن الجاه ثمانية أزواج ارتفع نجم الجاه إصبعاً واحدة ، فتصير الثلاث الأصابع بأربعة وعشرين زاماً (٨-٥=٣×٨=٢٤) .

ويرى سليمان المهري أن ما ثبتت صحته بالتجربة ونظر العقل من علم الملاحة هو أصح من النظري أو التجريبي المحض ، كما يرى أن بعض (التجريبيات) أصح من بعض (العقليات) ، أو العكس[١٢] أما ابن ماجد فيرجح كفة التجريب على ما عداها . فالتجريب عنده «هو كل شيء» في الملاحة و«ما فوقه شيء»[١٣] . ويكرر نصيحته للربان بألّا يعمل إلا بما جرب صحته . قال في «الحاوية» :

فكل ما جربت يا ربانا اعمل به في كل ما تعتانا

وألّا يعتبر إلا ما جربه وتحقق من صحته :

لا تعتبر إلّا بما جربته أو يكن الوصف قد حققته

وأهم ما يشترط على قائد السفينة معرفته من قواعد الملاحة في كل رحلة هو : جهة المكان المقصود ، والموسم الملائم للسفر إليه ، بحيث يكون مهب الرياح ملائماً لسير السفينة في الاتجاه المطلوب . ثم معرفة عرض المكان المقصود ، أي مقدار ارتفاع نجم القطب الشمالي (الجاه) عنده ، ليستخرج الفرق بينه وبين عرض المكان ، الذي يسافر منه ، من الأصابع ، فيعرف من الفرق بينهما مقدار المسافة أو الأصابع التي يجب عليه قطعها ، وهذا يستلزم المعرفة التامة بنجوم القياس والمنازل . ثم معرفة العلامات البحرية كأعماق البحر ، التي يستدل بها على معرفة الطريق الصحيح والأمين . والحيتان ، وبعض الطيور ، وثعابين البحر وغيرها من العلامات التي يستدل بها على قرب البرور . والخبرة في سياسة المركب وتصريفه في الأحوال المعاكسة .

الأخنان :

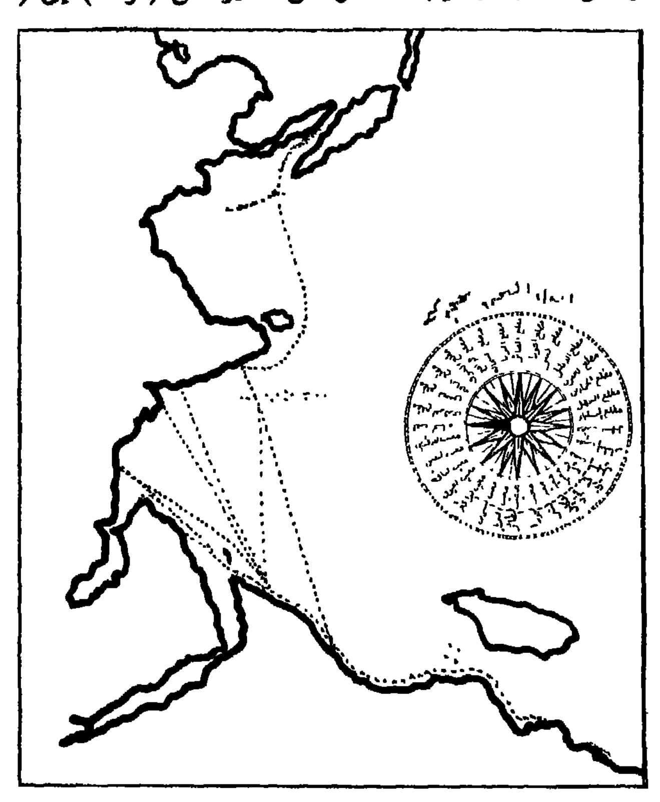
وجهة المكان المقصود إمّا أن تكون معروفة بالتجربة لدى الربان ، أو يستخرجها من دفاتر الإرشادات الملاحية . وقبل استعمال بيت الإبرة المغناطيسية

(البوصلة) كان البحارة العرب يستدلون بالنجوم على معرفة الجهة المقصودة . بل إن بحارة البحر الأحمر ظلوا حتى زمن قريب جداً يهتدون بالنجوم في أسفارهم . ويخبرنا الرحالة العربي ابن جبير (٥٣٩ - ٦١٤هـ) (حوالى ١١٤٥ - ١٢١٧م) أن بحارة السفينة التي سافر فيها من (عيذاب) على الساحل المصري إلى (جدّة) لم يعرفوا الجهة المقصودة في ظلام العاصفة الذي عمّ الآفاق إلى أن ظهر بعض النجوم فاستدل بها بعض الاستدلال[١٤] . ويقول المقريزي (١٣٦٥ - ١٤٤١م) أن البحارة العرب كانوا يحملون معهم في أسفارهم حديدة مجوفة على شكل سمكة ، غاية في الرقة . فإذا لم يروا ما يهديهم من الكواكب إلى معرفة الجهات ، وضعوا على فم السمكة شيئاً من مغناطيس جيد ، ويحكّونه بالمغناطيس . ثم يضعون السمكة ، أي الحديدة ، على ماء في حقة فتستدير وتستقبل بفمها القطب الجنوبي وتستدبر القطب الشمالي[١٥] .

كما يستدل بقول المقريزي أيضاً على أن البحارة العرب لم يستعملوا سمكة أو إبرة المغناطيس المثبتة بالحقة إلاّ منذ عهد قريب جداً . وأنهم لا يستعملون سمكة المغناطيس إلاّ إذا كانت السماء محتجبة بالغيوم ولم يروا من النجوم ما يهديهم إلى معرفة الجهات . وعدّ ابن ماجد تثبيت المغناطيس بالحقة من اختراعاته ، حيث قال : «ومن اختراعاتنا في علم البحر تركيب المغناطيس على الحقة»[١٦] . ولأن سمكة أو إبرة المغناطيس ظلت عند البحارة العرب ، غير مركبة على الحقة أو بيت الإبرة ، حتى عصر المقريزي ، الذي أدركه ابن ماجد في طفولته ، فإن ذلك يؤكد قول ابن ماجد هذا . وتركيب المغناطيس على الحقة يعني وضعه في الموضع الصحيح بالنسبة لدائرة الأخنان .

والدائرة الأفقية مقسمة عند البحارة العرب والهنود إلى اثنين وثلاثين جزءاً أو خناً ، تُحدّد بموجبها الجهات . واعتبر لكل جزء أو خن احدى عشرة درجة وخمس عشرة دقيقة من الدائرة . وقدّر ابن ماجد الجزء أو الخن من الدائرة الأفقية بقبضة اليد[١٦] . وسُمّي كل خن أو جزء من الدائرة الأفقية باسم النجم المقابل له ، أو القريب منه من النجوم التي كان البحارة يستدلون بها على معرفة الجهات كالجوزاء ، والعيوق ، والثريا ، وغيرها . وبموجب هذا التقسيم قسمت أيضاً

دائرة بيت الإبرة ، بحيث يقابل طرفا إبرة المغناطيس خني القطبين : الشمالي والجنوبي . وبموجب الأخنان تحدد جهات الأماكن المقصودة . وسميت أجزاء أو أخنان نصف الدائرة الشرقي أخنان مطالع النجوم ، والتي في النصف الغربي أخنان مغارب النجوم . فيقال ، مثلاً ، ان (رأس فرتك) من (عدن) فإنه يأمر مدير الدّفة بأن يجعل مجرى السفينة في هذا الجزء أو الخن من دائرة بيت الإبرة (البوصلة) ، وذلك بأن يدير السكان بحيث يجعل صدر المركب مقابل لهذا الخن ، أعني مطلع (السماك) في بيت الإبرة ، وليس في السماء ، لأن النجوم باستثناء العيوق لا تقابل أخنانها الموضوعة في بيت الإبرة . وعكس خن مطلع (السماك) في الدائرة هو خن مغيب (التّير) ، وهو خن الديرة من (فرتك) إلى (عدن) ، فإذا



بيت الإبرة وأجزاؤها (أخنانها) عند البحارة العرب . الخطوط المنقوطة في الخريطة هي خطوط رحلتي (المعلقية) و(السفالية) .

جعل مدير الدفة صدر السفينة أمام هذا الخن من (رأس فرتك) فإنه يصل إلى (عدن) .

وأهم إضافات ابن ماجد في هذا الجانب تحقيق وضبط اتجاهات الطرق البحرية في الخليج البربري ، المعرف حالياً بـ (خليج عدن) ، خاصة الديرة البرية لساحل الصومال ، أي الخط البحري المساير لاتجاه بر الصومال ، والمطالق بينه وبين ساحل بلاد العرب الجنوبي . والمطالق هي الطرق البحرية المنطلقة من بر إلى بر آخر منفصل عنه[١٧] . وكانت مسالك هذا الخليج وقياساته ـ كما قال ـ من أول الزمان إلى زمانه مجهولة[١٨] . وفي ذلك يقول في قصيدة «الخليج البربري» :

إني قد سافرتها بالعمد   مالي قصد غير هذا القصدِ
إن لم أكن أكشفها بالجهد   من ذا الذي يسطو عليها بعدي
والناس من قبلي وفي أيامي   ما كمّلوا فيها على التمامِ

لكن هذا لا يعني ، بالطبع ، أنها كانت مجهولة أيضاً لدى البحارة المحليين من الساحلين : الصومالي والعربي .

كما ضبط اتجاهات الطرق البحرية بين شرقي افريقيا ، من رأس (جردفوي) أو (جردفون) إلى (سفالة) بساحل (موزمبيق) حالياً ، وبين كل من ساحل بلاد العرب الجنوبي ، وساحل الهند الغربي ، وشرحها أرجوزته السفالية التي يقول فيها :

ومن قال سوفالية قد هدى بها   هنود وأهل الزنج ثم المغارب

المنازل :

والمنازل أجزاء للبروج التي قسمت إليها دائرة أو فلك البروج ، وعددها اثنا عشر برجاً ، على عدد أشهر السنة ، تقطع الشمس ، كما يبدو لنا من دوَران الأرض حول الشمس ، برجاً واحداً كل شهر ، في دورانها في فلك أو دائرة البروج التي تستكمل دورتها في السنة مرة واحدة . وقسمت هذه الدائرة ، لنزول

القمر ، إلى ثمان وعشرين منزلة ، ينزل القمر منزلة واحدة كل ليلة ، ويقطعها جميعاً في دورانه حول الأرض مرة كل شهر . وجعلوا لكل برج من الدائرة ثلاثين درجة (١٢×٣٠°=٣٦٠°) ، فصار في كل برج منزلتان وثلث منزلة . وتطلع في كل ساعة منزلة وسدس منزلة ، وبذلك يمكن التعرف بسهولة على المنازل . فإذا بدأنا رصدها من منزلة (الثريا) ، وهي مجموعة من النجوم الصغيرة على شكل عنقود ، يمكن تمييزها بسهولة من بين النجوم ، فبعد طلوعها من الأفق بأقل من ساعة تطلع من مطلعها المنزلة التي تليها ، وهي منزلة (الدبران) . فإذا كان طلوع الثريا في الساعة السابعة ليلاً ، مثلاً ، فإن المنازل التي تطلع بعدها حتى الساعة الرابعة من الفجر عشر منازل ونصف منزلة هي : الدبران ، الهقعة ، الهنعة ، الذراع ، النثرة ، الطرف ، الجبهة ، الزبرة ، الصرفة ، العواء ، ونصف منزلة السماك[٢٩] وإذا كانت (الثريا) آخر ما يطلع من المنازل قبل شروق الشمس ، فإن طلوعها في هذا الوقت يستمر ثلاثة عشر يوماً ، ثم تطلع بعدها المنزلة التي تليها ، أي ان الطلوع الحولي للمنازل الذي يحدث بفعل دوران الأرض حول الشمس يستغرق ثلاثة عشر يوماً تقريباً لكل منزلة (١٣×٢٨=٣٦٤) . أما الطلوع اليومي الذي يحدث بفعل دوران الأرض حول نفسها ، فتطلع في كل ساعة ـ كما قلنا ـ منزلة وسدس منزلة ، لا نرى منها ، بالطبع ، إلا ما يظهر بالليل . ولكل منزلة رقيب من المنازل ، وهي المنزلة التي تقابلها ، تطلع إذا غربت وتغرب إذا طلعت .

ولا فائدة للبحار من معرفة المنازل غير معرفة ما يصاحب طلوعها في الفجر أو سقوطها ، أي غروبها ، في الفجر أيضاً ، بعد حوالى ستة أشهر ، من تغير في حالة الطقس ، من رياح وأمطار ، وحر وبرد ، وغيره . كما يضبط بوقت استقلالها ، أي وقوفها في منتصف السماء ، وقت قياس النجوم . ويعرف باستقلالها أيضاً مقدار ارتفاع نجم (الجاه) في مداره حول مركز القطب الشمالي . ويسمى ارتفاعه عن أسفل مداره ـ كما ذكرنا ـ باشياً .

ويؤرخ طلوع المنزلة الحولي بالفجر وغروبها بالفجر أيضاً بعد ستة أشهر تقريباً ، بأيام النيروز ، وهو عند البحارة النيروز العربي / الهندي ، وتبدأ سنته في

الثالث عشر من شهر تشرين الثاني(٣٠) ، وهي غير مقسمة إلى أشهر وأسابيع ، كبقية السنين ، وإنما تحسب بعدد أيامها فقط . كما تؤرخ بالنيروز مواسم قياسات النجوم ومواسم الأرياح والأسفار .

القياس :

ومعرفة القياس لا تقل أهمية عن معرفة الأخنان في فن الملاحة . فالقياس ـ كما قلنا ـ يحدد عرض المكان المقصود ، وعرض المكان الذي تنطلق منه السفينة ، والفرق بين العرضين هو المسافة بينهما ، تحسب أزواماً يقطعها المركب بجريه في (ديرة) المكان المقصود ، أي في الخن الذي يقع في جهته المكان المقصود . فقياس (رأس فرتك) ، مثلاً ، ست أصابع ونصف إصبع ، أي أن ارتفاع نجم (الجاه) عن الأفق عند (فرتك) ، وقت توسط منزلة (الصرفة) صفحة السماء ، هو ست أصابع ونصف إصبع . وعرض (عدن) خمس أصابع بقياس نجم (الجاه) ، فالفرق بين العرضين ، وهو أصبع ونصف ، هو المسافة بين (فرتك) و(عدن) ، وقطع إصبع أو (ترفه) ـ كما تسميها البحارة ـ في خن مطلع (السماك) أو مغيب (التير) بخمسة وعشرين زاماً ـ عند البحارة العرب ـ فتصير الإصبع والنصف في هذين الخنين بسبعة وثلاثين زاماً ونصف زام يقطعها المركب المسافر من (عدن) إلى (فرتك) أو العكس . لكن البحارة لا يعتمدون على (ترفات) الأخنان ، أي عدد الأزوام التي إذا قطعها المركب في أي خن ، ارتفع أو هبط نجم (الجاه) إصبعاً ، لأن أغلبها غير صحيح[١٧] وإنما يعتمدون في رحلاتهم على قياس ارتفاع (الجاه) . فإذا رأى الربان أن قياسه لا ينقص عن قياس المكان المقصود غير نصف أو ربع إصبع عرف أنه يقترب منه . كما يعتمدون على العلامات البحرية كأعماق البحر وغيرها .

والقياس لا يزيد على اثنتي عشرة إصبعاً ، ونادراً ما يستعمل قياس ثلاث عشرة إصبع ، بسبب عدم قدرة العيدان التي يقاس بها ارتفاع النجم ، ابراز قياسات النجوم المرتفعة الصحيحة لتقوس قبة السماء ، واستقامة عيدان القياس .

والقياس المستعمل غالباً هو احدى عشرة إصبعاً ، وهو قياس (رأس الحد) بالطرف الجنوبي الشرقي من (عمان) . ويتناقص بالطبع ، إذا واصلنا السير نحو الجنوب ، قياس نجم (الجاه) حتى يختفي في البحار الجنوبية . وعندما يكون ارتفاعه عن الأفق مقدار إصبع ، يقاس (الفرقدان) بدلاً عنه ، وارتفاعهما هناك ، أي في المكان الذي يكون ارتفاع (الجاه) عنده مقدار إصبع ، يقدر بثماني أصابع . والفرقدان هما الكوكبان النيران المتقدمان من كوكبة (بنات نعش الصغرى) أو (الدب الأصغر) ، وقياسهما يعتبر مكملاً لقياس (الجاه) ، أي القياس الأصلي الذي تحسب به عروض البلدان عند البحارة العرب والهنود ، في البحار الجنوبية التي لا يرى فيها (الجاه) . وعند اختفاء (الفرقدين) في مثل بحر جزر الهند الشرقية ، أو بحر (سفالة) وجزر (القمر) بشرقي افريقيا الجنوبية ، يقاس (النعش) ، ويعنون بالنعش نجمي (الجون) و(العناق) من نجوم (بنات نعش الكبرى) أو (الدب الأكبر) . ويبدأ قياسهما من اثنتي عشرة إصبعاً ، ويمر خط عرض هذا القياس بالساحل الشمالي من جزيرة (جاوه) شرقاً ، و(ممباسا) بساحل شرقي افريقيا غرباً . وليس لقياس (النعش) نهاية متفق عليها بين البحارة ، فرحلات البحارة لم تكن تصل إلى ما وراء بحر (سفالة) جنوباً ، ومعلوماتهم عن الخطوط البحرية ، والقياسات هناك منقولة عن بحارة شرقي افريقيا ، وهم ـ كما قال سليمان المهري ـ قليلو المعرفة بفن الملاحة[19] ، وأوصل سليمان المهري قياس النعش إلى إصبع واحدة بالطرف الجنوبي من جزيرة (القمر) (مدغشقر)[20] .

وقياس كل من (الجاه) و(الفرقدين) و(النعش) يعتبر قياساً أصلياً ، به تعرف عروض البلدان عند البحارة . ولم يذكر ابن ماجد أو سليمان المهري قياساً أصلياً تعرف به عروض البلدان الشمالية من قياس ثلاث عشرة إصبعاً ، وهو عند ابن ماجد قياس (جرون) عاصمة مملكة (هرمز) ، أي ان الخليج العربي والجزء الشمالي من البحر الأحمر ، ليس له عندهم قياس أصلي ، فأعلى قياس لنجم (الجاه) هو ـ كما قلنا ـ ثلاث عشرة إصبعاً . فإذا جملنا القياسات الأصلية جميعاً نجد جملتها لا تزيد على اثنتين وثلاثين إصبعاً :

الجاه ١٣ + الفرقدان ٧ + النعش ١٢ = ٣٢ إصبعاً

وهي تساوي أربعة وخمسين درجة وستة أسباع درجة . باعتبار الإصبع درجة وخمسة أسباع درجة . وهذا القدر من الدرج يحدد لنا عرض رقعة نشاط العرب الملاحي في المحيط الهندي أيام ابن ماجد وسليمان المهري . أما نشاطهم طولاً فليس له قياس يحدده كالعرض ، وكان في عصرهما يصل إلى (سيام) وجزر الهند الشرقية شرقاً وغرباً إلى ساحل شرقي افريقيا .

ولا يقاس ارتفاع الكوكب إلا وقت استقلال احدى المنازل ، أي وقت وقوفها في وسط السماء ، وذلك من أجل ضبط وقت أخذ قياس الكوكب في الليالي التالية . فلو أننا قسنا أحد الكواكب ، بدون شاهد يضبط وقت أخذ قياسه ، في الساعة الرابعة من فجر أحد الأيام ، مثلاً ، فإننا نجده في مثل هذه الساعة من اليوم التالي قد ارتفع عن مستوى قياسه في اليوم الأول بسبب تقدم طلوعه قبل وقت طلوعه في اليوم الأول . وهكذا نجده يتقدم في طلوعه بفعل دوران الأرض حول الشمس ، حتى يطلع وقت غروب الشمس ، فيترك قياسه حتى يطلع وقت الفجر مرة اخرى بعد حوالى ستة أشهر . أما إذا قيدنا وقت قياسه باستقلال احدى المنازل ، فإن زيادة ارتفاعه أو انخفاضه تكون بمقدار اقترابنا أو بُعدنا عنه ، ولا يتغير إلا وقت أخذ قياسه ، الذي يتقدم بمقدار تقدمه في الطلوع كل ليلة . فإذا قسناه في أول يوم في الساعة الرابعة من الفجر فإننا نقيسه في الليلة التالية قبل الساعة الرابعة . وهكذا يتقدم وقت قياسه حتى نقيسه عند طلوعه بأول الليل(٢١) .

وأدوات القياس عيدان أو خشبات ـ كما تسمى أحياناً ـ لا يزيد القياس بأطولها على اثنتي عشرة إصبعاً ، وعددها عند ابن ماجد اثنا عشر عوداً(٢٢) وقد قسمها ابن ماجد إلى ثلاث مجموعات ، كل مجموعة من أربعة عيدان . أربعة منها كبار وهي للقياسات المرتفعة ، ويشترط أن يمد القائس بها يده ما استطاع بين عينه اليمنى وبين خط الأفق والنجم . وأربعة متوسطات وقياسها معتدلاً ليس فيه زيادة كقياس العيدان الكبيرة ولا نقصان كقياس العيدان الصغيرة . والأربعة الأخيرة صغار ، ويشترط أن يقصر القائس بها يده قدر ما استطاع . وينبغي في كل قياس أن يكون بين النجم وأعلى عود القياس مقدار خيط كحد السكين . وكذلك بين سطح البحر عند الأفق وأسفل العود(٢٣) .

ويذكر ابن ماجد أنه قاس مرة بالاسطرلاب[٢٤] لكن قياس الاسطرلاب بالدرج ، كما يذكر سليمان المهري قياس (الربع المجيّب)[٢٥] .

والإصبع القياسية عند البحارة ليست الإصبع العادية ، فهذه يختلف حجمها ، بالطبع ، تبعاً لاختلاف أحجام الأشخاص ، وإنما هي عندهم الإصبع المضبوطة التي قدرت بربع (الذُّبان) ، أي أن (الذبان) أربع أصابع . وجعله البحارة أساساً تقص بموجبه عيدان القياس ، وقدّره ابن ماجد : من الشطب ، أي خط الشقوق الذي يلي منبت إصبع الخنصر من راحة الكف اليسرى إلى منبت ظفر الخنصر[٢٦] . لكن سليمان المهري يشترط لصحة الذبان أن يكون مطابقاً للمسافة بين نجم (العيوق) ونجم صغير يتلوه من ناحية المشرق ، عند وقوفهما معتدلين في منتصف الجانب الشرقي من السماء ، ووقت استقلال منزلة (الجبهة) ، أي وقوفها في منتصف السماء . ويسمى النجم الصغير (ذبان العيوق) لأنه يبعد عنه بمقدار أربع أصابع على رؤية البصر[٢٧] .

ويبدو أن أصل الإصبع المضبوطة هو الإصبع العادية المعتدلة ، فابن ماجد كان يستعمل أصابعه العادية في القياس ، ففي قصيدته «المكية» يقول :

أصابع سبع قستهم بأناملي ويقص ربعاً ليس فيه مكابر

وقال في «ضريبة الضرائب» :

ومن قاس في جاه أربع بسماكه فخمس يراه من أنامله العشر

يقول من قاس نجم (السماك) في المكان الذي يرى منه نجم (الجاه) على ارتفاع أربع أصابع وقت استقلال منزلة (الصرفة) ، فسيرى قياسه ، أعني (السماك) ، خمس أصابع من أصابعه العشر . وليس يعني هذا أن (السماك) يقاس وقت استقلال (الصرفة) كنجم (الجاه) ، وإنما المراد قياسه في المكان الذي يكون عرضه أربع أصابع من قياس الجاه .

و(الجاه) نجم صغير من القدر الثالث[٢٨] ، أقرب نجوم (بنات نعش الصغرى) أو (الدب الأصغر) إلى مركز القطب الشمالي ، قدرت المسافة بين مداره ومركز القطب إصبعين ، أي ثلاث درج وثلاثة أسباع درجة . وعلى هذا يكون

بين حضيض مدار (الجاه) وذروته أربع أصابع ، اثنتان بين المركز وأسفل مدار (الجاه) واثنتان بين ذروة مدار الجاه ومركز القطب ، وكذلك فيما بين المركز وجانبي المدار . ويقاس (الجاه) عادة عندما يكون في أسفل مداره تحت القطب ، وفي ذلك الوقت تكون منزلة (الصرفة) في وسط السماء ، فوق سمت الرأس . وإذا قيس الجاه وهو على ارتفاع إصبع ، مثلاً ، عن أسفل مداره ، تحذف الإصبع الزائدة ، وما تبقى هو قياس الجاه الأصلي عندما يكون في أسفل مداره . ويسمى أي ارتفاع للجاه عن أسفل مداره (باشياً)[٢٩] .

ونلاحظ أن جهود ابن ماجد في تهذيب قواعد الملاحة وتطويرها قد تركزت في علم القياس ، أهم قواعد الملاحة . أما في غير القياس والاهتداء بالنجوم ، فيعترف ابن ماجد بأن هناك من رؤساء البحر من هو أعلم منه فيه . حيث قال : «وأما معرفة البحر وجزره ففي الآفاق من هو أخبر مني موجود . وأما رؤيا النجوم والهداية ، فما رأيته في هذا الزمان ، ولا في أهل الرصد ، [ولا في أحد][٣٠] من المعالمة . ومحال أن يتصور ذلك في شخص إلّا إذا كان اهتدى بتصانيفي ، في أول عمره ، وزاد في التجارب بنفسه ، وساعده الله بطول العمر ، فذاك الذي يدرك ادراكي في مدة عمره ، إن لم يشتغل بشغل غيره»[٣١] .

ويقول أنه وجد كثيراً من النجوم ، لها دلالة وهداية ، لم يجد في زمانه «من يعرفهن من أهل الفلك» فسماها وعمل بهدايتها . ويقول : «ولو حضرني خمسون كتاباً في علمهن لرددت عليها في هذا من غير كتاب ، بعبارات شتى لا يشبه بعضها بعضاً»[٣٢] .

ورتب «الهداية والدلالة والقياسات على نجوم لم يسبق إلى الهداية بهن»[٣٣] . وهداه طول تأمله للنجوم إلى تهذيب كثير من قياسات بعض الأماكن ، التي كانت البحارة تستعملها من قبل . ووضع قياسات دقيقة للأماكن ، وعلامات قرب البرور ، بحيث لا يخطىء من يعمل بها المكان الذي يقصده . قال في «الذهبية» :

فياراكبين البحر سلوبي واكتبوا ... فمرقاكم بالكتب لا بالكتائب
فإن مت قيسوا ما اخترعت وعولوا ... عليه فقد هذبته بالتجارب
فإن صح في نتخاتكم ما اخترعته ... فحي أنا والترب فوقي ترائبي

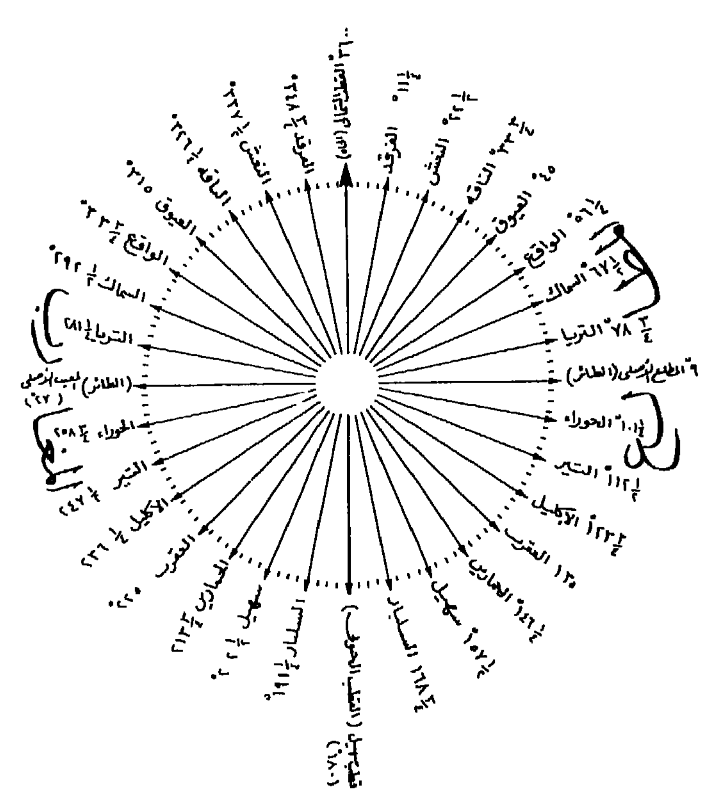
وقال يتحدى منافسيه أن يأتوا بمثل ما اخترعه من قياسات النجوم :

هذي النجوم وهذا البحر فاخترعوا مثلي وإلا ذا الأنين إلى أين[٣٤]

مسافة الطول والعرض :

تطلق المسافة ، عادة ، عند البحارة العرب ، أيام ابن ماجد وسليمان المهري على مسافة الطول ، كالمسافة بين رأسين أو ميناءين متقابلين شرقاً وغرباً . وهذه المسافة تستخرج من المسافة ، أو الأزوام ، التي وضعها علماء الملاحة بين أخنان أو أجزاء الدائرة الأفقية ، المطابقة لتقسيمات دائرة بيت الإبرة (البوصلة) . فجعلوا من خن القطب الشمالي (الجاه) إلى خن العيوق ، مطلعاً ومغيباً (انظر شكل بيت الإبرة) بين كل خن وآخر زامان ، في كل (ترفّا) يقطعها مركبان بالجري فيهما . فإذا جرى مركب في خن القطب الشمالي (الجاه) ثمانية أزوام ، مثلاً ، فإن نجم الجاه يزيد ارتفاعه عن خط الأفق مقدار إصبع ، لكن إذا جرى مركب آخر في خن الفرقد ، مطلعاً أو مغيباً ، فإنه لا يصل إلى النقطة التي يقابل فيها المركب الأول ، الذي جرى ثمانية أزوام في خن الجاه ، إلا بعد جري عشرة أزوام ، لانحراف خط خن الفرقد عن خط خن الجاه ، فإذا قابله من ناحية المشرق أو المغيب ، يكون ارتفاع نجم الجاه قد زاد إصبعاً ، أي في مستوى ارتفاعه في الثمانية الأزوام التي جراها المركب الأول في خنه . فزيادة ارتفاع نجم الجاه إصبعاً يكون في خن الفرقد بجري عشرة أزوام . وتسمى الأزوام التي إذا قطعها المركب في أي خن ، ما عدا خن المطلع أي المشرق الأصلي والمغيب ، وارتفع نجم الجاه مقدار إصبع ـ تسمى هذه اللأزمام (ترفا) أو (ترفة) . فترفة خن (الجاه) أو القطب الشمالي ، ثمانية أزوام ، وترفة خن الفرقد ، مطلعاً أو مغيباً ، عشرة أزوام ، بزيادة زامين على أزوام ترفة خن (الجاه) . وهذه الزيادة هي مقدار انحراف أو بُعد خن الفرقد عن خن (الجاه) في كل ترفة . أي أن المركب الذي يقطع ترفة في خن الجاه يكون بينه وبين المركب الذي يقطع ترفة في خن الفرقد زامان ، شرقاً وغرباً ، أو طولاً . وترفة خن النعش اثنا عشر زاماً ، بزيادة زامين على ترفة خن الفرقد ،

وأربعة أزوام على ترفة خن الجاه . وترفة خن الناقة أربعة عشر زاماً . فالمركب الذي يجري ترفة في خن الناقة يكون بينه وبين الذي جرى ترفة في خن النعش زامان ، وأربعة أزوام بينه وبين الذي جرى في خن الفرقد ، وستة أزوام بينه وبين الذي جرى في خن الجاه . وقس على ذلك في بقية ترفات الأخنان . وتكون ترفات أخنان نصف الدائرة الشمالي في ارتفاع نجم الجاه ، وأخنان نصف الدائرة الجنوبي في انخفاضه . فإذا جرى المركب في خن الجاه ثمانية أزوام ، مثلاً ، زاد ارتفاع أو قياس نجم الجاه إصبعاً ، لكن إذا جرى ثمانية أزواج في خن القطب الجنوبي ، المقابل لخن القطب الشمالي أو الجاه ، يهبط نجم الجاه إصبعاً ، أي ينقص قياسه إصبعاً . وقس على هذا في بقية ترفات الأخنان الجنوبية .



الأخنان (شكل ٢)

وبحارة المحيط الهندي ، من عرب وهنود وغيرهم ، متفقون على صحة ترفات الأخنان ، والأزوام بين الأخنان ، من خن قطب الجاه ، أي القطب الشمالي إلى خن العيوق ، من الأخنان الشمالية . ومن خن القطب الجنوبي ، أو قطب سهيل ، إلى خن العقرب ، مطلعاً ومغيباً ، من الأخنان الجنوبية . ومتفقون على فساد الترفات في بقية الأخنان . ولكل طائفة وضع خاص في ترفات الأخنان ، والأزوام بين الأخنان . وقد شرحت ذلك بالتفصيل في كتابي «فن الملاحة عند العرب» وكتابي «علوم العرب البحرية من ابن ماجد إلى القطامي»[٣٥] . وترفات الأخنان والأزوام بين الأخنان ، عند البحارة العرب ، على الوضع التالي :

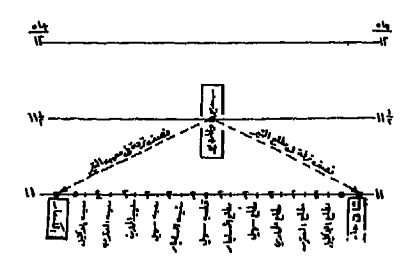
الخن	ترفته	العرض	الطول
الجاه	٨	٨	—
الفرقد	١٠	٨	٢
النعش	١٢	٨	٤
الناقة	١٤	٨	٦
العيوق	١٦	٨	٨
الواقع	٢٠	٨	١٢
السماك	٢٥	٨	١٧
الثريا	٣٠(*)	٨	٢٢

(*) ترفة الثريا عند ابن ماجد أكثر من ٤٠ زاماً .

والزام عندهم إما اصطلاحي ، أو قياسي ، والأول هو ـ كما ذكرنا من قبل ـ ربع الليل أو النهار ، أي ثلاث ساعات . فهو زام زمني . أما الزام القياسي فهو ثمن إصبع ، يعني أنك إذا جريت نحو أحد النجوم ، وقسته في الليلة التالية

فوجدت أن ارتفاعه عن الأفق قد زاد إصبعاً ، مثلاً ، فهذا يعني ، عندهم ، أنك قد جريت ثمانية أزوام . وإذا جريت نحو الجهة المقابلة له ، وابتعدت عنه ، ورأيت أنه انخفض مقدار إصبع ، فإنك تكون قد جريت ثمانية أزوام أيضاً[٣٦] .

مسافة الدرجتين بين (شاتي جام) و (الكنفار) بالبنجال



المسافة بين شاتي جام والكنفار هي مجموع الازوام التي بين الاخنان في مطلع النسر الى مغيبه لنصف ترفــة .

(شكل ٣)

استخراج مسافة الطول

والإصبع قدّرت بدرجة وخمسة أسباع الدرجة[٣٧] فتصير الثمانية الأزوام القياسية بمائة واثنين ميل ونصف ميل . لكن الثمانية الأزوام الزمنية أو الاصطلاحية بأربع وعشرين ساعة (٣×٨=٢٤) ، أي يوم كامل ، قد يقطع المركب خلاله ، في الجو الملائم ، أكثر من هذا القدر من الأميال . وعلى هذا يكون الزام الاصطلاحي أكبر من الزام القياسي . قال ابن ماجد : «وأما ضبط أزوام الجمة الاصطلاحيات فهي أكبر من أزوام الديرات والمسافات ، لأن من (مدركة) إلى (صوقرة) ستة عشر زاماً ، وربما يقطعها المركب في أقل من ثمانية أزوام»[٣٨] . فبين (مدركة) و(صوقرة) ، على ساحل بلاد العرب الجنوبي ، إصبع ، يقطعها المركب بستة عشر زاماً قياسياً ، في خن مغيب العقرب من (مدركة) إلى (صوقرة) ، وفي خن مطلع العيوق من (صوقرة) إلى (مدركة) . لأن ترفة كل من خن العيوق والعقرب ستة عشر زاماً . وصوقرة على خط عرض ثمان أصابع بقياس الجاه ، ومدركة على خط عرض تسع أصابع ، وهي في مطلع

العيوق من صوقرة ، وضد مطلع العيوق مغيب العقرب (انظر شكل أخنان بيت الإبرة) . لكن المركب قد يقطع هذه الأزوام الستة عشر بثمانية أزوام جمة اصطلاحية .

إلا أن ابن ماجد ، وخليفته سليمان المهري ، لا يؤمنان بصحة الأزوام بين الأخنان ، التي تحسب بها مسافة الطول عند القدماء ، ولا ترفات الأخنان . فابن ماجد يقول : «إن قول القدماء في الترفات غلط فاحش»[٣٩] ، وحذر الربان من أن يعتمد عليها في حساب المسافات . حيث قال[٤٠] :

وفي النجم والجوزاء تمد لطائر   ترفاك والأزوام أعظم كاذب(*)

وأتى بأمثلة كثيرة على فسادها في كتاب «الفوائد» ، شرحتها في كتابي «علوم العرب البحرية»[٤١] .

لذلك نجد ابن ماجد يكرر نصيحته للربان بأن يعتمد على القياس في نتخة البر ، أي عند امساك البر ، والوصول إليه ، وفي المجرى في المواضع الخطرة ، مثل بطن (هالوله) بجوار (حافون) جنوبي رأس (جردفوي) . قال : «وكذلك بطن (هالوله) جنب حافون ، لا تغفل عن القياس لئلا يطلع عليك البر»[٤٢] ، أي يحتويك البر . وقال : «واعلم أيها الطالب إن عند النتخة يكثر الكلام ، فما عليك منه ، واعتمد على قياسك»[٤٣] .

مواسم السفر :

أما مواسم السفر فمعرفتها مرتبطة بمعرفة مواسم الرياح الملائمة لها . وللسفر من بلاد العرب وشرقي افريقيا إلى الهند موسمان : الأول في الربع الأخير من موسم هبوب الرياح الجنوبية الغربية ، وتسمّية البحارة (الديماني) و(التيرما) . والثاني في الأيام الأولى من هبوب هذه الرياح ، وهو موسم قصير لا تسافر فيه

(*) النجم : من أسماء الثريا ، وخنها إلى الشمال من خن الطائر ، وهو خن المطلع أو المشرق الأصلي . والطائر : هو (النسر الطائر) . وخن الجوزاء إلى الجنوب من خن الطائر .

السفن إلى الهند إلّا من الموانىء القريبة إليها من بلاد العرب ، كموانىء حضرموت ، وعمان . كما تسافر فيه من موانىء شرقي افريقيا ، من (ماليندي) جنوباً ، لأن طريق المسافر من هذه الموانىء في اتجاه الرياح الجنوبية الغربية فتوصله إلى ساحل الهند الغربي قبل من يسافر إليه من المناطق الأقرب إليه من شرقي افريقيا كحضرموت وعمان . وبعد هذا يأتي موسم (غلق البحر) ، أي الموسم الذي يتوقف فيه السفر في البحر الهندي ، بسبب اشتداد هبوب الرياح الجنوبية الغربية ، في الفترة من مائتين إلى مائتين وتسعين من النيروز ، كما قال ابن ماجد في «الحاوية» :

من أول المائتين يا فطينا لأول المائتين والتسعينا
فهذه التسعون فيها الغلقا حقيق من جاز بها أن يشقى

وتوافق هذه الفترة من النيروز من أول شهر يونيه إلى نهاية شهر أغسطس ، لكن بعض السفن يسافر من الموانىء البعيدة ، مثل (عدن) ، وموانىء البحر الأحمر ، قبل نهاية موسم (الغلق) بعشرين وعشرة أيام ، حتى يصل إلى (الشحر) قبل الثلاثمائة من النيروز ، فإذا تأخر سفرها عن هذا التاريخ قد تصادف قبل وصولها إلى الهند الهبات الأولى من الرياح الموسمية الشمالية الشرقية فلا تدرك الميناء المقصود[٤٤] . وتعود السفن من الهند إلى بلاد العرب بالرياح الشمالية الشرقية ، وليس فيها (غلق) مثل الرياح الجنوبية الغربية ، إلا أن العواصف البحرية ، أو (الطوفانات) ، كما تسميها البحارة تكثر في موسمها ، أعني الرياح الشمالية الشرقية[٤٥] .

ويقول ابن ماجد إن الحكمة «كل الحكمة في معرفة المواسم»[٤٦] أي مواسم الرياح والسفر . ويشترط على قائد السفينة أن يكون عارفاً بكسور المواسم والأرياح . ويعني بكسور المواسم الأوقات الضيقة المتبقية من مواسم الأرياح ، فقد يصل مركب إلى المكان الذي يقصده بريح لا يصل بها إليه المركب الذي تأخر سفره عن المركب الأول بمقدار زام واحد ، وذلك بسبب هبوب الريح المعاكسة لمجراه ، قبل وصوله إلى المكان المقصود . ويضرب على ذلك بعض الأمثال فيقول ان المركب قد يعبر (رأس الحد) بالمطلعي أي الرياح الشمالية الشرقية ويصل إلى

اليمن ، ولا يصل إليها من كان في غبة ، أي بطن ، (قلهات) ، وبين المركبين ساعة واحدة . وقد يصل إلى الهند من فال ، أي عبر ، (باب المندب) بالريح السهيلية ، وهي الريح الجنوبية الغربية التي تهب من مغيب سهيل ، ولا يصل إلى الهند من هو داخل (الباب) بزام واحد ، يرون قلوع بعضهم بعضاً»(٤٧) .

العلامات البحرية :

تعتبر معرفة العلامات البحرية من أهم أسس الملاحة ، وأهم هذه العلامات أعماق البحر ، وهي من أسس الملاحة التجريبية المحضة . فبمعرفتها يستطيع البحار أن يسير في الطريق الصحيح الأمين ، ويعرف موقعه بالنسبة لموقع المكان المقصود ، والأماكن الخطرة والأمينة من البحر . وتحمل السفينة مسباراً للأعماق مكوناً من حبل يبلغ طوله عادة سبعين باعاً ، يربط طرفه بقطعة ثقيلة من النحاس أو بحجر .

ومن علامات قرب ساحل الهند الغربي ظهور ثعابين البحر ، ولمكان ظهورها شروط عند البحارة(٤٨) . ومن علامات قرب بر العرب وبر الصومال بعض الطيور البحرية والأسماك .

ومن العلامات التي تعرف بها الأماكن لون طين قاع البحر ورائحته ، والأعشاب البحرية .

ومن علامات الطوفان ، أي العاصفة ، تغير لون ماء البحر ، وظهور السرطان ، وحرارة الماء وتعكره(٤٩) .

وهذه العلامات معروفة لدى بحارة المحيط الهندي ، منذ زمن بعيد قبل زمن ابن ماجد ، لكن ابن ماجد حدّد بالقياس المواقع الصحيحة لهذه العلامات خاصة ثعابين البحر (المارزة) القريبة من ساحل الهند الغربي ، وبعض الطيور القريبة من ساحل الصومال الشرقي ، وبعض الأسماك . كما حدّد بالوصف بعض العلامات البرية ، كعلامة جبل (جلفار) ، التي كان يستدل بها على نتخة

(جوزرات) ، ويقول أنها من اختراعه : «وأما مناتخ جوزرات فقد جمعناها في إشارة واحدة ، وهي في جبل (جلنار) . إذا كانت قبة [قمة] رأسه قطعة واحدة ، وهي عنك في مطلع العيوق [بين الشمال والمشرق] فأنت بـ(شورواز) ، بلد التنبول . وإن انقسم رأسه قطعتين ، وكانت الشرقية أكبر ، فأنت بـ(شورواز) للمغارب . وهذا من اختراعنا»[٥٠] .

وفي البحار الجنوبية اكتشفت ما أسماها بـ(موجة الصليبي) . قال : «ومن اختراعنا الصليبي ، وقد قلنا إن موجة الصليبي لها ريح في الأقاليم الجنوبية دائم لا ينقطع ، كالكوس في (ظفار) لا ينقطع من العام إلى العام . وتأتي لأحيان متواترة ، تقوم حتى تأخذ رؤوس الدساتير»[٥١] . والدستور (جمعه دساتير) : خشبة يربط بها جوش الشراع .

الفصل السادس

رحلاته

من المؤكد أن ابن ماجد ، بعد أن وصل إلى درجة (معلم) ، وهي أعلى درجة في سلّم العمل البحري ، لم يعد مرتبطاً بمركب واحد في رحلاته ، كالربان والناخوذة . فالمعلم كان يؤجر ، عادة ، للقيام بالرحلات الطويلة الصعبة ، أو الخطرة ، التي لا يستطيع الربان والناخوذة القيام بها ، بنفس مهارة المعلم وحذقه . وكانت كلمته القول الفصل في تسيير المركب في البحار الخطرة ، كالبحر الأحمر ، مثلاً ، كما حدث عندما وصل المركب الذي كان يقوده إلى جزيرة (أسما) ، سنة ثمان مائة وتسعين من الهجرة ، فاتفق ناخوذة المركب وربانه على السراية بين هذه الجزيرة وجزيرة (مسند) المجاورة لها ، لكن ابن ماجد لم يوافقهما على ذلك ، لأنه رأى في أرجوزة والده المساة بـ «الحجازية» أنه لا توجد طريق بينهما . قال ابن ماجد : «واستشار بعضنا بعضاً . فقلت لهما أن نرسل زورقاً أمامنا بيوم . فذهب الزورق ومعه البُلد [مسبار الأعماق] فوجد عمق الماء بين (أسما) و(مسند) باعين ، فرجع إلى ما بين (مسند) و(ساسوه) فوجد الطريق آخر النهار . وكانت أرجوزة الوالد خيراً من جميع ميراثه في ذلك المكان»[1] .

ولا يعني ما تقدم أن ابن ماجد لم يملك سفينة في حياته . (فالجَلْبَة) التي ورد ذكرها في قوله في القصيدة «التائية» :

سرت نسمة الفردوس من أرض مكة   بريح الصبا فاشتقات السير جَلْبَتِي

يحتمل أن تكون حقاً جَلْبَته . والجلبة (جمعها جلاب) : نوع من السفن المخيطة ، كانت في الماضي أشهر سفن البحر الأحمر ، لكن ملاحاً واسع الشهر ، كابن ماجد لم يكن يليق به أن يرتبط بمركب واحد ، وهناك من الربابنة من يستطيع أن ينوب عنه في قيادة مركبه ، إن كان لديه مركب ، في الرحلات السهلة .

وقد عرفنا من كتاب «الفوائد» بعض رحلات ابن ماجد الصعبة ، التي ذكرنا من قبل بعضاً منها . وفي قصيدته «الذهبية» يقول انه سافر ذات مرة في موسم الداماني ، وهو ، كما عرفنا من قبل ، الربع الأخير من موسم الرياح الجنوبية الغربية المعروفة عند البحارة بـ(الكوس) ، التي تسافر بها السفن الشراعية من بلاد العرب وشرق افريقيا إلى الهند - سافر من غير (حُقَّة) أي (بوصلة) . قال :

ومن سار في الديمان من غير حقة   ..... في المرسى المراد المخالب

فكان في النهار يهتدي إلى طريقه بأعماق البحر ، وبما قطعه من الأزوام وبظل الشمس يهتدي إلى معرفة الجهات من حوله . أما في الليل فكان يهتدي بخريطة النجوم .

وسنحاول هنا التعرف على اسلوبه في الملاحة ، من بعض رحلاتها التي وصفها في بعض منظوماته ، وفي كتاب «الفوائد» .

المَعْلَقِيَّة :

هذا عنوان أرجوزته التي يصف فيها رحلته من (كاليكوت) أشهر مرسى بالمليبار ، من ساحل الهند الغربي ، إلى (ملقه) أو (معلقه) بساحل شبه جزيرة (ملقا) ، المعروفة حالياً بمليزيا . قال :

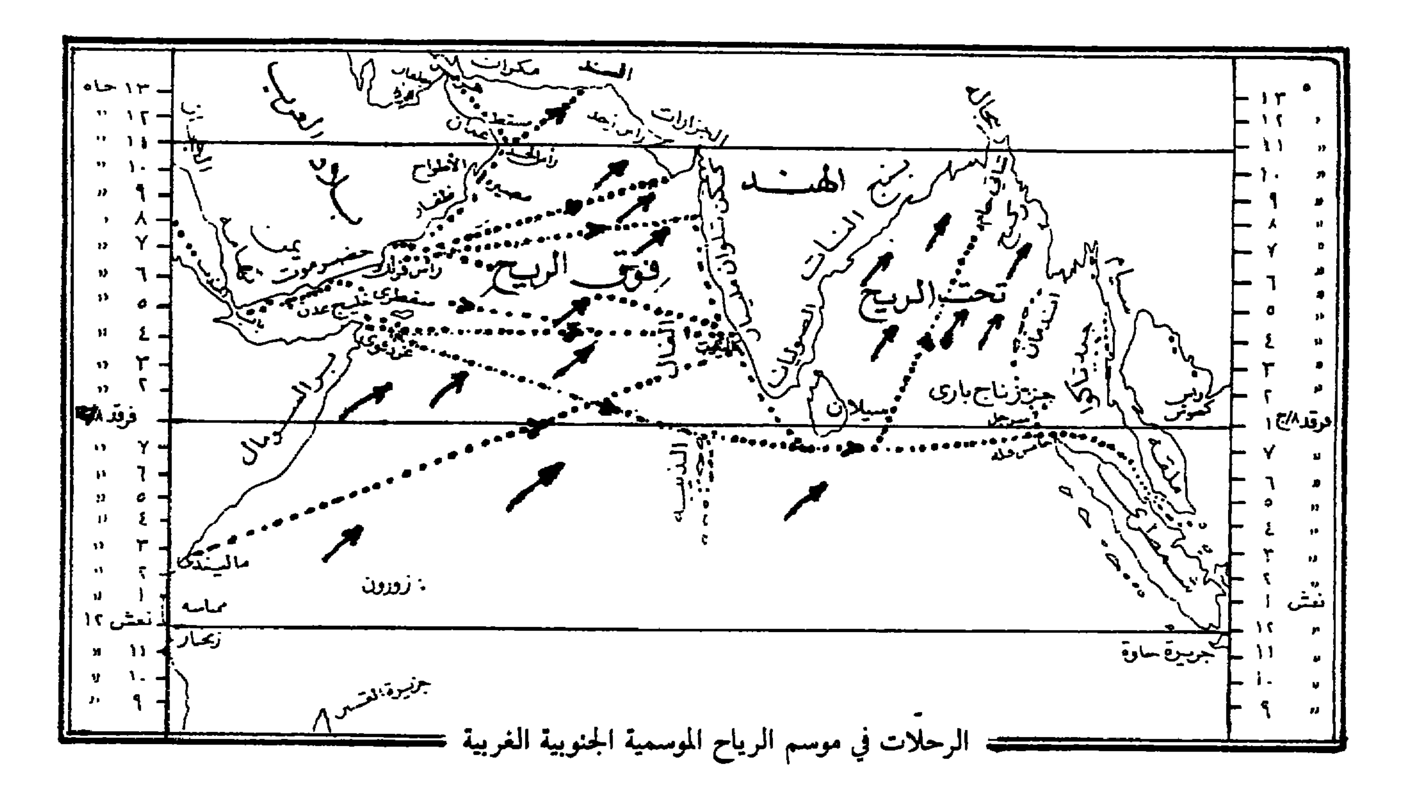
عزمت والعزم حميد في السفر   لا سيما من بلدة فيها ضرر

طالب تحت الريح بالإذعان   في مركب يطير كالعُقبان

من أرض كاليكوت بالعناية   بأول الستين (بعد) المايَة

أول ماجريت يا إخواني — من بعد أن قد فرغ الضمانِ
في مغرب المحنث سلكنا عشرة — أزوام جمة صافية محررة
وبعدها ثلاثة في القطب — ومطلع المحنث كذا يا صحبي
وهكذ سهيل والحماري — الكل اجر بالسواء كن داري
ومل على مطلع قلب العقرب — كمثلهم ثلاثة لتقربِ
ومطلع الإكليل اجر فيه — ثلاثة والتير كن نبيهِ
سبعة أخنان لهن جملة — أحد وعشرين كفيت الغَفْلَهْ
عن القياس فهناك المعقل — مع سهيل ثمانية فاعقلِ
ربعاً فهذا قيد ذي الطريق — ما فيه من شك ولا تَعْويقِ
وقس هنا سهيل والظليم — سبعاً ولكن فيهم التحكيمِ
إن كان في هذي النجوم نفسا — شرق واشمل لا تكون أخرَسَا
وإن رأيت فيهم تنقيصا — اجر على الجنوب ياحَريصَا
لتسلمن من أذى السيلاني — أرض البروق بذا المكانِ
..... تنظره يقوم كالسيوف — فأنت بقربها .... معروفِ
وإن تكن يا أخي بعيداً عنها — يومض فوق الماء فادن منها

يقول أنه بعد خروجه من (كاليكوت) جرى أولاً عشرة أزوام جمة اصطلاحية ، أي ثلاثين ساعة زمنية (٣×١٠=٣٠) ، في خن مغيب نجم (المُحْنِث) ويسمى أيضاً (السِّلبار) ، (انظر نجوم دائرة بيت الإبرة) . وبعدها جرى في خن القطب الجنوبي ثلاثة أزوام ، ثم مثلها ، أي ثلاثة أزوام ، في خن مطلع (المحنث) ، أي مطلع (السلبار) ، وهكذا في خن مطلع كل من (سهيل) و(الحمارين) . كل واحد منها جرى فيه ثلاثة أزام . ويقول للربان انحرف إلى خن مطلع (العقرب) ، واجر فيه ثلاثة ، مثل الأخنان السابقة لتقربٍ من (سيلان) . وكذلك خن مطلع (الإكليل) اجر فيه ثلاثة ، وكذلك مطلع (التير) اجر فيه ثلاثة أزوام . الجميع سبعة أخنان ، من غير خن مغيب (السلبار) الذي جرى فيه عشرة أزوام ، لها واحد وعشرون زاماً (٣×٧=٢١) ولا تغفل هناك عن القياس . فقياس ارتفاع كل من نجم (المعقل) و(سهيل) هناك ثمان أصابع وربع . وقس



الرحلات في موسم الرياح الموسمية الجنوبية الغربية

هناك نجم (الظليم) مع (سهيل) سبعاً ، قياساً محكماً ، لا فيه نَفَس ، أي زيادة ثمن أو ربع إصبع ، ولا فيه نقصان كذلك . فإن رأيت في قياسهم زيادة اجر نحو الشرق والشمال . وإن رأيت فيه نقصاً استمر في مجراك إلى الجنوب ، لتسلم من أذى موج سيلان المشهور بقربها . وسيلان أرض البرق الدائم ، تراه وأنت بقربها يقوم كالسيوف . وإن كنت بعيداً عنها تراه يومض فوق سطح الماء ، فاقترب منها .

وإن وصلت والقياس قد كمل ... ثمان وربع ما فيه خَلَلْ
والفرقدين سبع ونصف ... اسمع كلامي واستفد من وصفي
ورده على اليسار واجر ... في مطلع الطائر يا أخي عشرِ
أزوام حتى تخلف السيلان ... وترتفع من وادي الطوفانِ
ورده يومين في السماك ... تدور بالسيلان يا زواكي
تقل عنك الموج والسحايب ... ويرجع البرق على المغاربِ
وإن ترد شهود (ذا) المكان ... سهيل والظليم يا اخواني
هم ستة وربع فيهن النفس ... قسهن إن كان مبيناً أو غَلَسِ
إن زدن في القياس زد في المجرى ... أعني السماك الرامح المشتهرا
وإن نقص رده في الجوزا ... والتير إن شئت هنا تفوزا
حتى تراهم ستة وربع ، ... سهيل والمعقل خذ من وصفي
هم سبعة ونصف في ذا الوصف ... والفرقدين ثمانية ونصفِ
وفيهم الضيق فكن بالعالم ... حتى تكون للطريق لازمِ

وإن وصلت إلى هنا ، ورأيت قياس (سهيل) و(المعقل) قد كمل ثمان وربع إصبع ، وقياس (الفرقدين) سبع أصابع ونصف إصبع ، رد مجرى المركب إلى ناحية اليسار ، واجر في مطلع (الطائر) أي المشرق الأصلي (انظر شكل بيت الإبرة) عشرة أزوام حتى تخلّف جزيرة سيلان وتبتعد عن أمواجها ، ويعني بالوادي ها هنا وادي (سرنديب) . و(سرنديب) من أسماء جزيرة سيلان . ثم ردّ مجرى المركب في خن مطلع السماك ، واجر فيه يومين ، عن ستة عشر زاماً ، حتى تدور بجزيرة سيلان من جهة المشرق ، فتخف هناك حدة الموج ، ويرجع برق سيلان

إلى ناحية المغيب . وإن تريد أن تتأكد من وصولك إلى هذا المكان بشهادة قياس النجوم ، فإن ارتفاع نجمي (سهيل) و(الظليم) يكون في هذا المكان ست أصابع وربع فيها نَفَس ، أي زيادة ثمن إصبع . وقسهما في الغلس أو أول ضوء النهار . فإن كان في قياسهما زيادة فزد في جريك في خن مطلع السماك الرامح المعروف ، وإن نقص قياسهما عن ست أصابع وربع ، ارجع مجراك في خن مطلع (الجوزاء) أو (التير) ،حتى يرى قياسهما ست أصابع وربعاً ، وترى قياس (سهيل) و(المعقل) سبع أصابع ونصف إصبع ، وترى قياس (الفرقدين) ثمان أصابع ونصفاً ، فيه ضيق ، أي نقصان ثمن إصبع .

واجـر في (الـطائـر) أربعينـا ... ثم احـترز فكن لـذا فـطينـا
تنـدخ بذا القيـاس (ناك بـاري) ... وانـظر تـرى جبـالهـا يسـارِ
مـن بعـد أربـعـين اصـطلاح ... أزوام جمـة كـمـلاً صِحـاحِ
مـن فـولتـك عـن السيـلان ... مـن المشـارق دائـم الأزمـانِ
في مـركب يشـابـه (المسعـود) ... أمـا الشقـال فلهـم مـزيـدِ
من هـاهنـا منتصف الـطريق ... في ظهـر سيلان عـلى التحقيقِ
وعـد أزوامك من يـوم السفـر ... بـ(ناك باري) كي تفـوز بالـظفرْ
عشرون في المحـنـت والهـيران ... ومثلهـم في السبعـة الأخنـانِ
يـزيـد زامـاً واحسب السـماك ... سـتـة عشر جملة يـا فـتّـاكَ
سبعـة وخمسـين ، واربعيـنـا ... (ناك باري) ، سبـع مع تسعينا
فنصفهـا السيـلان من شرقيهـا ... بـل إن دورتـك تـزيـد فيهـا
أزوامـك المـذكـورة المجـربـة ... لأجـل دورتـك تكن منتخَبَـة
أمـا الليـالي معـك والأيـام ... عـددتهم سـواء بـذا يـا همـامِ

بعد أن ترى قياس (سهيل) و(الظليم) ست أصابع وربع إصبع ، وقياس (المعقل) و(سهيل) سبعاً ونصف إصبع ، و(الفرقدين) ثمان أصابع ونصف إصبع ، اجر أربعين زاماً في خن مطلع (الطائر) ، أي المشرق ، وكن يقضاً لأنك ستأتي بهذا القياس إلى جزيرة (ناك باري) أو (ناج باري) ، بعد أربعين زاماً من

طوافك وعبورك لجزيرة سيلان ، من ناحية المشرق ، في المركب الخفيف الذي يشبه المركب (المسعودي) ، أما المراكب الكبار الثقال فتزيد أزوامها على الأربعين . ومنتصف الطريق من (كاليكوت) إلى (ناج باري) بظهر سيلان ، وهو الجانب البارز منها . فَعُدْ أزوامك من يوم سفرك من (كاليكوت) إلى (ناج باري) : عشرون زاماً قطعتها في خن مغيب السلبار ، أي المحنت ، وفي (الطائر) أي المطلع الأصلي ، وواحد وعشرون زاماً قطعتها في السبعة الأخنان المذكورة ، وستة عشر جريتها في مطلع السماك ، صارت الجملة سبعة وخمسين زاماً :

١٠ مغيب المحنث
١٠ مطلع الطائر
٢١ في السبعة الأخنان
١٦ مطلع السماك

---

٥٧ زاماً

ثم أربعين زاماً في مطلع الطائر إلى (ناج باري) . تصير جملة جميع الأزوام التي قطعتها من (كاليكوت) إلى (ناج باري) سبعة وتسعين زاماً ، نصفها عند ظهر سيلان من المشرق . أما عدد الأيام فتكون هذه الأزوام السبعة والتسعين باثني عشر يوماً وزام واحد . باعتبار الزام الواحد ثلاث ساعات . ويكون السفر من (كاليكوت) قبل المائة والستين من النيروز ، في الأيام الأخيرة من موسم الرياح الشمالية الشرقية . ومن جنوبي جزيرة سيلان إلى مراسي (تحت الريح) ، أي الجزء الشرقي من المحيط الهندي ، يكون السفر بالرياح الجنوبية الغربية التي يبدأ هبوبها هناك بعد المائة والستين من النيروز .

وإن يكن ريحك من المطالب ... قصر بها قلعك ثم قالبْ
إن قالبت يسار أو يمينا ... فلا تزيد الجوش عن زامينَا
خوفاً من الهوس والمضيق ... والماء ميالاً بذي الطريقِ
من قرب سيلان وما يليها ... كم مركب تاه وتوه فيها
و(ناك باري) يا أخي جزيرة ... مخضرة عالية كبيرة

ديـرتهـا سـهيـل يـا إخـواني ... وتـنـقـسـم وبـيـنـهـا خـيـرانِ
في رأسهـا الجـاهي قـطعـات ... إن جئتهـا يـرون مـعـزولاتِ
جـاهيهم جـزيـرة فيهـا شجـره ... والنارجيل كثير خذ مني الخَبَرْ
تـرى عليهـا يـا أخي الفراقـد ... تسـع بـالتحقيق غـير زايـدِ
في رأسها الجاهي فكن بالحاذق ... (يمـر سهيليهـا) عـلى الحقـائق
سهيـل والـظليم في جـاهيهـا ... ست إلا ثلث بـالحق يـا فقيهـا
أمـا سهيـلي الجـزيـرة قسهـا ... وهم عـلى اليسـار ثم اعـرفهـا
بـأنهم ست وربـع محـتـكـم ... اضرب هنا النقط وانشر العلم
إن لم تكن تنتخه نتخة الرجال ... لا رحم الـرحمن عـظمي البـالي
وإن نـتخـت النتخـة الجيـدة ... اقـرأ لنـا الفـاتحـة مـشـددة
أمـا سهيليهـا عليـه المعقـل ... مع سهيـل خـذه مني واعقـل
سبـع ونصف تـراهمـا شـمال ... بميـلة لـلشرق لا محـال
واعـلم بـأن الجـزر مغـزرات ... جـبـالهـن خضر عـالـيـات
والكل يا أخي اسمهم (ناك باري) ... عشر جـزر كـن بهـذا داري
وفيـهـم الجـزيـرة الشـهـيرة ... واسمهـا (سرجـل) كن خبيـرةْ
وهي سهيلي الكل شق الغرب ... طـويـلة مخضرة يـا صـحـبـي
والمفـردات في الشـمال والـوسط ... وفي المشـارق لا تكون ذو غلط
أغـلظ مـن سـقـطرة وأكـبرى ... زايـدة ...... كـما تـرى
قيـاس منتخهـا من السيـلان ... سـهيـل والـظليم يـا اخـواني
ست وربـع منـتـخ الثقـات ... ولا عـلينـا مـن ذوي الآفـات
من بعـد خمسين اصطلاحيـات ... أزوام من سيـلان خذ وصـاتي
أمـا الحسـابيـات هم ستـونـا ... وأربـع من بعـدهم يـأتـونـا

وإن كانت الريح تهب من المطالب ، أي من ناحية الأماكن التي تطلبها ، أي مواجهة لمجراك ، فصغر قلع مركبك ، وغالب الريح والماء . إن ملت يساراً أو يميناً ، فلا يزيد ميلك بالجوش على زامين عن المجرى الأصلي ، أي لا يبعد ميلك مع الريح على مسير زامين ، أو ست ساعات ، عن خط مجراك الأصلي ، خوفاً

من الضياع ، لأن الماء جرار بهذه الطريق . ومن (سيلان) ، وما يليها شرقاً ، تاهت بسبب ذلك مراكب كثيرة . و(ناج باري) جزيرة كبيرة مخضرة عالية ، خطها البحري مساير لساحلها في اتجاه خن سهيل ، وتقسمها خيران أو أخوار (جمع خور) . وعلى رأسها الشمالي قطع تراها إن جئتها منعزلة عن (ناج باري) ، وإلى الشمال من هذه القطع جزيرة فيها شجر . وتخيل جوز الهند (النارجيل) بها كثير . وقياس نجمي الفرقدين عليها تسع أصابع ، عند رأسها الشمالي . وقياس (سهيل) و(الظليم) عند رأسها الشمالي ست أصابع إلا ثلثاً ، أما جنوبي الجزيرة فقياسهما ، وهما إلى ناحية اليسار ، ست أصابع وربع إصبع ، وهناك اضرب النُقْط ، وانشر العَلَم ، وهذه العادة ، أعني نشر الأعلام على السفينة ، لا زالت تمارس حتى الوقت الحاضر ، عند الدخول إلى أهم مراسي أي بلد ، فينشر عَلَم المرسى وعَلَم جنسية السفينة . كذلك «ضرب النُقط» عادة لا زالت تمارس أيضاً عند السلامة من مخاطر رحلة ، أو غيرها ، وهي ليست خاصة بالبحارة وحدهم وإنما هي عادة شائعة في كثير من الأقطار العربية .

يقول إنك تنتخ بهذا القياس ، وهو قياس (سهيل) و(الظليم ، مرسى (ناج باري) . وإن نتخت ، أي كشفت ، أو أتيت بهذا القياس (ناج باري) وجاءت نتختك لها جيدة فاقرأ له الفاتحة . أما قياس (سهيل) و(المعقل) على سهيلي ، أي جنوبي ، (ناج باري) ، فهو سبع أصابع ونصف ، وهما إلى الشمال ، أي اليسار ، بميلة إلى المشرق . أما الجزر الأخرى فهي مغزرة ، أي في المياه العميقة ، جبالها خضراء عاليات . وجميعها تسمى (ناك باري) وهي عشر جزر ، منها الجزيرة المشهورة ، جزيرة (سرجل) ، وهي سهيلي جميع هذه الجزر إلى ناحية المغيب ، وهي طويلة مخضرة ، أغلظ من جزيرة (سقطرة) . وقياس منتخها من ناحية (سيلان) ، قياس سهيل والظليم ، ست أصابع وربع ، وهو منتخ موثوق به ، من بعد مسيرة خمسين زاماً اصطلاحياً من جزيرة سيلان . أما بالأزوام الحسابية ، وهي - كما شرحنا من قبل - المستخرجة من حساب الترفات ، فتبلغ أربعة وستين زاماً .

ولا عجب في هذه الأزوام   من أرض كاليكوت يا همام
أن تبلغ المائة أو تزيدا   جود لها التقمين يا رشيدا
شهودها عندك في القياس   جعلت لك أزوامها أساسِ
خوفاً من السحايب الداماني   مع عدم القياس يا ربانِ
تهدي ذي الأزوام ، فالداماني   له القياسات على السيلانِ
بجاه إصبع يلتقي العناق   ومقدم النعش باتفاقِ
أربع ونصف إحذر منها   نقصهم حتى تفول عنها
واجعل الشرطين في المغارب   مع العناق أربعاً يا صاحبِ
تدور عن سيلان لم تحويكا   هذا قياس صادق ينجيكا
وهن فوق ناك باري   خمس إلا ربع من باختياري
لكن أزوام لكم أساس   جعلتها خيراً من القياسِ
فإن أزوامك المذكورة   قريب مائة زام هي مشهورة
من صوب كاليكوت لناك باري   ثلاثة عشرة يوم في المجاري
وكن جرياً قبلها واحزم   ولطف القلع بليل مظلمٍ
فإن نتخت جاري الجزيرة   من غربها يا أخي على بصيرة
في مطلع العقرب والحماري   زامين بالمولم في المجاري

. . . .

ورده في مطلع الإكليل   خمسة أزوام تزد قليلِ
ومل على مجراك نحو العقرب   تنتخ (جامس فله) فاقربِ
لها ، لا تقرب لها بالمرة   وسر على الجوزا إلى شمطرة

ولا عجب في أن تبلغ الأزوام من (كاليكوت) إلى (ناج باري) مائة زام أو أكثر ، فالمسافة طويلة بينهما ، فجوّد تقديرك لها ، أو ـ كما قال ـ التقمين لها . وقد حسبت لك هذه المسافة بالأزوام خشية غمام الداماني هناك ، الذي يستمر أياماً حاجباً للنجوم ، فتهتدي في رحلتك بعدد هذه الأزوام . أما القياس على (سيلان) ، فنجم (العناق) ، أحد نجوم صورة (بنات نعش الكبرى) أو (الدب الأكبر) يتفق قياسه مع قياس (مقدم النعش) أي النجم المتقدم من (بنات

نعش) ، عندما يكون قياس ارتفاع نجم القطب الشمالي مقدار إصبع ، وهو الذي يسمى بـ(الجاه) عند البحارة ، فيكون قياس (العناق) و(مقدم النعش) أربع أصابع ونصف إصبع . فاحذر أن ينقص هذا القياس حتى تَفُولَ عن سيلان ، أي تعبرها . كذلك اجعل قياس (الشرطين) ، هما من نجوم (الحمل) وقياس (العناق) ، أربع أصابع ، وهي أي النجوم بناحية المغيب . فهذا القياس يطوف بك جزيرة سيلان بسلام . وقياس هذه النجوم فوق (ناك باري) خمس أصابع إلا ربعاً ، لكن الأزوام جعلتها أساساً في هذه الرحلة ، لأنها خير من القياس ، وهي تزيد على مائة زام ، عن ثلاثة عشر يوماً (٨×١٣=١٠٤) .

وقبل الوصول إلى (ناك باري) كن جريئاً حازماً ، وصغِّر قلع السفينة بالليل المظلم ، حذراً من العواصف والأمطار . فإن نتخت الجزيرة جاريها ، أي اجر بحذائها ، من ناحية المغيب ، بحذر ، في خن مطلع العقرب ، مقدار زامين (ست ساعات) ثم رد مجرى المركب في مطلع الإكليل ، واجر فيه مقدار خمسة أزوام تزيد قليلاً . ومل بمجراك إلى مطلع العقرب تنتخ جزيرة (جامس فُلّه) فاقترب منها قليلاً ، ثم سِرْ في خن مطلع الجوزاء إلى جزيرة (شمطره) (سمطرى) .

يكثر التصحيف والتحريف والاسقاط في المنظومة بعد الأبيات السابقة ، بحيث يتعذر مع ذلك متابعة شرح الأبيات شرحاً صحيحاً . لذلك سنكتفي منها بشرح الأبيات الواضحة الخالية من هذه الشوائب فقط .

تأتي بذا المجرى (فلوتنبورك) ... وفي شمالك إلى (فلوفيرك)

....

أما (فلوفيرك) هي جزيرة ... ما بين ذا البرين هي صغيرة

....

وجنبها راخي وجنب عالي ... لا بالكثير افهم المقالِ

معترضة هناك للمسافر ... عند المراح والمجي كن خابرِ

عالية قريبة التدوير ... وحيدة وماؤها غزير

وحولها مناقف والماء ترى ... خمسين حولها بلا مرا

والتير منها نحو (دنج دنج)   ومطلع المرزم (فلو فَيْننْج)
ومطلع العقرب (فلوتنبورك)   قرب (قفاصي) اقترب بمسيرك
أما (فلو فيننج) قرب الساحل   جزيرة كبيرة يا سائلي
أكبر من الأولى وأعلى منها   وجزرها ليس بعيد عنها
مسلوبة الأطراف إذ تراها   من بعد اقصدها ولا تتعداها
إلا بريح واكدة محققة   واطرح الأنجر عليها ياثقة
في ماء عشرين وما قاربها   لا تدخلن فيها ولا تقربها
أعني الجزيرة بطنها الجنوبي   . . . .
منها إلى شمطره في التير   مغربه حققه في المسير
ومغرب النجم طريق الراجع   ومل على غرب السماك كن وعي
احذر جر الماء تحت الجاه   لا تترك الأشياء في اشتباهِ
أما إذا ماجيت هذه الجزيرة   أعني (فلو فيننج) كن خبيرة
فاجر زاماً في السهيل منها   ومل يميناً ياهمام عنها
ترى هناك رق في اليسار   أيضاً به الماء أبيضا كن داري
فانظر واحذره ثم الجزائر   هم (دنج دنج) ولهم أشائر
انهم جزاير كبار   بينهم طريق للصغارِ
منهم في النجم وفي المغيب   إلى شمطره اجر يا حبيبي
واعلم أن من (فلو فيننج)   أربعة أزام (لدنج دنج)
في خمسة عشر باع أو عشرينا   أو الثلاثين كن فطينا
ما تلتقي هناك إلا العافية   طريق واضح عمار صافية
وفوقهن جبل معروفا   له سنام وبه موصوفا
ثم ترى قدامك الجزاير   (فلو سنبيلن) تسع بالأشايرِ
قدمت ذكراهم فاعمل شورك   ومنهم ترى (فلو تنبورك)
معزولة في البحر يا خليلي   قدرها المهيمن الجليل
واعلم إذا غابت (فلو فيننج)   ترى (فلو سنبيلن) ملاقه تخرجِ
و(فلو سنبيلن) ملاقه تسعا   هم ، فاقصد الجزر سريعاً واسعى
لهم وحط الأنجر الصينية   لأنها أسير خذ الوصية

واستق منها الماء إن شيت اطرح ... في مـاء عشريـن وبت وافـلح
خـل الطويلة عنك في اليمين ... وحـولها الجـزر عـلى اليقـين
واجعـل جـزيـرتـين يـا ربـان ... يسراك والنـاس بـذا المكـانِ

. . . .

لا تـرقـدن الـليـل فـالأريـاح ... تضرب هنا من ساير النواحي
كثـير من يغفـل عن مـركبه ... والماء عشرين هنـا خـبرك بـهِ
بـين الجـزايـر ويجـر أنجـره ... ولا لـه يـا أخي بهـذا مخبـرهْ
يـشغـله الأنجـر عـن السرايـة ... والـقلع المبلول وجـر المـايـةْ
وهن بـالقـرب فـاحسب هـذا ... ولا تـكـون غـافـلاً رقـادا
في ظهـر يا أخي هـذه الجزاير ... لأنها مغـزرة عـديمـة الأشـايـرِ
بحـريهـا تـرى (فلو تنبـورك) ... منهـا ترى الـبرين هذا شـورك
وقيـل لي بـر شمـطره لا يـرى ... من الجـزيـرة يـا همـام خـبرا
إلا إذا مـا كـنـت بـيـنهـما ... خـذ مني العمـل بـلا تـوهمـا
إن شيت تدخل (القفاصي) من هنا ... وتـنـظر الأشجـار والـبر دنىٰ
اجـر من الجزايـر التسع عـلى ... قـطبـك والمحنت وقيت البـلا
مـطلعـه أعـني لا المـغـارب ... زامـين أو ثـلاثـة يـا صـاحبْ
حتى تـغيـب هـذه الجـزايـر ... فـرتـب الحـبـال والأنـاجـر
والـبلد والـسنبـوق والأسـبـاب ... فخـذ مقالاً من ذوي الألبـاب
فإن رأيت الجزر غابوا عنك بل ... لم يبق منهن سوى قرن جبـلْ
في (دنـج دنج) حـديث واكـد ... في الجاه بل في مطلع الفراقدِ
تنظر ذاك الحين جبـل قفاصي ... سمتـه (فلو فـاسـلار) النـاسِ
عنـك يكن في مطلع الحـماري ... كن عارفاً وصفي مـع أشواري
وربمـا تـنـظر مـاء أبـيـضـا ... لحد سبعة في الـطريق فاحفـظا
فـإن أتـت سـبـعـة أبـواعـا ... لحـد المـاء الأبيض لا تـرتـاعـا
(فلو فـاسـلار) هـو في الحقة ... عـلى الحـمارين بـلا مشـقـةِ
يميـل أيضـاً لـطلوع العقـرب ... فـاعلم أنـك يـا فتى تقتـربِ
فـخـذ لمـاء تـسـعـة وعشره ... والماء الأبيض في يسارك تنظرهْ

والمـاء الأخضر تنـظره يمينـا … عينت لـك جميـع ذا تعيينـا
مجراك في المحنث أو في القطب … خارج من السطر هنا يا صحبي
فاجر على ماء تسعة حتى تجي … لماء سبعة جيت نحـو الفـرجِ
وأبيض كـل الماء ترى قفاصي … فخفـف القـلع وكن ذا بـاسي
والماء يسقي داخل كن عـارف … عنـدك وإلا اطـرح ولا تخـالف
يصير عنـك الـرق في اليمين … فـغير المجـرى بـذاك الحـينِ
واجـر هنـا في مطلع الحماري … والـبلد سبعـة مـا بهـا أضرارِ
إن ملت لـليمـين رق المـاء … والغـزر صوب البر بـلا مـراء
هـذا وسنبـوقـك في الـدامـان … لا تجعله في الجـوش يـا ربـان
لأن في الـدامـان معـك الشب … والجـوش باليـاهوم فيـه الطلبِ
بـالبلد والـترتيـب .... … فـإن ذا من رأيـك السـديـدِ
يسراك تـنـظر عـالقـاً لـلبر … جـزر من الأشجـار حقـاً فـادر
جـزايـر خـلف كـل واحـدة … منهن قـطعـة افهمن الفـايـده
إن صـارت الجـاهيـة القـريبـة … في مطلع الجوزاء فخـذ تجريبـه
فـأنت في أول (قفاصي) سـاير … عـلى الحمارين فخـذ أشـايـر
تسير فيه ...... أزوام بالتحرير … حتى يجي عنك الجبل في التير
يخضر مـعـك المـاء ويـغـزرا … خلصت من كل البلى والخـطرا
فذاك هو (فلو فـاسلار) يـذكرا … تـراه وتـرى (فلوسينـا) أخـيرا
من الـدقل يـرون أو بالصحـو … ....
أحـذرك من قبـل مـاء سبعـة … قبـل (قفـاصي) اعـرفن مـوقعـهْ
لأن سـبـعـة رق الـبـحـر … لا بـد للجـاهـل هنـاك يـذرِ
حتى يكـون مجـراك في الحـمار … والمـاء سبـعـة داخـل وجـارِ
إن ملت للعقـرب زاد المـاء … أو ملت للسهيـل يـا أخـائي
رق لـك البلد فـاعلم أنـه … هـذا هـو المفـرض فـاقطعنـهْ
وربمـا ينـقص أو يـزيـدا … يمنـاك أو يسراك يـا رشيـدا
فـلا تخـاف إن فيـه الـطرق … كثـيرة وليس فـيهـا الـرقِ
سليمـة .... إن زادا … زاد ذراعـاً أو نـقص كـهـذا

يهلك الاقبال ....   وفي الطريق لا تكن مرتاعا

بل فيه أمكنة فيها كرب   يرميك فيها المد وقيت التعبْ

وليس فيه حجر أو جشر   الكل يا أخي في مكان مَدَرِ

فيه المطارح ليس فيه الموج   مطرح سليم هين الولوجِ

وإن أتاك الليل فيه فاطرح   ....

إن السقي مديم هو زامين   يرميك في الجنوب باليقين

خصوص إن وافق بعض الريح   أقل من زام .... واستريح

هذي طريق البر بالتحقيق   واضحة ما مثلها طريق

حلفت بالله يمنياً بره   إن جزت فيه غير هذي المرةْ

لم أرم البلد على قفاصي   لأنه مضبوط في قياسي

بالبر والجبال والشجران   والبد والبلد والنشان

والعرض والطول ليس يختلف   في مقل ذا معرفتي تعترف

تجاري البر وروس الشجر   والساحل يا بني خذ من خبر

في ماء تسعة أو يكون عشرةْ   وأنت في مجراك كن ذو خبرةْ

حتى تراه قد نقص عن عادته   والبلد لم يبلغ في زيادته

أكثر من سبعة ، اجر على   مجرى الحمارين بلغت الأملا

وكانت الجزاير الصغار   في التير والجوزاء يا سفارِ

فذاك هو قفاصي الشهير   تقطعه في زام بذا المسير

فإن خلصت اخضر معاك الماء   فالرأي في البر بلا مراءَ

والبر مخضر على اليسار   تنظر للساحل وأنت جاري

على سهيل والذي يليه   وأنت في ....

حتى ترى عنك جبل قفاصي   في مطلع العيوق لا تعاصي

احذر هناك العرق في الطريق   خذ عنه ماء عشرين بالتحقيقِ

وربما تنظر مرا مغزرا   فلا عليك ضرر من ذا المرا

فإنني جاوزته والماء   عليه اثنا عشر بالسواءِ

احذر عند قربك يا أخي منه

....

وإن تزد أربعة على عشرينا … في البلد لم يحويك يا فطينا
هذا إذا ما جزته بالليل … أما النار أبيض ....
فيه سواد كعرق الثور … على المخا فكن هنا حذورِ
حتى إذا صار جبل قفاصي … في مطلع النعش لقيت الناسِ
خلفت ذاك الرق والمراء … في العجز ثم اخضر معاك الماءِ
ومنه زامين لراس مدور … سيما بلفظ الهند خذ من خبري
مطلعه جزيرة فيها شجر … منه ترى شمطره دوم النظرْ
أشجارها في قرب بر عارو … وخلف ذا بطن فلا تماروا
وخلف ذا البطن هو (فلوآفي) … مقدار زاماً في المسير وافِ
فتلك هي بندر على ملاقة … من المغارب صح يا رفاقةْ
بريها جزيرة صغيرة … أشجار طوال مستديرةْ
و(فاسلار) إن تراه … يغيب في الغبار خذ نبأهُ
فإن يغيب ولم تراه … تنظر (فلو سينا) ....
لأنها جنوب والمشارق … عن هذه قد صح بالحقائق
وحولها عشر من الجزاير … مراسي الصيني فلا تكابرِ
تراهم من قرب راس مدورا … ومن قفاصي لملاقه تحصرا
لأنه خمسة أزوام على … مسير قاطع برياح معجلا
والمركب الكبير فيها إن خطر … يسير ليلة ثم يوم بالصورْ
أما ملاقه بطنها شرحنا … بين (فلوآفي) وبين (سينا)
فادخل إليها ظافراً بالبندر … هنيت .... ثم السفرِ
تأتي لك الناس فبئس الناس … لم يعترف قط لهم أساسِ
يزوج الكافر مسلمات … ويأخذ المسلم كافرات
إن قلت كفاراً فما هم كفرة … أو قلت إسلام فغير......
عندهم السرقة قد سنوها … ما بينهم فليس ينكروها

يقول في الطريق إلى (ملقه) من جزيرة (سرجل) تقع جزيرة (فلوفيرك) أو (فيرك) و(فلو) بمعنى جزيرة بلغة (تحت الريح) ، وهي جزيرة صغيرة متوسطة بين

البرين : بر جزيرة (سمطرى) وبر شبه جزيرة (ملقه) ، جانب منها منخفض وجانب مرتفع قليلاً . وهي معترضة طريق المسافر في المراح والمجيء ، عالية ، شبه مستديرة ، منفردة في بحر غزير ، أبي عميق ، يبلغ عمقه خمسين باعاً . في اتجاه مطلع خن التير منها تأتي إلى جزر (دنج دنج) ، وفي خن مطلع المرزم ، أي الجوزاء ، تأتي إلى جزيرة (فلو فيننج) ومطلع خن العقرب إلى (فلوتنبورك) أو (طنبورك). وتقترب بمسيرك في هذه الطريق إلى (قفاصي) .

أما (فلوفيننج) فهي جزيرة كبيرة قريبة من ساحل شبه جزيرة (ملقا) وبجوارها جزرها ، وهي مسلوبة الأطراف ، أي قائمة الأطراف . فاقصدها حين تراها من بعيد ولا تتجاوزها ، إلا إذا كانت الريح ملائمة لمجراك . واطرح المرساة في ماء عمق عشرين باعاً ، ولا تقرب بطن الجزيرة الجنوبي . منها في اتجاه خن مغيب التير تأتي إلى جزيرة (سمطره) ، وفي مغيب (النجم) ، أي الثريا ، طريق الراجع من (ملقا) إلى (سيلان) ، مع انحراف إلى مغيب (السماك) ، واحذر هناك جرّ التيار إلى ناحية (الجاه) ، أي القطب الشمالي .

وإذا جئت إلى هذه الجزيرة ، أعني (فلو فيننج) ، مل يميناً عنها عند خروجك منها ، واجر في خن مطلع سهيل زاماً ، ترى هناك رِقّاً ، أي ماء ضحلاً قريب الغور ، إلى ناحية اليسار عنك ، أبيض اللون . فاحذره واقصد جزر (دَنْج دَنْج) في خن مطلع التير . ولهذه الجزر أشائر ، أي علامات تميز بها ، فهي جزائر كبار ، وخلالها طريق للمراكب الصغار . منها في خن مغيب (النجم) وخن المغيب الأصلي (الطائر) تأتي إلى جزيرة (سمطره) . ومن (فلو فيننج) إلى (دنج دنج) خمسة أزوام (أي خمس عشرة ساعة) ، على بحر يتراوح عمقه من خمسة عشر باعاً إلى ثلاثين ، والطريق واضحة سليمة . وفوق (دنج دنج) جبل له سنام تعرف به الجزر والطريق .

وبعد خروجك من (دنج دنج) ، واختفاء جزيرة (فلوفيننج) ، ترى جزر (فلوسنبيلن) الملقبة [تمييزاً لها عن «فلوسنبيلن» السيامية] ، وهي تسع جزر ، فاسرع إليها ، واطرح عندها المرساة الصينية ، لأنها سهلة الجر ، واترك الجزيرة الطويلة إلى اليمين عنك ، وتزود بالماء العذب إن شئت ، واطرح المرساة في ماء

عشرين باعاً . واجعل جزيرتين منها عن شمالك ، وهما عامرتان بالسكان . لكن لا تنام بالليل لأن الرياح هنا تضرب من سائر النواحي . وكثيراً من يغفل بين هذه الجزائر ، فيشغله الأنجر ، أي المرساة ، التي يستعين بها ، على جر الماء للمركب بين الجزر ـ يشغله عن السراية من الجزر ، وقلعه مبلول بمياه الأمطار . فاحذر الغفلة والنوم وأنت بقرب هذه الجزر .

وإلى ناحية عرض البحر من هذه الجزائر ترى جزيرة (فلو تنبورك) ، وهي تقريباً متوسطة بين بر (سمطره) وبر (ملقه) ، ومنها ترى البرين . وقيل له أن بر (سمطره) لا يرى من (تنبورك) ، وإنما إذا كان المسافر متوسطاً بين البرين يشاهد (سمطره) .

وإذا أردت أن تسير من هنا ، أي من جزر (فلوسنبيلن) الملقية ، إلى (قفاصي) ، وترى أشجار وبر (ملقه) ، فاجر من الجزائر التسع في خن القطب الجنوبي وفي خن مطلع المحنث ، أي السلبار ، زامين أو ثلاثة ، حتى تغيب عنك هذه الجزائر . واستعد بعد ذلك لدخول مياه (قفاصي) بالحبال ، والأناجر (المراسي) ، والبُلْد (مسبار الأعماق) وزورق السفينة ، وجميع ما يلزم عند السير في هذه المياه . فإذا غابت الجزر ولم تر منها سوى قمة جبل (دنج دنج) ، في ناحية القطب الشمالي ، بل في مطلع خن الفرقد ، عنك ترى جبل (قفاصي) ، الذي تسميه الناس (فلوفاسلار) ، وهو في مطلع الحمارين . وربما ترى ماء أبيض ، فاجر في ماء لا ينقص عمقه عن سبعة أبواع ، فإن وصلت إلى مطلع الحمارين في الحقة (بيت الإبرة) ، (البوصلة) ، فإذا رأيته يميل إلى ناحية خن مطلع العقرب فاعلم أنك تقترب منه . حينئذ اجر في ماء تسعة وعشرة أبواع ، فيصير الماء الأبيض إلى يسارك والماء الأخضر إلى يمينك ، ويكون مجراك في مطلع (السلبار) وفي القطب الجنوبي حتى يصير الماء مبيضاً كله ، فحينئذ ترى (قفاصي) ، فخفف قلع السفينة ، أي صغّره ، وكن شجاعاً . وترى جرّ المدّ إلى الداخل ، فاستمر في مجراك ، أو اطرح المرساة . فإذا صار الرِّق ، أي الماء الرقيق إلى يمينك فغيّر مجراك إلى خن مطلع الحمارين ، في ماء سبعة أبواع ، فإن ملت إلى اليمين تجد المياه الرقيقة ، وإن ملت إلى اليسار ، صوب البر ، يغزر الماء ، أي يصير عميقاً .

وزورق السفينة مربوط بناحية دامان الشراع ، أي مؤخرته ، إلى جهة الرق . وإلى يسارك ترى جزراً عالقة بالبر ، مغطاة بالأشجار ، خلف كل جزيرة منها قطعة ، فإذا صارت الشمالية من هذه في ناحية خن مطلع الجوزاء عنك فأنت سائر في أول ماء قفاصي في خن مطلع الحمارين . فإذا صار جبل قفاصي في خن مطلع التير عنك ، وأتاك الماء الأخضر العميق ، خلصت من مخاطر مياه (قفاصي) . وهناك ترى (فلوفاسلار) و(فلوسينا) ، من رأس الدقل أو بالصحو . واحذر عند وصولك إلى ماء سبعة أبواع ، قبل (قفاصي) ، أن تميل عن مجراك في خن مطلع الحمارين إلى الرق إلى يمينك ، فالمفرض هنا ، أي المنفذ ، على ماء سبعة أبواع ، إن ملت إلى خن مطلع سهيل زاد رق الماء ، وإن ملت إلى مطلع العقرب زاد غُزْرُ الماء ، أي عمقه . لكن لا تخاف إن زاد ماء مجراك أو نقص عن سبعة أبواع . فالماء داخل بالمد وخارج بالجزر ، إن زاد زاد ذراعاً ، وإن نقص نقص كذلك ذراعاً فلا ترتاع ، فعندك سعة للاستدارة وتغيير مجراك ، فالطرق فيه كثيرة . لكن هناك أمكنة قد يقذف بك التيار عليها فلا تتخلص منها بسهولة . وقاع البحر طين كله ، ليس به صخور أو جشار (قشار) ، وهي صخور مرجانية ونحوها ، تكون حادة الأطراف . وفيه مطارح أمينة لطرح المرساة لا تصل إليها الأمواج ، فإن أقبل عليك الليل ، هناك ، اطرح المرساة ، لأن السقي (التيار) سيدفع بك إلى الجنوب . وماء (قفاصي) تقطعه بجري زام ، إذا كانت الرياح ملائمة للمجرى .

فهذه الطريق البرية ، أي المسايرة لبر (ملقه) طريق واضحة ما مثلها طريق . ويقسم ابن ماجد انه ، إذا سلكها مرة اخرى ، لن يستعمل البُلْد في (قفاصي) لمعرفة عمق مائه ، لأنه صار معروفاً لديه بالقياس ، وعلامات بَرِّه من جبال وأشجار ، وبأعماقه ، وبالأماكن من حوله ، وعرضه وطوله . وينصح الربان ، قبل أن يصل إلى (قفاصي) ، أن يجاري بر (ملقه) ورؤوس الأشجار ، أي أنه ، وهو يجاري البر ، لا يرى منه غير رؤوس الأشجار . ويجري على ماء عمقه تسعة وعشرة أبواع ، فإذا نقص عمق الماء ، ولم يزد على سبعة أبواع ، يجري في خن مطلع (الحمارين) . فإذا صارت الجزائر الصغار بناحية مطلع (التير) و(الجوزاء) يصل إلى (قفاصي) . فيقطعه بزام واحد ، فإذا خلص من (قفاصي)

يرى الماء الأخضر إلى يساره ، إلى ناحية البر ، ويرى الساحل وهو يجري في خن مطلع (سهيل) وما يليه ، حتى يرى جبل (قفاصي) بناحية مطلع العيوق . هنا يحذّره ابن ماجد من عرق صخري (مِرا) في الطريق ، وينصحه بأن يتحوّل عنه ويجري على ماء عشرين باعاً . لكن إذا رأى (المرا) مغزراً ، أي في مياه عميقة ، يستمر في مجراه . فابن ماجد يقول أنه جاوزه ، ذات مرة ، وفوقه الماء اثنا عشر باعاً . وينصح الربان عند اقترابه من هذا العرق الصخري ، أن يجري بالليل على ماء أربعة وعشرين باعاً ، أما بالنهار فيراه في الماء الأبيض ، وفيه سواد مثل عرق رأس (الثور) بساحل (المخا) بالبحر الأحمر . فإذا رآه يحوّل مجراه بعيداً عنه . فإذا صار جبل (قفاصي) بناحية مطلع النعش ، وصارت المياه الضحلة والعرق خلف المركب ، يخضرّ الماء . ومن هناك يجري زامين إلى رأس (مَدْوَر) ، وهو غير (مدور) المعروف بساحل الهند الغربي . وإلى الشرق من هذا الرأس جزيرة فيها شجر . ومن الرأس تشاهد جزيرة (سمطره) ، خصوصاً أشجارها بساحل (عارو) . وخلف الرأس بطن (خليج) تأتي بعده (فلوآفي) بعد جري زام واحد من البطن ، وهي جزيرة تقع إلى ناحية المغيب من (ملاقه) ، وإلى ناحية البر من (فلوآفي) جزيرة صغيرة أشجارها طوال ، وهي مستديرة ، و(فاسلار) إن لم تره بسبب الغبار ترى (فلوسينا) ، وحولها عشر جزائر ، هي مراسي المراكب الصينية ، تراها من قرب رأس (مدور) ، ومن (قفاصي) إلى مرسى (ملاقة) خمسة أزوام (١٥ ساعة) بالمركب الخفيف بريح ملائمة ، أما المركب الكبير فيقطع هذه المسافة بيوم وليلية (٢٤ ساعة) . و(ملاقة) على ساحل بطن (خليج) بين (فلوآفي) و(فلوسينا) . فادخل بندرها (مرساها) هنئت بالسلامة .

● ● ●

تلك هي رحلة ابن ماجد (الملعقية) ، من (كاليكوت) إلى (ملقه) أو ـ كما يسميها البحارة العرب أحياناً ـ (ملعقه) . ونلاحظ أن ابن ماجد قد اعتمد على قياس النجوم ، في مجراه من (كاليكوت) إلى (جزر ناج باري) . ولم يستعمله في مجراه من جزيرة (جامس فله) إلى (ملاقه) . ففي حالة السفر بين جزر وسواحل برور متقاربة ، كما في مضيق (ملقا) ، يستدل البحار على معرفة مجراه بالنظر إلى

الجزر ، والبرور ، وما فيها من العلامات ، إلى جانب الاستدلال بأعماق البحر ، ولا يحتاج إلى قياس النجوم وحساب الأزوام .

أما في البحار التي لا يرى منها الساحل ، والخالية من الجزر ، والعلامات البحرية الاخرى ، كما في الطريق من (كليكوت) إلى جزر (ناج باري) ، فالربان لا يستطيع ، بدون قياس النجوم ، معرفة اتجاهات خط رحلته . فالسير في الخن أو الاتجاه الواحد تحدد بدايته ونهايته بالقياس ، ومسافته بالأزوام الزمنية ، عند ابن ماجد ، وبحارة عصره . أما أزوام الترفات الحسابية فلا يستعملونها كلها ، لأنها عندهم ـ كما عرفنا من قبل ـ غير صحيحة ، ما عدا أزوام قياس النجم الذي أمام صدر المركب ، أو الذي خلفه .

أما الاستدلال بعدد الأزوام الزمنية ، في حالة احتجاب السماء بالسحاب ، كما صنع ابن ماجد ، في طريقه من جنوبي الهند إلى جزر (ناج باري) ، فلا يصح إلّا في حالة الريح الملائمة للمجرى ، التي سافر بها ابن ماجد . فإذا كانت الريح غير ملائمة ، دائماً ، للمجرى فإن عدد الأزوام يزداد بالطبع . إذ أن ما يقطعه المركب الخفيف بخمسة أزوام ، مثلاً ، ربما يقطعه مركب آخر في يوم كامل ، أي في ثمانية أزوام . لذلك نجد ابن ماجد قد قيّد هذه الأزوام بالقياس ، كما في قوله :

سبعة أخنان لهن جملة ... أحد وعشرين كفيت الغفلةْ
عن القياس ، فهناك (المعقل) ... مع سهيل ثمان فاعقلِ
وربعاً ، فهذا قيد ذي الطريق ... ما فيه من شك ولا تعويق

أي أن جملة الجري في السبعة الأخنان واحد وعشرون زاماً ، في كل خن منها ثلاثة أزوام (٣×٧=٢١) . ولا تغفل عن القياس فهو الضابط المقيد لهذه الطريق ، وهو هناك قياس نجمي (سهيل) و(المعقل) . فالجري في الأخنان السبعة ينتهي عند هذا القياس .

فبدون القياس ، لا يستطيع البحار ، إذا جرى بعيداً عن خط الساحل ، ولم يعد يرى شيئاً من العلامات ، التي يستدل بها على معرفة ما يجب أن يقطعه من

المسافة في كل اتجاه من اتجاهات مجراه ـ لا يستطيع أن يعرف بداية ونهاية الجري في كل اتجاه ، أي في كل خن ، والاعتماد على الأزوام الزمنية وحدها في ذلك ، غير كاف . إذ قد يغير اتجاه مجراه قبل أن يصل إلى المكان الصحيح ، الذي يجب عليه أن يغير منه اتجاه مجراه ، أو بعد أن يخلّفه . فالمراكب تتفاوت في السرعة ، فما يقطعه المركب الخفيف غير ما يقطعه المركب الثقيل من المسافة في الزام الواحد .

أما إذا كانت حوالى مجراه علامات يستدل بها على المكان الصحيح الذي يتحتم عليه أن يغير منه اتجاه مجراه ، فلا حاجة له ، في مثل هذه الحالة ، إلى القياس .

والطريق التي سلكها ابن ماجد في هذه الرحلة ، تختلف عن الطريق التي سلكها خليفته سليمان المهري . فهذا جرى من (الديو) بشبه جزيرة (كمبايا) (انظر الخريطة) ، في خن مطلع سهيل إلى خط عرض خمس أصابع من قياس نجم القطب الشمالي (الجاه) . ومن هذا العرض ينصح المسافر أن يميل إلى ساحل الهند الغربي ، حتى يكون بينه وبين هذا الساحل مقدار خمسة أو ستة أزوام اصطلاحية ، ثم يرجع إلى مجرى مطلع سهيل ويجري فيه إلى عرض ثلاث أصابع من قياس نجم (الجاه) ، ثم يميل تدريجياً إلى خن القطب الجنوبي ، المعروف أيضاً بـ (قطب سهيل) . لأنه إذا ضايق ، أي اقترب من جزيرة (سيلان) ، وجد بحراً شديد الأمواج ، وإذا تنفّس ، أي ابتعد عنها ، وجد بحراً هيناً . لذلك لا يكون ميله إلى قطب سهيل إلاّ قليلاً قليلاً . فإذا وصل إلى ثماني أصابع وربع بقياس نجمي (الفرقدين) ، أي خط عرض ثمان أصابع وربع من قياس الفرقدين ، ثم يتحول إلى مجرى خن مطلع العقرب ، ويجري فيه إلى أن يرى قياس ارتفاع نجمي الفرقدين سبع أصابع وربعاً . ومن هناك يجري في المطلع الأصلي ، أي خن المشرق مقدار ثمانية عشر زاماً ، حتى يرى جزيرة (سيلان) قد صارت بناحية فطيّة المركب ، أي جانب مؤخرة المركب . وعلامة سيلان البرق قائم عليها ، دائماً ، بمطر أو غير مطر . فإذا صارت عنك في ناحية فطية المركب ، فتحول إلى خن مطلع السماك والثريا ، إلى أن ترى قياس ارتفاع نجم الجاه عن خط الأفق مقدار إصبعين ، فارجع إلى مجرى خن المطلع الأصلي ، أي خن المشرق ، إلى أن

تندخ ، أي تكشف ، جزيرة (سرجل) ، وهي من جزر (ناج باري) . فإذا خلّفت (سرجل) اجر في خن مطلع الجوزاء إلى أن تكشف بر (ملاقه) ، فإذا نتخته ، أي كشفته ، فجاريه إلى أن تصل جزر (فلوسنبيلن) ، وهي تسع جزر . ومن هذه الجزر اجر في خن القطب الجنوبي ، قطب سهيل ، وربما تشاهد على بُعد ، من ناحية يمينك في المغيب جزراً ، وأنت تجري في مجرى القطب الجنوبي ، إلى أن تصل إلى جزر (فلوجُمْر) ، فتراها عراضك ، أي معترضة ، فاجر في خن مطلع التير ، وعمق الماء هناك من عشرة إلى أحد عشر باعاً فلا تخف ، إلى أن يزيد عمق الماء ويغزر فاعلم حينئذ أنك قد خرجت من (قفاصي) ، فجار البر إلى أن يصير جبل (فلوباسلار)[1] بناحية مطلع العيوق ، فارتفع ، أي مل ، إلى عرض البحر واجر على ماء أربعة وعشرن باعاً ، خوفاً من شِعبٍ ناطٍ ، أي بارز ، من البر هناك ، واستمر في مجراك على ماء أربعة وعشرين باعاً إلى أن يصير جبل (فلوباسلار) بناحية مطلغ النعش . فمن هناك اقترب إلى بر (ملاقه) وجاره إلى أن تصل (ملاقة) .

ويقول المهري أن الشوليان أو الصوليان ، المتقدم ذكرهم ، لهم طريق في مضيق (ملاقه) ، غير التي ذكرها ، هي : من جزر (فلوسنبيلن) يجرون زامين في خن القطب الجنوبي ، ثم يرجعون إلى مجرى خن مطلع السلبار . ويقول أن صاحب هذا المجرى يأتي متوسطاً بين شعب جزيرة (قفاصي) المسمى (فلوهنسا) وبين جزيرة (جُمَر) ، فيراهما جميعاً : جزيرة قفاصي يساراً ، و(جُمَر) يميناً عن بُعد . ومن هنا يجري في مطلع الحمارين على ماء ثمانية ، وسبعة ، إلى أن يزيد البُلد ، يعني عمق الماء ، فيخرج ذلك الوقت من (قفاصي) ، ويجاري البر على نحو ما تقدم .

فالإرشادات الملاحية لهذه الرحلة ، عند سليمان المهري ، تختلف اختلافاً كبيراً ـ كما نلاحظ ـ عن ارشادات ابن ماجد . فسليمان المهري اكتفى بوصف أهم القواعد الملاحية للرحلة ، وهي الأخنان وقياسات العرض ، ولم يذكر الأزوام ، إلا لتحديد الجري في خن المطلع أو المشرق الأصلي ، بجنوبي جزيرة سيلان ، وسار في ارشاداته الملاحية للربان على النهج التالي :

١ ـ من (الديو) في خن مطلع سهيل إلى عرض خمسة أصابع بقياس نجم الجاه .

٢ ـ الاقتراب من الساحل في خن المطلع الأصلي .

٣ ـ استئناف السير في مطلع سهيل إلى عرض ثلاث أصابع بقياس الجاه .

٤ ـ من عرض ثلاث أصابع في خن القطب الجنوبي إلى عرض ثمان أصابع وربع بقياس نجمي (الفرقدين) . (انظر الخريطة) .

٥ ـ من عرض ثمان وربع في خن مطلع التير إلى عرض سبع أصابع بقياس الفرقدين .

٦ ـ جري ثمانية عشر زاماً في خن المشرق الأصلي (المطلع) .

٧ ـ بعدها في مطلع السماك والثريا إلى عرض إصبعين بقياس (الجاه) .

٨ ـ بعدها في خن المطلع إلى جزيرة (سرجل) .

٩ ـ من (سرجل) في مطلع الجوزاء إلى قرب ساحل شبه جزيرة (ملقا) .

١٠ ـ مجاراة ساحل (ملقا) إلى جزر (فلوسنبيلن) .

١١ ـ من (فلوسنبيلن) في خن القطب الجنوبي إلى جزيرة (جُمَر) .

١٢ ـ من (جمر) في مطلع التير إلى ساحل (ملقا) .

١٣ ـ مجارة الساحل إلى بندر ، أي مرسى (ملاقة) .

أما ابن ماجد فيعطي المسافر وصفاً مفصلاً لأخنان طريق رحلته ، وعلاماتها ، وما حولها من الجزر ، والبرور الأصلية ، والمياه وأعماقها ، وألوانها ، وقياسات وأزوام الجري في الأخنان . ويسير في خط بحري يختلف في اتجاهاته عن خط رحلة سليمان المهري . كما نلاحظ من الوصف التالي له ، أعني خط رحلة ابن ماجد ، أنه فيما بين جزر (فلوسنبيلن) إلى (قفاصي) في مضيق (ملقا) لا يختلف عن الخط الذي يسلكه ـ كما قال المهري ـ البحارة الشوليان ، بحارة (تحت الريح) :

١ ـ من (كاليكوت) عشرة أزوام في مغيب السلبار (المُحْنِث) . وبعدها .
٢ ـ ثلاثة أزوام في القطب الجنوبي .
٣ ـ بعدها ثلاثة أزوام في مطلع السلبار .
٤ ـ ثلاثة أزوام في مطلع سهيل .
٥ ـ ثلاثة أزوام في مطلع الحمارين .
٦ ـ ثلاثة أزوام في مطلع العقرب .
٧ ـ ثلاثة أزوام في مطلع الإكليل .
٨ ـ ثلاثة أزوام في مطلع التير .
٩ ـ عشرة أزوام في المطلع الأصلي (المشرق) .
١٠ ـ ستة عشر زاماً في مطلع السماك .
١١ ـ أربعين زاماً في المطلع الأصلي .
١٢ ـ أربعة أزوام إلى جزيرة (سرجل) .
١٣ ـ من (سرجل) إلى جزيرة (فيرك) .
١٤ ـ من (فلوفيرك) إلى (فلوفيننج) في مطلع الجوزاء .
١٥ ـ من (فيننج) زاماً في مطلع سهيل وأربعة في مطلع التير إلى (دنج دنج) .
١٦ ـ من (دنج دنج) إلى جزر (فلوسنبيلن) .
١٧ ـ من (فلوسنبيلن) في القطب الجنوبي ومطلع السلبار إلى (قفاصي) .
١٨ ـ في مطلع الحمارين في مضاحل (قفاصي) حتى يصير جبل (قفاصي) في ناحية مطلع النعش عنه .
١٩ ـ مسايرة بر ملقه ، إلى بندر (ملقه)

خمسة أزوام من (قفاصي) إلى بندر ملقه .

ومن (قفاصي) إلى (ملقة) يعترض طريق المسافر شعبان ، أو عرقان صخريان ، الأول (شعب قفاصي) ، . وقد ابتعدتِ عنه طريق سليمان المهري في خن القطب الجنوبي ، من (فلوسنبيلن) إلى (جُمَر) ، وسايرته طريق ابن ماجد في مطلع السلبار . أما العِرق أو الشعب الثاني فهو بارز من بر ملقا ، ويصل إليه المسافر عندما يصير جبل (فلوفاسلار) ، أو (باسلار) ، في ناحية مطلع العيوق .

الفصل السابع

« السفالية »

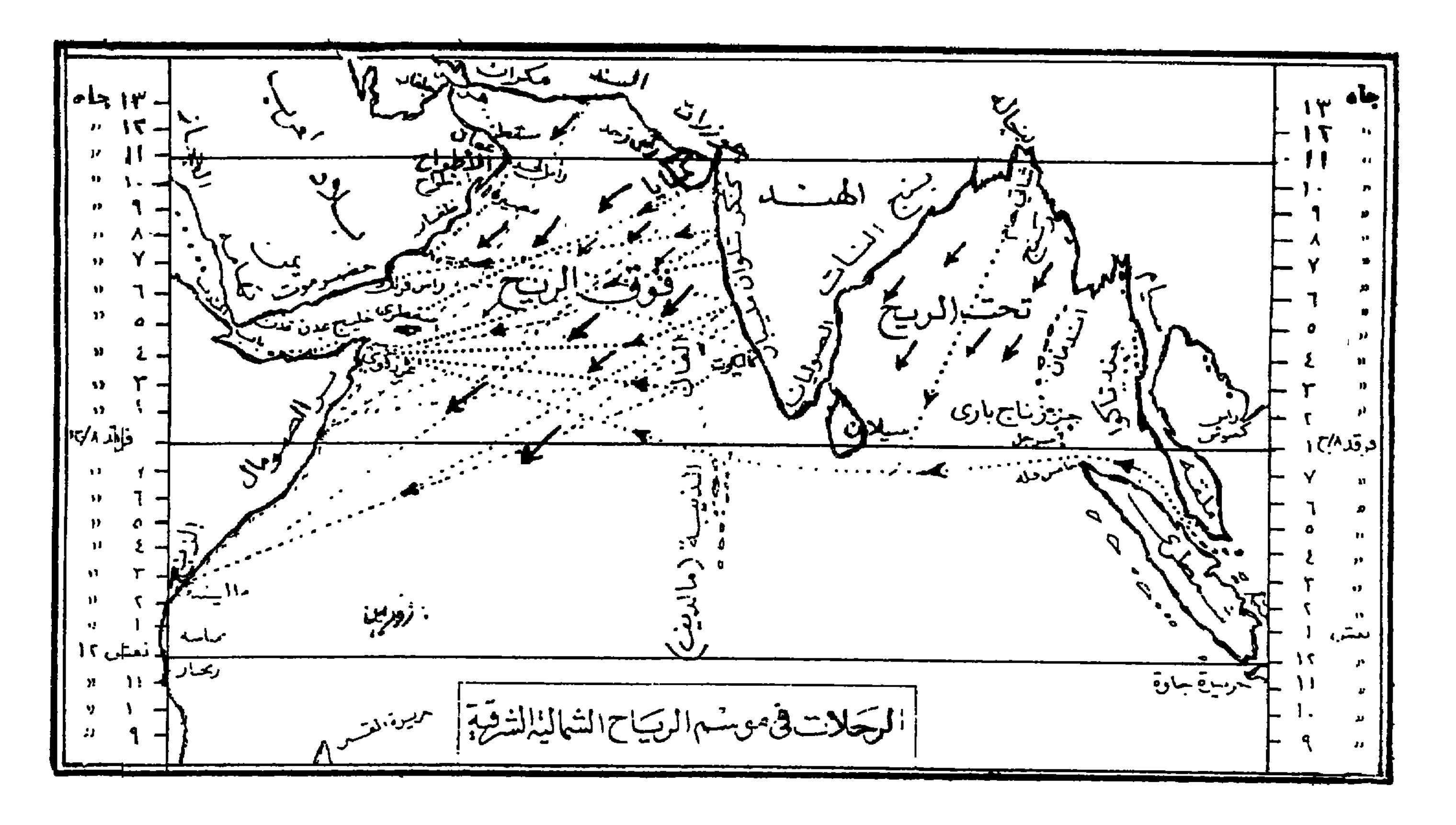
من يمعن النظر في هذه الأرجوزة يجد كثيراً من الغموض والخلل في معانيها ، مما يؤكد حدوث اسقاطات فيها ، وبالتالي يتأكد ما قلناه من قبل ، من أن عدد أبيات الأرجوزة هو تسع مائة بيت ، وليس سبع مائة . وأن لفظة (سبع) كانت في الأصل (سع) ، بدون نقط ، بحيث يمكن أن تقرأ (سبع) أو (تسع) ، وأن قراءتها (سبع) كانت خاطئة . وعلى هذا تكون الأرجوزة غير مكتملة ، وأن الأبيات الزائدة فيها على (سبع مائة) ليست منتحلة ، كما حسب البعض[3] ، وإنما هي من الأرجوزة . كما نلاحظ مثل هذا الخطأ قد حدث في قراءة (سبعة) (تسعة) في قول ابن ماجد في الأرجوزة «المعلقية» :

سبعـــة وخمســـون وأربـعـيـنـــا (ناك باري) ، سبعة مع تسعينا

فكتب البيت هكذا :

تـسـعـــة وخمســـون وأربـعـيـنـــا نـاك باري سبعـة مـع تسعينـا

ومن يعد الأزوام التي قطعها ابن ماجد من (كليكوت) إلى جزر (ناج باري) يجدها سبعة وتسعين زاماً ، أو ـ كما قال ـ «سبعة مع تسعين» .



الرحلات في موسم الرياح الشمالية الشرقية

ويصف ابن ماجد في هذه الأرجوزة الطرق البحرية من ساحل الهند الغربي وبلاد العرب الى ساحل شرقي افريقيا ، من رأس (جردفوي) أو (جردفون) إلى جنوب (سفالة) بساحل (موزمبيق) حالياً ، والعكس . كما يصف الطرق بين ساحل افريقيا الشرقي والجزر المجاورة له ، وقياسات وعلامات هذه الطرق .

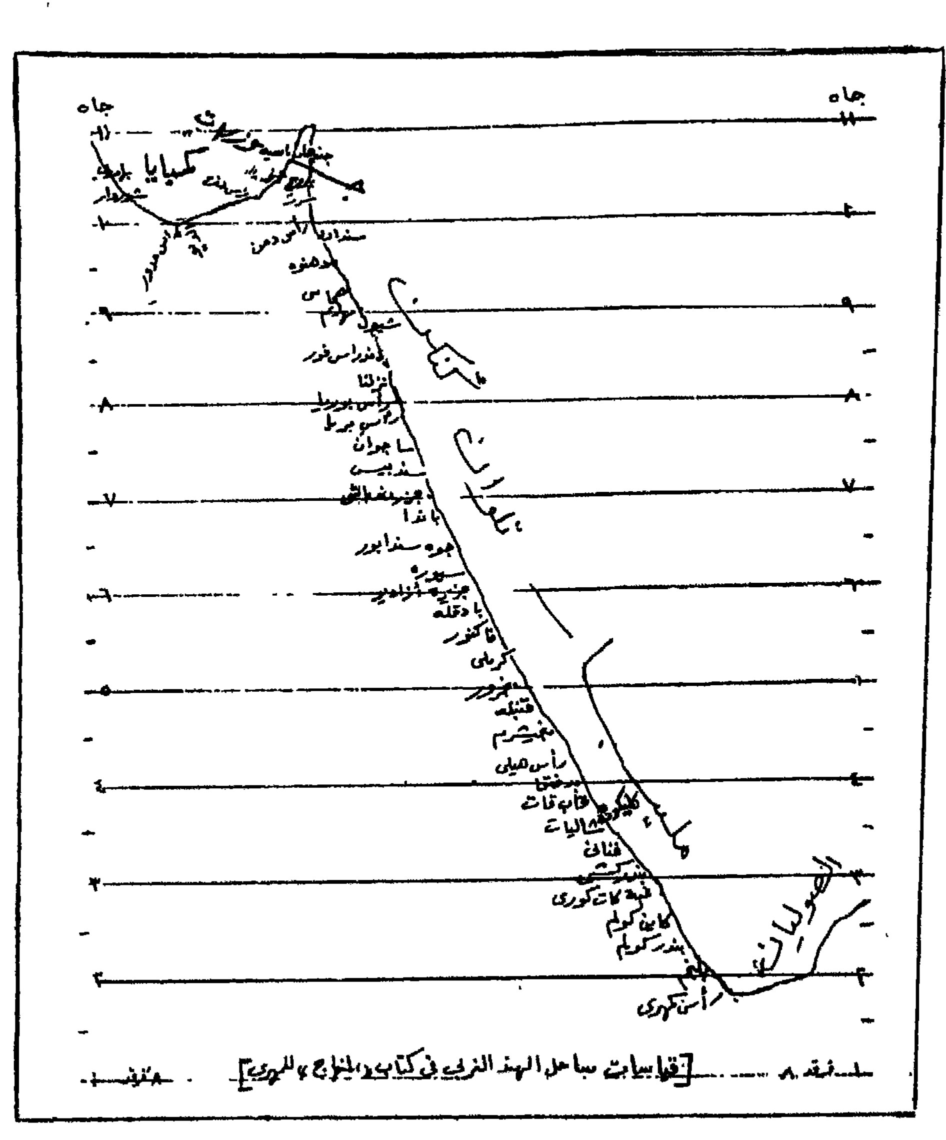
ولكن ابن ماجد يسترسل في وصف الساحل الافريقي إلى الجنوب من (سفالة) ، ناقلاً ذلك عن سمعه منه من بحارة ذلك الساحل والمسافرين إليه . ويستطرد بعد ذلك في وصف افريقيا الغربية إلى (المغرب) ، ويخرج منه إلى وصف (الجزر الخالداات) ، التي كانت قديماً مبتدأ خطوط الطول ، ثم بلاد الإفرنج ، وغيرها من البلدان الشمالية حتى يصل في وصفه إلى الصين ، ناقلاً ذلك عن الكتب الجغرافية العربية التي اطلع عليها . ونقرأ له مثل هذا الوصف الجغرافي في فصل «دورة البحر بجميع الدنيا» أو «دورة الأرض» في كتابه «الفوائد» .

ولأن هذا الوصف لدورة البحر ـ كما قال ـ بالدنيا ، لا علاقة له بموضوع الأرجوزة الأصلي ، فقد أهملت ذكر أبياته ، كما صححت ، ما استطعت ادراكه من الألفاظ المصحفة في الأرجوزة ، وما خفي علي من هذه الألفاظ وضعت في موضعه ، من البيت ، نقطاً ، إن كان التصحيف غير مخلٍ بالمعنى العام للبيت . أما الأبيات التي أفسد التصحيف معانيها ، وجعلها غامضة لا معنى لها ، فلم أذكرها ، وأشرت إلى ذلك في ثبت الهوامش بآخر الكتاب :

الحمـــد لله الـذي أنشـأ المـلا   من عـــدم جـل تعــالى وعــلا
قـد كلت الألسن عن أوصافـه   وكم نرى في البحر من ألطافهْ
لو لم يكن إلا القياس والـدير   نجري عليها في صباحٍ وسحَرْ
من أرض (كاليكوت) مع (دابول)   وجــوزرات مــع (الــديــولِ)
ثم (هــراميـز) مــع (الأطـواح)   فـافعل بصنع خالقي يـا صاحِ
إلى (السواحل) ونواحي (القمر)   إلى (ســفــالــه) اســع واجــرِ

● ● ●

من أرض (كاليكوت) إلى (الفالات) ... من جاه أربع إلى الثلاث
مجراك في الجوزاء مع التير ... على قدر ريحك في المسير
إن كان ريحك مولماً موافقاً ... فانهج (كفيني) بمجرى صادقاً
عشرين زاماً جمة فاحسب ... تفول في الجوش ريح المغرب
عن جزر (الفالات) شام ويمن ... فذاك يسمى (الفال) وقيت الحزن
فإن يكن ريحك من المغارب ... مخالفاً على ذوي المآرب
أو زحن أو طوفان أو أمطار ... فذاك بالتدبير في الأسفار
ما حاجة يوصف للمعلم ... كون له بجدة واعزم
لا تسقط الجاه وقالب مشملا ... أن لم تفول عن ثلاث كملا
قياس (كفيني) باليمين ... وشاهده تراه باليقين
في سابع النعش وضلع الشام ... ثمان إلا ربع بالتمام
ورامح في الشرق مع ذي الضلع ... هم ست نفاس فيهم ربع
إن ضقن عن ست أصابع في النظر ... وأنت على (ملكي) أتاك المطر
إذا سقطت الزم الجوش ولا ... تترك الجاه وأرقى للعلا
لتستريح من أذى الأمطار ... والزحن .... في الأسفار
واجر على السماك ثم الكاثر ... حتى يزيد الجاه إصبع وافر
إن كنت (كنكنياً) أو (جوزرات) ... وطالباً (ظفار) أو (قلهات)
أما الذي يطلب (زنجباري) ... يحكم في الريح وفي المجاري
موسمه السبعين في خروجه ... وفي الثمانين يكون ولوجه
ولم يلج من سار في التسعين ... إلا أن يكن في نادر السنين
فإن نشرت علم (الفالات) ... وقصدك الزنج فخذ وصاتي
فاجر على المغيب والجوزاء ... (للسيف) وانتخه على المجراء
تلقى به السهيل والظليم ... ست ونصف كن به عليم
إذا رأيت القياس قد وفى ... فاقبل على الغرب ومل بلا خف
ثم ترى الشرطين في الغروب ... مع سادس النعش فخذ تجريبي
أربع أصابع في قياس واحد ... وثلث أيضاً فوقهم زوايد



[قياسات ساحل الهند الغربي في كتاب «المنهاج» للمهري]

ورتب المجرى مع القياس	في نتخة البر فكن ذو باسِ
لا ترقد الليل على النتخات	لأنها عظيمة الزلاتِ
وذاك بر ما له علايم	بل عندك (المنجي) مديم دايمْ
فيغزر الواحد بالطوفان	عشرون من الأزوام يا ربانِ
وإن ترى كثر طيور (المنجي)	احذر من البر تفز بالفرجِ
فكل ربان له سياسة	يعرف بها المجرى ، وبالفراسة
وكثرة (الجربوب) والطيور	والحوت والحيات يا نصيري

● ● ●

يصف ابن ماجد الطرق البحرية إلى ساحل افريقيا الشرقي من أهم مراسي ساحل الهند الغربي ، والسند ، وعمان ، فمن الهند ثلاث طرق : الأولى من (كاليكوت) بالمليبار بالجزء الجنوبي من ساحل الهند الغربي ، والثانية من (دابول) بساحل (الكُنكُن) شمالي (المليبار) ، والثالثة من (مدّور) بساحل (الجوزرات) بالجزء الشمالي من هذا الساحل . ومن (السند) طريق واحدة من (دُيول) . ومن عُمان طريق من (قلهات) واخرى من جزر (خوريا موريا) ، إذا لم تكن ثمة طرق اخرى سقطت أبياتها من الأرجوزة .

من (كاليكوت) إلى السِّيف الطويل) :

تبدأ طريق المسافر من (كاليكوت) إلى ساحل شرقي افريقيا من خط عرض أربع أصابع بقياس نجم الجاه إلى خط عرض ثلاث أصابع . ويجري في اتجاه خن الجوزاء وخن التير عشرين زاماً جمة ، أي اصطلاحية ، عن ستين ساعة زمنية (٣×٢٠=٦٠) ، إلى جزيرة (كفيني) من جزر (الفالات) . وتترك هذه الجزر[4] عن يمينك وشمالك . فإذا كانت الرياح معاكسة لمجراك ، أو واجهت أمواجاً عظيمة (زُحُن) ، فغالب على قدر خبرتك بالملاحة في هذه الحال . بشرط ألّا تسقط عن خط عرض ثلاث أصابع بقياس الجاه ، وهو خط عرض جزيرة (كفيني) . فإذا وجدت أنك تميل إلى الجنوب عن هذا العرض ، فغالب إلى ناحية الشمال ، والزم الجوش ، حتى يزيد عرضك إصبعاً . لأنك كلما ابتعدت إلى جهة الشمال ابتعدت

بالتالي عن ضرر الأمطار والأمواج العظيمة ، التي تصادفها على عرض ثلاث أصابع . وبعد خروجك من جزر الفالات تجري في اتجاه خن (المغيب الأصلي) و(مغيب الجوزاء) إلى (السيف الطويل) بساحل الصومال الشرقي .

وإذا كنت مسافراً من (الكنكن) أو (جوزرات) إلى (قلهات) بساحل عمان الشرقي ، أو (ظفار) فتجري في اتجاه مغيب (السماك) و(الواقع) (الكاثر) . وإن كنت تريد (زنجبار) بشرقي افريقيا ، فتكون الريح ملائمة لمجراك ، فتتحكم في المجاري والريح ، فإذا خرجت في السبعين من النيروز تصل في الثمانين .

وقياس نتخة (السيف الطويل) ست أصابع ونصف ، بقياس نجم (سهيل) ونجم (الظليم) ، وهو أحد نجمي الحمنارين(*) . فإذا استوفيت هذا القياس فتتجه نحو المغيب الأصلي ، حتى ترى نجمي (الشرطين) ، وهما من نجوم برج (الحَمل) . بناحية المغيب ، على ارتفاع أربع أصابع وثلث ، وكذلك النجم السادس من نجوم (بنات نعش) . فحينئذ تستعد لنتخة ، أي كشف ، بر الصومال . وهو بر ليس له علامات بحرية غير طيور (المنجي) ، التي يغزر بعضها ، أي يبتعد عن البر ، عند العاصفة مقدار عشرين زاماً . فإذا رأيت هذه الطيور كثيرة فاحذر من بر الصومال ، لأنك أصبحت قريباً منه . وكل ربان له سياسة في تصريف المركب عند نتخة البر . ومن علامات هذا البر بعض الحيتان ، وثعابين الماء ، والطيور .

وإن تكن تـطلق من (دابـول)	افعـل بـأوصـافي وخـذ بقـولي
اجـر منهـا في غـروب التـير	حتى يصـير الجـاه بـالتحـريـرِ
ذبـان لا يـنـقص ولا يـزيـد	ورد في الإكليـل بـالتـوكيـدِ
تنتـخ بهـا (للسيفيـة) الـطويلة	فنتختهـا هي مـأمـونـة جميلةْ
من حد (طبقات) (لفشت مقبل)	إن لم تـر الـبر فقـدم واقبـلِ
لـقـوة المـاء وسهـو المجـرى	إن كنت من فرسان هذا البحرَ
فيه العلايم قـد تقدم ذكـرهـا	أمـا القيـاسـات فهـاك شرحهـا
اسمـع في كـل مكـان كـانـا	تجـود المـنـتـخ يـا ربـانـا
الأول في الشرطـين والـعـنـاق	قيـاسهم صحيـح في الآفـاقِ

بـل هم بـبر الـزنـج ضيقـات ذكرتهم من قبل ذي الصفـاتِ
لـكـن نـفـيـسـات بـبر عـالي اسمـع مقـالاً يـشبـه الـلآلي
وهم بــدابــول كمثـل الجـاه ثـمان مـا فـيـهـم اشـتـبـاه
وكلما ينقص من الجاه إصبعا ينقص فيهم نصف قسهم واسمعا
وإن يكن قيـدك في الأشراط ثـمان فـاتقـنـه كـالمـخـيـاط
واعـلم بـأن ذلـك الـعـنـاق يـصـير كـالجـاه بـالإتّـفـاقِ
. . . .

● ● ●

من (دابول) إلى (السِّيف) :

من (دابول) ، عرض ست أصابع بقياس (الجاه) (انظر خريطة الهند) تجري في اتجاه خن مغيب (التير) ، حتى يصير قياس (الجاه) أربع أصابع أي (ذِبَّاناً) ، يعني حتى تصير على عرض أربع أصابع بقياس الجاه ، لا تزيد ولا تنقص ، ثم ترجع إلى اتجاه مغيب (الإكليل) وتجري فيه إلى أن تنتخ (السِّيف الطويل) ، فنتخته مأمونة . وإذا لم تر بر الصومال من حد (طبقات) إلى (فِشت مقبِل) ، بسبب انحرافك عن المجرى الصحيح بقوة الأمواج والتيار فصرّف مركبك حسب خبرتك بالملاحة في هذا البحر .

وعلامات هذا البر قد تقدم ذكرها . أما قياساته ، إذا أردت أن تكون نتختك لبر الصومال جيدة ، فاستعمل قياس نجمي (الشَّرطَيْن) مع نجم (العِناق) ، وهو من نجوم (بنات نعش) [السادس ـ عند ابن ماجد ـ من نجوم (النعش) الكبرى][1] ، لأن قياس هذه النجوم صحيح في جميع البحار . لكن قياسها ببر الزنج والأقاليم الجنوبية يكون (ضيّقاً) ، أي ينقص من ثمن إلى ربع إصبع . فعند قياسك لهما تضيف إلى مقدار قياسهما هذا (الضيق) . أما في البحار الشمالية فقياسهما (نفيس) أي فيه زيادة من ثمن إلى ربع إصبع ، فعند قياسك لهما في هذه البحار تسقط من قياسهما هذا (النَّفَس) ، أو الزيادة . وقياسهما بدابول ثمان

أصابع ، مثل قياس الجاه فيها ، فإذا اتجهت جنوباً ، وأردت تدريج قياسهما على قياس الجاه ، فستجد أنه إذا نقص قياس الجاه إصبعاً ينقص من قياسهما نصف إصبع .

وقياس نجم (العناق) مع (الجون) ، وهما من نجوم (بنات نعش الكبرى) من القياس الأصلي ، عند البحارة ، ويحسب به عروض البلدان الجنوبية التي - كما ذكرنا من قبل - لا يظهر فيها نجمي (الفرقدين) .

وإن تكن طالق من رأس (مدورا) — من (سومنات) فاجر واحزم واسهرا
نعم البنادر هن للدخول — ثم الخروج عند ذوي العقولِ
منهم في الإكليل ثم العقرب — لآخر (السيف الطويل) تقربِ
(جيريش) ، وهو أول (الهيراب) — من الشمال أعرف الحسابِ
لكن في جاه إصبع ونصف — ذراع كالهيراب خذ من وصفي
وإن ترى خبت برأس المارزة — يوماً أو يومين للمجاوزة
رد على الإكليل يا ربان — واستوف ما ضيعت في الحسبانِ
تنتخ به (السيف) هناك حكما — وتلزم البر هناك لزما
ما حاجة أكرر القياس — إذا اشتهيت عندك الأساسِ

. . . .

● ● ●

من (مَدْوَر) إلى (السِّيف) :

وإذا انطلقت من رأس (مدور) أو (سومنات) ، من اقليم (جُوزُرَات) ، وهما من المراسي الجيدة الدخول والخروج ، فاجر في اتجاه خط خن مغيب (العقرب) إلى طرف (السيف الطويل) الجنوبي ، فتقترب إلى (جيريش) وهو أول (الهيراب)[7] من ناحية الشمال ، على عرض إصبع ونصف بقياس (الجاه) وهو أي (جيريش) ذراع من البر في البحر مثل (الهيراب) . فإذا وصلت ، وأنت في طريقك إلى بر الصومال ، إلى رأس (المارزة) ، أي أول ما تقابله من المارزة ، وهي ثعابين

الماء ، فمن هناك إلى البر تقطعه بالمركب المجاوز السريع في يوم أو يومين . ومن رأس (المارزة) ترجع مجراك في اتجاه خط مغيب (الإكليل) تنتخ به (السيف) تماماً .

أما القياسات هناك فقد تقدم ذكرها ، فلا داعي إلى تكراره .

وإن تكن طالق من أرض السند   للزنج فاجر لها ولا تعدً
عن مغرب الحمارين ثم العقرب   إلى (سقطره) ثم ادن واقربِ
اقبل على المغيب يا خليلي   انتخ به ومل على الإكليل
عندك ميدان طويل يحملا   تفاوت النتخة وقيت البلىٰ
فانتخ به للبر بلا ندامة   هنيت فيه بالأمن والسلامة
ترى هناك سهيل ثم المعقل   ثمان فقس لهم يا أملي
والقلب والعيوق يا معلما   ثلاث أصابع تراهن في السما
....

● ● ●

من (ديول) السند :

إذا انطلقت من (ديول) قاصداً بلاد الزنج فاجر في اتجاه خط مغيب (الحمارين) [انظر دائرة بيت الإبرة] ثم انحرف إلى خط مغيب (العقرب) حتى تصل إلى جزيرة (سقطره) فاقترب منها ، ثم اجر في اتجاه خن مغيب (الإكليل) ، وانتخ به بر الصومال على قياس ثمان أصابع من قياس نجمي (سهيل) و(المعقل) أحد نجمي (الحمارين) . وقياس نجم (العيوق) و(قلب العقرب) ثلاث أصابع .

وعندك مجال واسع يحتمل تفاوت نتختك لبر الصومال . وسالك هذه الطريق تكون نتخته لبر الصومال مثل المسافر من عُمان .

وارجع للمجيء من (الأطواح)   وبر (قلهات) على الفلاح
فجاري البر على ....   لرأس (جمجمة) واحذر البنات
واجر من مشرقي الراس   في مغرب السهيل هو الأساس

إلى (مصيره) ثم رد في العقرب　　في أي صوب شيت اجر واحسبِ
إن كـان في النـيروز للتسعـين　　فاحذر من الأرياح في التشحينِ
لا تعـبرن في مبتـدئ الحـايات　　فـارس بها واعـزم على الثبـاتِ
اجـر من (شـظار) في سهيـل　　تـرى (سقطره) ، وهي الـدليلِ

● ● ●

من عُمان :

من (قِلْهات) وبقية مراسي ساحل عمان الجنوبي الشرقي ، وهو الساحل الذي كان يعرف عند البحارة العرب ببر (الأطواح) يسافرون إلى بر الصومال على الطرق التالية :

من (قلهات) تجاري البر إلى رأس (الحد) ، وهو أقرب رأس من بلاد العرب إلى الهند ، ويسمى أيضاً رأس (الجمجمة) ، وأن تكون على حذر من رياح (البنات) ، التي تهب أيام الشتاء من ناحية مغيب (بنات نعش) ، أي من ناحية الشمال ، لأنها قد تسقطك عن مجراك إلى الجنوب من الرأس .

ومن شرقي رأس (الحد) تجري في اتجاه مغيب (سهيل) إلى جزيرة (مَصيرَه) . ومن (مصيره) تميل إلى اتجاه مغيب (العقرب) . ويمكنك بعد أن تخلّف (مصيره) أن تجري في أي اتجاه تشاء إلى البر الافريقي .

ومن أول النيروز إلى التسعين منه احذر من شدة الرياح الشمالية الشرقية ، فلا تفرط في شحن المركب بالسلع ، ولا تعبر من (مصيره) في بداية الحايات الشديدة ، أي فترات الرياح الشديدة . وإنما تبقى بها إلى أن تخف حدة الرياح .

والمجرى الآخر من (الأطواح) ، من (شظار) وتجري في اتجاه مغيب (سهيل) إلى أن ترى جزيرة (سقطره) .

وإن تكن تطلق من ذي الجزرا　　فمغـرب المحنث نعم المجـرىٰ
هـذي مجاري يـا أخي السفـار　　تـرى (سقـطره) جـانب اليسـارِ

ومل على سهيل خوف الماء ... على مجاري الأصل بالسواء
حتى يكون مجراك إلى (حافون) ... مرتفعاً عنه على اليقين
أما الذي يجري من الجزائر ... في مغرب السهيل ....
يأتي على (سمحا) و(درزا) ظاهرا ... فكن حذوراً من هذه الجزائرا
أما مجاري البحر عن (سقطره) ... تجعلها يمين عند العبرة
في القطب يكون في حيات الماء ... لم ترها إلا على الصَّحاءِ
لكنها تطول ذي الطريق ... فاعمل بتجريبك يا رفيقي
إن رحت بحريها خذ الحماري ... ورد في العقرب يا ذا الجاري
حتى يجيك البر من (طبقات) ... لحد (جريش) خذ الصفاتي
وهناك هيراب من الرمال ... لبئس بالهيراب خذ مقالي
لكنه أقرب من الهيراب ... للبحر يعرف (بذي الأكثابِ)
وتلقى في (طبقات) نجم الرامح ... والظلع خمس في القياس واضحِ
فإن نتخت (سيفك الطويل) ... فالبر صاف واضح السبيلِ
اعمل بتدبيرك والمشاورة ... لعاقل معاود ذو مخبرةْ
في كل ما تفعله يا عاقل ... لا خير في شخص بأرض جاهلْ
قد اتفقنا كلنا في (بالسيف) ... لـ(فشت مقبل) كله نظيفِ
أكداف عاليا الذرعان ... كن عارف الأوصاف يا ربانِ

● ● ●

من جزر (خوريا موريا) :

«سقطت من الأرجوزة أبيات يصف فيها ابن ماجد بقية الطرق من مراسي الجزء الجنوبي الشرقي من بلاد العرب ، قبل أن يصل إلى جزر (خوريا موريا) . يؤكد ذلك قوله :

وإن تكن تطلق من ذي الجزرا ... فمغرب المحنث نعم المجرىٰ

ففي قوله : «ذي الجزر» إشارة إلى جزر (خوريا) التي سبق ذكرها في أبيات سابقة .

ومن هذه الجزر تنطلق في اتجاه خط مغيب المحنث (السلبار) فتأتي جزيرة (سقطره) إلى يسارك ، فحينئذ مِلْ إلى اتجاه مغيب (سهيل) حتى يكون مجراك إلى (حافون) مرتفعاً عن شدة التيار هناك . أما إذا جريت من (خوريا) في اتجاه مغيب (سهيل) فتأتي إلى جزر (سمحا) و(درزا) ، وهي جزر صغار بين (سقطره) والبر الافريقي .

وهذا المجرى لنتخة بر الصومال من (حافون) . أما الطريق التي تقطع بها عرض البحر وتأتي جزيرة (سقطره) إلى يمينك ، فهي في اتجاه القطب الجنوبي من (خوريا موريا) . وتأتي هذه الطريق بحري (سقطره) أي إلى ناحية عرض البحر شرقي (سقطره) ، وتعبر المياه التي توجد فيها ثعابين الماء (المارزة) ، وهي لا ترى إلا في حالة الصحو .

لكن هذه الطريق طويلة . فعلى الربّان أن يصرّف مركبه في هذا البحر حسب تجاربه السابقة فيه . فإذا جرى في اتجاه مغيب الحمارين بعد أن يرى (سقطره) ، ينحرف إلى اتجاه مغيب العقرب حتى يصل إلى بر الصومال ، من حد (طبقات) إلى جيريش) . وهناك يقابل هيراب أي ذراع من الرمل ، أقرب إلى البحر من (الهيراب) المعروف على ساحل الصومال ، ويسمى هذا الهيراب (بذي الأكثاب) . وينتخ (طبقات) بقياس خمس أصابع من قياس نجم (السماك الرامح) و(الظلع) . وإن نتخ (السِّيف الطويل) فالبر صاف واضح السبيل . فيصرّف مركبه حسب تدبيره وخبرته ومشاورة من له خبرة بذلك البر . والساحل من (السيف) إلى (فِشت) مقبل) كله نظيف ، وهو أكداف[8] ، لها أذرعة عالية . فعلى الربان أن يعرف صفة هذا الساحل .

فإن تخلفه يدور البر عن مغرب السهيل هاك خبري
في مغرب العقرب والحمار لكل ذاك البطن خذ أشواري
لكن بين (الفشت) و(المروتي) طحلة عليها الماء يا محبتي
و(المروتي) شعب عن البر انعزل يحوي الذي يهجم ، خذ هذا مثل
في غالب الأحيان لم تروه لا هو ، ولا (الفشت) فجربوه
لأنهن عالقات البر والسفري مرتفع للبحرِ

قياسات ودير ساحل افريقية
الشرقي والجزر المجاورة له
كما جاءت في «المناهج» للمهري

والأرض بين (المروتي) و(الفشت)	ذرعـان هـابـطات خـذ لنعتي
وبـعـده أكـداف (لـلصـنـاني)	و(المروتي) أحد عشر ، لا تـداني
وربمـا تـرى هـنـاك الجبـل	منجـذبـاً في الـبر ليس بـالعـلي
تـراه في الـبر قـريـبـاً داني	إن لم يكن يأخذ في الـذرعاني
لقـرب (مقـدشـوه) أمـا بـالمطر	أو في غبـار لم تـراه بـالـنظرِ
واسمـه (الهيراب) عنـد العرب	أمـا لغات الـزنـج اسمـه غبي
تحتـاجـه بـالعـين لا بـالإسم	إذ ما له هنـاك شبيه ، قسمِ

● ● ●

فإذا خَلَّفت (فِشت مقبل) تجد خط الساحل يميل من اتجاه مغيب (سهيل) إلى اتجاه مغيب (العقرب) و(الحمارين) إلى حدود (المروتي) مكوِّناً بطناً (خليجياً) بينهما ، أي بين (الفِشْت) و(المروتي) . وفي البطن مياه ضحلة . و(المروتي) شِعب منفصل عن البر يحتوي من يهجم عليه ، أي يقع عليه . لأنه ، في غالب الأحيان ، لا يرى ، لا هو ولا(الفشت) لأنهما مجاوران للساحل والمسافر لا يراهما لأنه مائل في مجراه إلى ناحية عرض البحر . و(الفِشْت) قطعة تكون أحياناً بارزة على سطح البحر ، وأحياناً تغطيها مياه البحر أثناء المد ، وهي من حجارة صغيرة هشة .

والساحل بين (الفشت) و(المروتي) أذرعة منخفضة تأتي بعدها أكداف (الصناني) و(المروتي) ، فلا تقترب من البر . وربما ترى جبلاً يمتد إلى ناحية البر إلى حدود (مِقْدَشوه) ، تسميه البحارة العرب (الهيراب) . وهو من علامات ذلك البر ، إذ ليس له شبيه هناك .

واجـر لـ(مـقـدشِـوه) ، والبـلاد	إن شيت فادخل ، أو فضل عادِ
لـ(مـركـه) ثـم إلى (بـراوه)	تـقـطعـهـا في يـوم بـالـتـلاوة
ومـن عـلامـات (بـراوه) فيـهـا	سـبـعـة ذرعـان تـرى عـليـهـا
بـنـدرهـا منهـا عـلى الـرابـع	من أي صوب جيته . . . .
وادخـل إلى البندر بـالسـلامـة	عـن شـدة الـبـحـر والمـلامـة
تـرى عـلى بـنـدرهـا جـزيـرة	مـنـعـزلـة عـالـيـة كـبـيـرة
بنـدر بكـل ريح عند العـارف	افـهـم صـفـاتي ولا تخـالـف

فـدر من الجـزيـرة واطـرح فيهـا | والنـاس تـأتيـك قبـل أن تـأتيهـا
تدخل بجـوش يمين عنـد الأزيب | إن شيت أن تـدخـلهـا فَـرَتِّبِ
إن لم تـردهـا فـاسر | عـلى طريق الـبر إن شيت اجـرِ
يحـدر معـك الـبر من ذا الـبر | لآخـر (الـسفـال) يـا ذا الخـبر
لآخـر (الـسفـال) يـا مـعـلم | فـاعـلم بـه كفيت شر الـظلم

● ● ●

من (مِقْدَشوه) إلى (بَراوَه) :

ساير الساحل الصومالي ، مسترشداً في حالة الصحو بالهيراب إلى (مقدشوه) . فإن شئت فادخل مرساها ، أو استمر في مجراك إلى (مَركه) ، ثم إلى (براوه) . وتقطع هذه المسافة بيوم واحد . والعلامة التي تعرف بها (براوه) سبعة ذرعان ، مرساها في الذراع الرابع ، يمكنك الوصول إليه من أي صوب ، فادخل بندرها لأن البحر بجوارها شديد . وبندرها صالح للرسو بكل ريح ، وعليه جزيرة كبيرة مرتفعة ، فدر حولها واطرح المرساة . وتدخل بندرها بريح الأزيب بجوش يمين ، أي وجوش الشراع على الجانب الأيمن من مقدمة المركب وإن لم ترد أن تدخل (براوه) فاسر على الطريق البرية ، أي المسايرة للبر ، فينحدر معك البر من (براوه) إلى آخر (سفالة) .

واجـر في أكـليلنـا لا يختـلـف | لبطن (شيكا) وهـو بطن معْتَرَف
أول مـا يـأتيـك في ذا الـغب | جـزيـرة عـلى بـلاد (الجُـبِّ)
عـلى مسـيرة أربـعـة أزوام | بـريـح أزيـب كـمـلاً تمـامِ
منهـا إلى (ملوان) أيضـا أربعـة | احـفظ لـنـظمـي واسـمـعـه
ومـن هـنـا مـسـير سـتـة | والكـل بـر المـل هـاك نعتـه
لأن (بـتـا) فـوقـهـا جـزيـرة | (فـازعـلي) تسمـى بـذا شهـيرة
وبـيـنهـا طـريـق هـي والـبر | بـحـريهـا شعـب وهـو منـجـرٌ
لـقـرب (وازينـا) ، وهـم أقـوام | في الـبر كـالـسـارق يـا همـام
عـليهـم جـزر بـلا حسـاب | صغـار ثم كـبـار يـا أحبـاب
وهـن مـن (مـلوان) إلى (بـتـاء) | مـا بينهـا في الـوسط بـالسـواء
وأرض (بـتـا) بـلد الأجـواد | وتـلك مـعـدن بـسس الـزّبَـاد

من (براوه) إلى (بَتا) :

واجر بمحاذاة الساحل ، في اتجاه مغيب (الإكليل) ، لا تنحرف عنه ، إلى بطن (شكا) ، وهو بطن معروف لدى البحارة [يقال للبطن أيضاً غُبّ وغُبَّة] . وأول ما يقابلك من هذا البطن جزيرة تنسب لبر (الجُبْ) ، على مسير أربعة أزوام من (براوه) ، أي اثنتا عشرة ساعة زمنية ، بريح الأزيب . ومن الجزيرة إلى (مِلْوان) أربعة أزوام أيضاً . ومن هنا تسير ستة أزوام إلى (بَتا) بحذاء بر المل ، أي البر الأصلي [لا يطلق المْل على بر الجزيرة] . وعلى (بتا) جزيرة تسمى (فازعلي) بينها وبين بر المل طريق ، وبحريها ، أي إلى ناحية عرض البحر عنها شِعب مُنْجر ، أي ممتد ، إلى قريب (وازينا) ويعرف هذا البر ، عند البحارة ، ببلاد (السارق) ، لأنه أهله لصوص . وعلى ساحلهم جزر صغيرة لا حصر لها ، من (ملوان) إلى (بتا) في الوسط بينهما تماماً . أما (بتا) فأرض الأجواد وبلاد بسس ، أي سنانير ، الزَّبَاد . [الزَّبَاد مادة لزجة يتطيّب بها تستخرج من غدة عند منبت ذيل السنور من أسفل] .

وإن ترد شهود في هذا الطرف ... هاك قياساً لا يخون معترفْ
على (براوه) تنظر الفراقد ... خمساً مع الصرفة ، علم واكد
والفرقد الأكبر وهو مستقل ... ثمان ونصف ما فيه خلل
وهو على (الجب) سبع وربع ... وفي بلد (ملوان) هو بهذا الوضع
سبع إلا ثلث بالتحقيق ... فقس عليه تعرف الطريق
وإن تقيس الفرقد الكبير ... فالمستقل ..... عندنا شهير
ست ونصف اعلمن وضعها ... وفي بلد (السارق) ثم جزرها
وست إلا ربع في (بتاء) ... وخمس ونصف بالسواء
تأتي إلى (لاموه) مع (كتاوه) ... وقس لها واحفظ التلاوه
ما حاجة أشرحه للقاري ... من خوف سهو القلم ، كن داري
لأنه في أصل (رأس الحد) ... أحد وعشرون ونصف يبدي
فخذه بالتدريج (للأخواري) ... إصبع لإصبع في الترفا جاري

● ● ●

قياسات نتخة هذه الأماكن من بر الصومال :

وإن تريد أن تعرف شهود نتختك لهذه الأماكن فهاك هي : عرض (براوه) خمس أصابع بقياس الفرقدين وقت استقلال منزلة الصرفة ، أي وقت وقوفها في ذروة مدارها ، في منتصف السماء . وهو من القياسات الأصلية التي تعرف بها عروض البلدان عند قدماء البحارة . أما قياس الفرقد الكبير وهو مستقل ، فهو عند (براوه) ثمان أصابع ونصف ، وعلى (الجب) سبع وربع وفي (ملوان) سبع إلا ثلثاً ، وفي بلاد (السارق) ست ونصف ، وفي (بتا) ست إلا ربعاً ، وخمس ونصف (لاموه) و(كتاوه) . ولا داعي للاستفاضة في شرح هذا القياس . وهو في الأصل ، عند رأس (الحد) ، احدى وعشرون إصبعاً ، حيث يكون قياس نجم (الجاه) احدى عشرة إصبعاً ، فإذا أجريت نحو الجنوب من رأس (الحد) ونقص قياس (الجاه) إصبعاً ينقص من قياس هذا الفرقد إصبع أيضاً . وهكذا يمكنك أن تدرّج قياسه على قياس (الجاه) إلى آخر اقليم (سفاله) .

إن صح لك ذا القياس فافعل	وارجع بنا لشرح وصف الأول
من حد (بتا) طالب الجنوب	على طريق البر والشعوبِ
منها يدور البر للجزاير	(كتاوه) و(لاموه) لهم أشاير
ذرعان عاليات ، وصف واكد	مدخلهم مدخل خور واحد
لكن ذاك الخور هو طويلا	يدخل (لوازينا) لنا قد قيلا
في مدخل الخور تكن (كتاوه)	على اليمين افهم التلاوهْ
وبندر (لاموه) يجي يساري	جزيرة كانت هنا عماري
بهم ترى الأعزل في المشارق	خمس كمثل الظلع في الحقائق
والأعزل المشهور والمربع	عشر أصابع في القياس فاسمع
وسابع النعش والدبران	والبار كلا سبع عياني
وسابع النعش هنا والرامح	مثل قياس الأصل ، خذ منافعْ
وسابع النعش مع الظليم	ست ونصف كن بهم عليمِ

● ● ●

من (بَتا) إلى لامُوه) :

إن صح لك هذا القياس فاعمل به . ومن حدود (بتا) إذا كنت طالباً الجنوب على طريق البر ، أي المحاذية للبر ، وبين الشعاب ، فالساحل من حدود (بتا) ينحرف إلى جزر (كتاوه) و(لاموه) . ولها علامات تعرف بها هي أذرعة عالية ممتدة من البر . ومدخلها خور واحد طويل ، يقال أنه يصل في البر إلى (وازينا) . فعند مدخل الخور تقع (كتاوه) على يمينك ، وبندر (لاموه) على يسارك . وهناك تجد قياس (السماك الأعزل) وهو بناحية المشرق خمس أصابع مثل قياس نجم (الظلع) . وقياس (الأعزل) مع (المربّع) عشر أصابع ، وكل من (سابع النعش) و(الدبران) و(البار) أي (العَيُّوق) سبع أصابع ، و(سابع النعش) مع (الظليم) ست أصابع ونصف ، و(سابع النعش) مع (السماك الرامح) مثل قياس عرض (لاموه) .

وإن تخلفهم (لشكه) يا ولي ... هي غبة صغيرة يا سايلي
تحذر بـ(الشلي) يا رباني ... منها يدور البر بالايقاني
وتستقيم عليك (زلوبلولي) ... وهي جزيرة يا أخي تنعزلي
عن برها وبحرها شعبانا ... فيهم مراسي كل ريح كانا
وبعدها غبة على (قلماني) ... أكبر من (شكه) ، فاحذر وكن يقظاني
وبعدها راس (كلومه) مرسى ... كوس و(كلما ربي) جنوبي أنحسا
ولا هنا في البحر فرد مجرى ... غبب وروس بالنظر أنت ترى
وبعدها أولاً ترى (ملندي) ... وقبلها راس طويل يبدي
أما البلاد فوقها (الهوداني) ... فاحذر منه ولا تكن مداني
والفرقدين هناك خذ وصفي ... هم إصبعين كملاً بنصف
ترى هناك أول جبال (كلفي) ... و(مانجني) جزر تتلوهم فاعرفِ
وكل هذا من بلد (بتاء) ... مسير يومين بلا مراء
في مغرب العقرب والسهيل ... فاعرف ، واجر مغزراً بالليل
والجوش في السحابة البيضاء ... واجر في الليل على السوداء
والبيض يا أخي هم سحابتين ... واحدة منهم بينة بالعين

وواحـــدة طمســا ، فـــأمـــا البينـــة بـــين سهيــل والتــير هي معينــةْ
لـكـنهـا تبـعـد عـن سـهـيـل عشر أصابـع فـاستمـع من قيـلي
سهـمـاً وعن ذا التـير سهـمـين في نسق تراهم بالعين . . . .
وسحـايب الســوداء في المـربــع في آخـر الليـل تـراهـا فـاسمـعْ

● ● ●

من (لاموه) إلى (واسيني) :

فإذا جريت من (لاموه) إلى (شكا) ، وهي غبة صغيرة فاحذر من رياح (الشِّلي) هناك ، وهي الرياح التي تهب من ناحية مطلع نجم (السماك الرامح) . ومن هذه الغبة أو البطن ينحرف البر إلى ناحية المغيب فتقابلك جزيرة (زلوبلوي ؟) وهي جزيرة منفصلة عن البر ، وإلى ناحية البحر من الجزيرة شعاب ، فيها مراسي بكل ريح . وبعدها تأتيك غبة (قلماني) ، أكبر من (شكه) . فكن حذراً هناك ولا تغفل . وبعدها يأتيك رأس (كلومه) ، مرسى لرياح الكوس ، الجنوبية الغربية . ويأتيك بعده (كلماربي) . والبحر هناك كله غبب ورؤوس ، ليس بينها طريق واحدة يمكن وصفها ، فجريك بينها يكون على النظر . وبعد هذه البطون والرؤوس ترى أولاً (مالندي) ، وقبلها ترى رأساً بارزاً في البحر . أما المدينة فوقها (الهوداني) فاحذر الاقتراب منه ، وهو على عرض إصبعين ونصف بقياس الفرقدين ، وترى هناك أول جبال (كلفي) ثم جزر (مانجني) . وهي من بلد (بتا) على مسير يومين في اتجاه مغيب (العقرب) و(سهيل) . فاعرف مجراك ، وبالليل اغزر ، أي ابتعد عن البر إلى المياه الغزيرة العميقة بعرض البحر ، جاعلاً جوش الشراع بالنهار نحو موقع السحابة البيضاء . وبالليل نحو السحابة السوداء . والسحابة البيضاء من قطعتين واحدة بيِّنة والأخرى طمساء . فأما البينة فتقع بين (سهيل) و(التير) لكنها تبتعد عن نجم (سهيل) بمقدار عشر أصابع ، عن سهم ، وعن التير مقدار سهمين ، أي عشرين إصبعاً . فترى (سهيل) و(التير) أو (الشعرى العبور) والسحابة البيضاء في نسق واحد . أما السحابة السوداء فتراها بين نجوم المربع بآخر الليل . [بهذه القطع من السديم الأبيض يعرف البحارة مركز القطب الجنوبي] .

وخور (منوافه) من بعدهم ... و(منبسه) تأتي جنوبيهم
فراقد إصبعين ما فيها مراء ... لها قياسات شهود تحضرا
وهي جزيرة يا خي وخورها ... شامي (منوافه) افهم شرحها
إذا أتيت فوق ذا المكان ... ترى ثلاث قطع يا ربان
صغار آكام على (منبسه) ... انظر ذا في البحر ثم احرسه
لتدخل البندر بالتوكيد ... بغير شك داخل التأييد
فادخل هنيت بمسرات السفر ... لـ(منبسه) فيها المبيع والظفرِ
وإن تعبرن من الذرعان ... ذرعان (براوه) افهم العنوانِ
غرب الحماريـن من الأزوام ... عشرون زام جمة تمام
ورد في التير مع الجوزاء ... ترى جبال (كلفي) بالسواء
نرى مع (ما نجني) جزر في البعد ... ومن هناك اجر ولا تعدي
عن مغرب السهيل نعم المجرى ... لحد (واسيني) وذاك المعبرا
من (منبسه) إلى (واسيني) ... تجري زاماً ونصف باليقين
ورده في المحنث المشهور ... إلى الصباح لا تخالف شوري
جربته مشاهداً محرراً ... فاجر على هذي المجاري تظفرا
وجاري (الخضرا) من المغارب ... لأن فيها شرقيها وسخ يا صاحبْ
في رأسها الجاهي ، فكن محاذرا ... لا ترقد الليل هنا وساهرا
كذاك (واسيني) عليها وسخ ... متصلاً إلى الجنوب يا أخي
وقالت الزنوج إن منها ... لكنه في القطب ، فاحفظها
وذاك عندي خطأ يا صاح ... اسمع لوصفي تلقى الصلاحِ

● ● ●

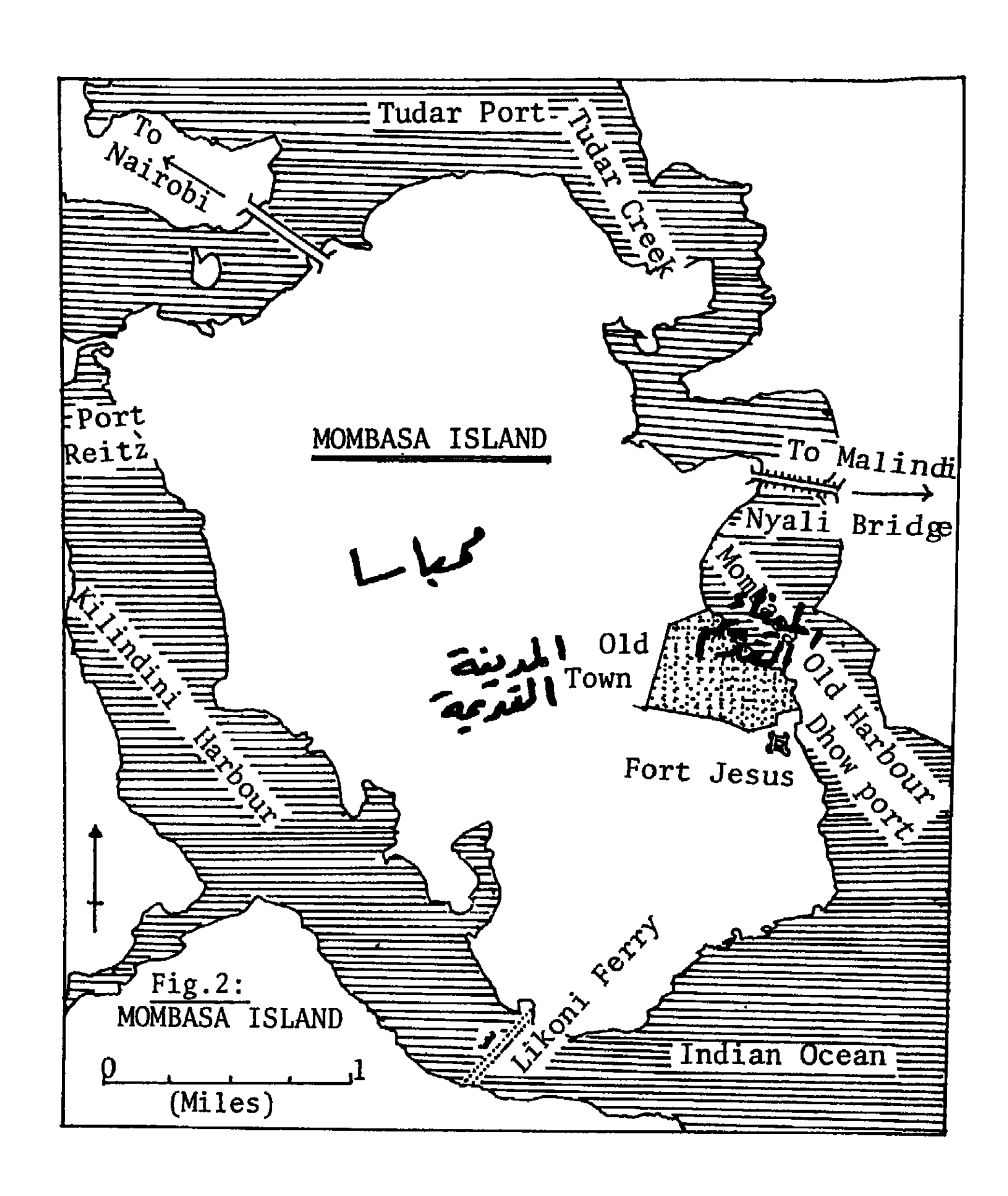
ويأتيك بعد جزر (مانجني) خور (منوافه) ويليه إلى الجنوب (منبسّه) ، على عرض إصبعين بقياس الفرقد ، وهي جزيرة ، وخورها شمالي (منوافه) . فإذا وصلت إلى هناك ترى ثلاث آكام صغار على (منبسه) . وهي علامة تعرف بها (منبسه) . وتقع على الخور فانظر إليها عند دخولك المرسى .

وإن عبرت من ذرعان (براوه) فتجري في مغيب الحمارين عشرين ، زاماً جمة ، ثم ارجع مجراك في اتجاه مغيب (التير) و(الجوزاء) فسترى جبال (كلفي)

أمامك تماماً . وترى مع (مانجني) جزراً بعيدة عنها . ومن هناك اجر في اتجاه (مغيب سهيل) إلى حدود (واسيني) . ومن (منبسه) تجري زاماً ونصفاً ، ثم ارجع مجراك في اتجاه مغيب (المُحْنِث) (السلبار) واستمر في مجراك فيه حتى الصباح . ثم جار جزيرة (الخضراء) (بمبا) من ناحية المغيب ، لأن من جهة الشرق عنها وسخ ، أي عروق صخرية وغيرها ، وعند رأسها الجاهي ، أي الشمالي ، وسخ أيضاً . فكن حذراً ولا تنام بالليل إذا وصلت في المساء .

كذلك (واسيني) حولها وسخ أيضاً ، إلى الجنوب منها . وبحارة هذا الساحل من الزنوج يقولون أن الوسخ إلى جهة القطب منها ، لكن ابن ماجد يقول أن هذا خطأ .

فإن طلقت يا أخي (واسيني) ... فالزم المجرى على اليقينِ
في القطب والمحنث يا همام ... حتى ترى (راس الحمار) الشامي
من (زنجبار) ولها كن داري ... راس شرقيه اسمه (منشارِ)
مقابلات جنوبي الخضراء ... في الشرق والغرب على السواءِ
وبينهم طريق للمسافر ... (للقمر) و(سعدا) والجزايرِ
في مطلع الإكليل بالحقيقي ... في حاية القلعين يا رفيقي
إياك أن تقبل على الخضراء ... يحويك (منشار) بلا مراء
وبين (منشار) وذاك الراس ... راس (الحمار) يحذروه الناسِ
من الوسخ هناك ووصول خافية ... فمل على اليمين تلقى العافيةْ
فإن تفل رأس (الحمار) جاري ... لـ(زنجبار) وهي في اليسار
فأين ما شئيت أرسيت بها ... في ماء سبعة أو يكن تقربها
وجارها حتى ترى البيوت ... على النظر لبابها المنعوتِ
ترى الجزاير كلها يا جاري ... فخل ثنتين على اليسارِ
والكل في اليمين والمغارب ... واطرح على ماشيتها يا صاحبْ
هي ماشية بيضاء بندر أزيب ... والكوس جل الخالق المرتب
ترى بها سهيل والعيوقا ... مرتفعات بالسواء حقيقا
مع الربابين لهم حساب ... قد قستهم هناك بالاسطرلابِ
كانوا بها هناك تسع زوايدة ... على الثلاثين درجة بالقاعدةْ



ممباسا

والميناء القديم ميناء السفن الشراعية

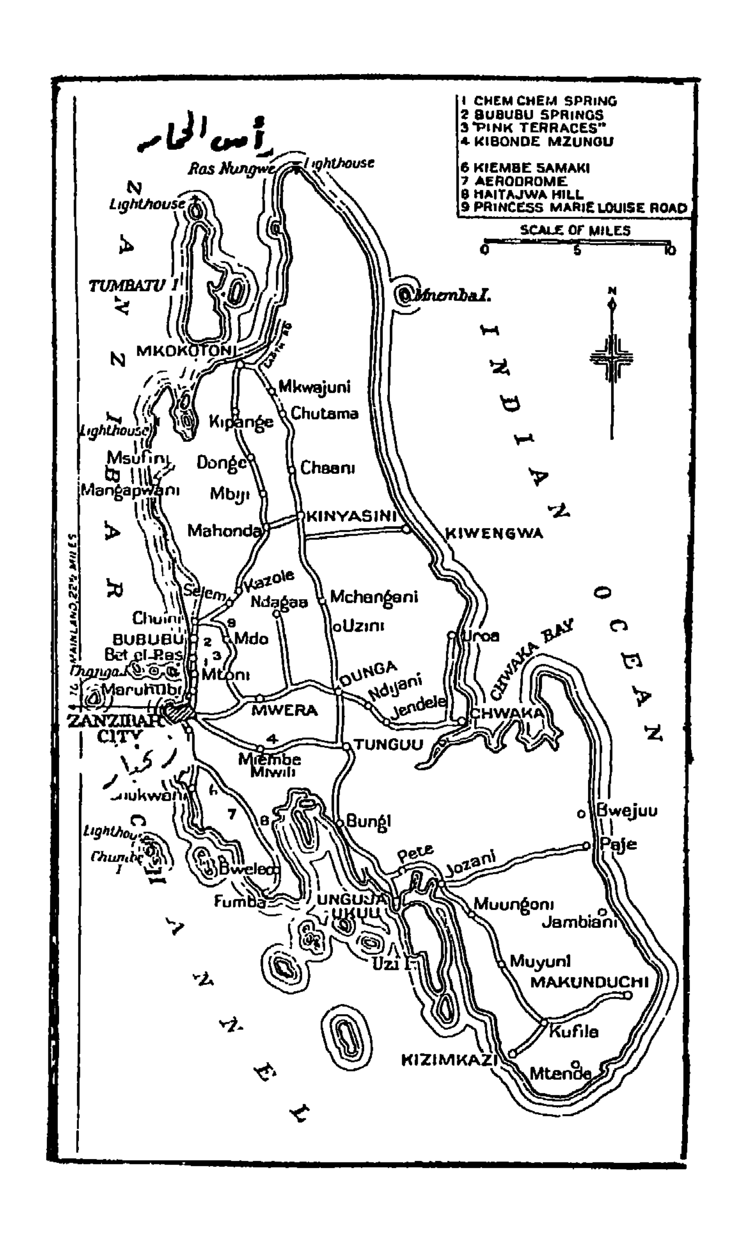
عن Yeas Book & Guide of East Africa 1959

من (واسيني) إلى (زنجبار) :

فإذا انطلقت من (واسيني) فاجر في اتجاه القطب الجنوبي ، ومغيب (الحمارين) حتى ترى رأس (الحمار) بالطرف الشمالي من جزيرة (زنجبار) . ولها رأس أيضاً بشرقيها اسمه (منشار) ، مقابلان لجنوبي جزيرة (الخضراء) . وبين الجزيرتين طريق للمسافر إلى جزر (القمر) وإياك أن تنتخ جزيرة (الخضراء) برياح القلعين الشديدة[9] وأنت تجري في مطلع الإكليل لأنك ستقع على رأس (منشار) . وبين (منشار) و(الحمار) أوساخ وقطع بارزة من قاع البحر ، يحذر المسافرون الاقتراب منها ، فمل هناك إلى يمينك تسلم منها . فإذا فلت ، أي عبرت بسلام رأس (الحمار) في طريقك إلى مرسى (زنجبار) ، على ساحل الجزيرة إلى يسارك ، فأين ما شئت ارس في ماء سبعة ، أي عمق الماء سبعة أبواع . وجار الساحل ، أعني ساحل (زنجبار) ، إلى أن ترى بيوت (زنجبار) . وترى عند دخولك المرسى جزراً فدع اثنتين منها إلى يسارك والباقيات إلى يمينك . واطرح المرساة على ماشية (زنجبار) ، وهي ماشية[10] بيضاء ، مرساها لرياح الأزيب والكوس .

وترى هناك نجم (سهيل) و(العيوق) متساويين في ارتفاعهما عن الأفق ، أي في قياسيهما ، ولهما عند الربابين حساب . ويقول ابن ماجد أنه قاسهما هناك بالاسطرلاب فوجد قياسهما تسعاً وثلاثين درجة .

وكل هذي جزر كبار ... أعني لك (الخضرا) و(زنجبار)
من ظهرهم نضاف ما فيهم نكد ... والفرقدين بينهما إصبع بالعددِ
وجاهي (الخضرا) إصبع ونصف ... قابل (واسيني) فهاك وصفي
أما برور الملل من (واسيني) ... إلى هنا تقوم باليقينِ
في القطب والمحنث وهم شعبان ... موسخة فلا تكن لهم مداني
وبعضها تجعلها يساري ... أعني (بواسيني) فلا تماري
ما عندها مخرج إلى الباب ... في قرب (زنجبار) خذ حسابي
وحول (زنجبار) جملة جزر ... قريب ست عشر اعلم وادري
وهن في الجنوب والمغارب ... عن (زنجبار) بوسخ يا صاحبْ
و(زنجبار) جزيرة عظيمة ... بأربعين خطية قديمة



جزيرة زنجبار

نلاحظ أن الجزر الصُغيرة والأوساخ حول زنجبار من المغرب والجنوب كما وصفها ابن ماجد ، أما من ناحية ظهرها من المشرق فالبحر ـ كما قال ـ نظيف .

(Yeas Book & Guid of East Afeica 1959 عن)

تجري عليها فرد يوم بالصور — فذاك في العرض فخذ مني الخبرْ
لكنها تعرف بالتدوير — بغلظها في حسبة المسير
ليس لها ديره تكون ديرة — كريهة السل فكن خبيرهْ
شاميها (راس الحمار) يسمى — معاً و(منشار) فخذ بالعلما
ورأسها ياأخي من الجنوب — (سماكمند) يسمى ياحبيبي
أما الذي حنوب والمغارب — رأس (وسينه) عن ذوي التجارب

● ● ●

وكل من جزيرة (الخضراء) و(زنجبار) نظيفة المياه من ناحية ظهر كل منهما ، أي من جهة المشرق ، ما فيها أوساخ خطرة .

وقياس الفرقدين بينهما إصبع ، أي عرض إصبع ، وطرف (الخضراء) الشمالي على عرض إصبع ونصف بقياس الفرقدين ، ويقابل (واسيني) على ساحل الملل الإفريقي .

وخط الساحل الإفريقي المقابل لجزيرتي (الخضراء) و(زنجبار) يمتد في اتجاه القطب الجنوبي ، ومغيب (السلبار) (المحنث) ، وعليه شعاب وعروق صخرية ، أي أوساخ ، فلا تقترب منه . وعند خروجك من (واسيني) إلى (زنجبار) اترك بعض هذه الأوساخ ، التي تعترض طريقك إلى اليسار .

وحول جزيرة (زنجبار) جزر كثيرة ، حوالي ست عشرة جزيرة ، إلى ناحية الجنوب والمغيب عنها (انظر الخريطة) . وزنجبار مدينة عظيمة لها أربعون (خطية ؟) قديمة . وتصل إليها بمسير يوم واحد برياح الصور[11] . وهي غليظة ليس لها ديرة . أي ليس لها ساحل يمكن مسايرته بأي خن من أخنان دائرة بيت الإبرة (البوصلة) . بطرفها الشمالي رأس (الحمار) وإلى الشرق منه رأس (منشار) ، وبطرفها الجنوبي رأس (سماكمند) وبالجنوب الغربي رأس يسمى (وسينه) . وهي وخيمة وبيئة .

واخرج منها ثم جاري برها ... فانظر بعينيك فيا نعم لها
تسير منها زاماً إلى الجزيرة ... جزيرة (المسوي) وهي صغيرة
تنظرها من (زنجبار) ظاهري ... وبينهم جزر على المياسري
الكل منهم دعهم يسار ... واطرح إذا شيت يا ذا الجاري
وهي لها راس من المغارب ... إن جزت بالليل هناك حاربْ
اتكي إذا قابلتها قليلا ... حتى تجي في التير والإكليلا
ثم لها من جانب الشمالي ... ظهرة بشعب ظاهر موالي
مرسى للكوس معاً والعقرب ... إن شيت أن تطرح هناك فاقرب
تجري لها في مطلع السهيل ... من (زنجبار) افهم التأويلِ
إن شيت اطرح أو فسر بالأزيب ... إن كان مالك عندها من إربْ

● ● ●

من (زنجبار) إلى (المسْوِي) :

واخرج من (زنجبار) ، وجار بَرّها وسرْ زاماً إلى جزيرة (المسوي) . وهي جزيرة صغيرة تراها من (زنجبار) ، وبينها جزر تدعها إلى يسارك في طريقك إليها من (زنجبار) ، واطرح إن شئت ببندرها . ولها رأس من ناحية المغيب ، إذا أردت عبوره اتكي قليلاً حتى يأتي مجراك في اتجاه (التير) و(الإكليل) . [التكية هي مسايرة الريح المعاكسة للمجرى والوصول بها إلى مكان أمين يربط به المركب ، إلى أن يتغير مجرى الريح ويصير ملائماً للمجرى ، فتحل الحبال التي تربط المركب بالمكان الذي لجأ إليه ويعود إلى مجراه الأصلي] .

والجزيرة (المسوي) ظَهْرة ، أي قطعة ، من ناحية الشمال يتصل بها شِعْب صخري ظاهر . ومرسى (المسوي) ملائم لرياح الكوس ، والعقرب أي الرياح الجنوبية الشرقية ، التي تهب من ناحية مطلع نجوم (العقرب) ، وتسمى الأزيب أيضاً . وتجري إليها من (زنجبار) في اتجاه مطلع (سهيل) . إن شئت اطرح بها ، أو سر منها بريح الأزيب إن كان مالك عندها إرب .

واطلق كذا في مطلع السهيل ... لجزيرة (الكافر) ولو بالليلِ
زامين بالمولم طريق ظاهر ... من الوسخ يمين والمياسر
بالصحو تنظرها من (زنجبار) ... من الدقل فالزم المجاري
إن شيت نهج البحر بالسواء ... خذ الحمارين لذا المجراءِ
زامين بالمولم لرأس (الفيل) ... من عند هذي الجزر بالدليلِ
واسمهم (سندا) بالزنجية ... إن شيتهم فآخذن الوصية
من شعب يأتيهم جنوبيهم ... لجزيرة (الكافر) تسمى فيهمْ
واسمها عند العرب موصوفة ... جزيرة (الكافر) وهي معروفة
فيها السماميك مديم دائم ... يأتوا من المل لها كن عالمْ
لأنها على قريب المل ... والأصل هي من دونهم يا خِلّي
منها لرأس (الفيل) في الحمار ... ورأس ذاك الفيل يا سفارِ
صخرة على السيف يوالي المطرد ... من الشمال حط فيه وارقدِ

● ● ●

من (المسوي) إلى (الكافر) :

وانطلق من (المسوي) حتى بالليل في اتجاه مطلع (سهيل) إلى جزيرة (الكافر) ، واجر زامين بالريح الملائمة لمجراك ، في طريق واضحة ، إلى يمينها ويسارها أوساخ . وترى هذه الجزيرة ، في حالة الصحو ، من (زنجبار) من رأس الدقل . وإن شئت أن تجري في الطريق البحرية ، أي البعيدة عن البر ، فاجر في اتجاه مطلع الحمارين زامين بالريح الملائمة إلى رأس (الفيل) من جزر (سندا) وهي خمس جزر ، فارس إلى الجنوب منه ، واحذر إذا قصدته من شعب يمتد من جنوبيه إلى جزيرة (الكافر) . وهذا اسمها عند العرب ، وهي مشهورة ، يأتيها الصيادون دائماً من المل ، أي البر الأصلي ، لأنها مجاورة له ، وأقرب إليه من بقية الجزر ، ومنها إلى (رأس الفيل) في اتجاه مطلع (الحمارين) . و(رأس الفيل) صخرة على السِّيف ، أي الساحل ، من جزر (المطرد) شمالاً ، فاطرح عندها .

وإن تكن تطلق من (سنداء) ... في مطلع السهيل بالسواءِ
حتى تغيب عنك الجزيرة ... فرد في القطب على بصيرةْ
تأتي لرأس (الفيل) ثم الشعب ... هو شعب بالباب فقس وجربِ
للبعض تتركه على اليمين ... ما تنتخ إلا (منفية) يقين
فإن ترد تجعله يسارك ... وتسير في المطرد باختياركْ
أين أردت اطرح الأناجر ... وقبله تأتيك بالأشايرِ
أشباك ، سبعة عليها الناس ... في قريتين هناك عند الراس
راس له غب كبير تدخلا ... للخشب الصغار نعم المكلا
بالأزيب الغامز تدخل داخل ... للقريتين وهما بالساحلِ
أما الكبار ليس تدخل فيها ... مثل الصغار بندر يدفيها
وهم قريب الباب بالإشارة ... ذكرتهم لأنهم أمارة
اسم الشمالية (شالي) ذكرت ... أما الجنوبية (ملالي) شهرتْ
منهن تنظر شعب ذاك الباب ... فادخل له بالأمن والطيابِ
والماء فيه خمسة وستة ... أعني الموسط استمع لنعتهْ
أما على أطرافه رقيقا ... بالشعب ثم المل يا رفيقا
من قبله به هنا جزيرة ... قيل (كواله) ، تحته صغيرةْ
وإن تقابلها هناك فاحذرا ... لأن تحت الماء هناك حجرا
احذر منه فقبله الماء ... يقلع مبيض بلا خفاءِ
وبعده يا أخي (كواله) تاتي ... والكل في اليسار خذ وصاتي
وبعدها جزيرة (الشرقاءِ) ... هي منهم في القطب بالسواءِ
واسمها الزنجي (إيكوها جونده) ... هذا الكلام لخبير أسنِدَهْ
من رأس ذا المطرد لذي الجزيرة ... مسير زام كن بذا خبيرةْ
واجر منها يا أخي (لمنفيه) ... مطلع حماريك وطريق ثانية
تأتي على العقرب وهي الأصل ... فاعمل بهذا وذاك يا خِلِّي
لأن في أوساط ذي الطريق ... أرقاق تعرفها على التحقيقِ
ومن جرى في التير والجوزاء ... طالق من جزيرة (الشرقاء)
يضرب جزر البحر خذ من قيلي ... اسمهم قيل (مشيخوبيلي)
مع (واملول) وهي الشمالية ... أما الجنوبية بعيدة قاصية

تسمى (فلولو) ...... وبينهم طريق فيها سُولِي
بنادر بكل ريح طوبا يراهم من (منفية) من جرّبَا
وجزيرة (الشرقاء) من برها ترى (منفية) فاعلم بذا وحررا
كمثل ما(قيس) و(هندرابي) وهم على البر كذا يا أصحابي
إن كنت في البحر الكبير بارز واحذر عليك الليل كن محارزْ
عوذفرات (منفيه) أطواح فيهم فاتك هنا يا صاح هنا عليهم
واجر في السهيل منهن إلى (منفيه) وقيت أضرار البلا
أما هنا ديرة بر المل في القطب والمحنث هي يا خِلِّي
لكنها أوساخها كثيرة فمل على سهيل يا خبيرةْ
قبل وصولك (منفيه) تلقى بها ظهرة بشعب وهي لا تنسب لها
فميل عنها يمنة أو يسرا منها إلى الماشية القطب أحرى
لـ(منفيه) نعم بها جزيرة مختصرة مثلثة معمورة
يغيب فيها الفرقدين حقا فالنعش اثنا عشر بها حقاً صِدْقا
قد كذبوا الزنوج فيما قالوا لأنه أزيد وذا محالُ
والفرقد الكبير إصبعين ونصف قد جربته بالعين
أما الصغير يا أخي ثلاثة ونصف من لا قاسه قد فاتهْ
ما حاجة أوصف هذا المستقل ما غير هذا في الفراقد يحتملْ
أذا استقل الحمارين على قطب الجنوبي قسهم يا رَجُلا
فإذا رماك الله يا ربان في الشرق للبحر آخر الزمانِ
وأنت من بر الهنود طالق وجرك الماء ، ولم يوافِقْ
خذ القياسات المصححات وقس على ما قلت في وصاتي

● ● ●

من (سَنْدا) إلى (مَنْفِيَه) :

وإذا انطلقت من (سندا) في اتجاه مطلع (سهيل) تماماً ، حتى تغيب عن نظرك ، فارجع مجراك إلى اتجاه القطب الجنوبي ، فتأتي إلى رأس (الفيل) ، ثم ، من بعده ، إلى الشعب ، وهو شعب طويل يمتد على مدخل (منفيه) ، فتترك بعضه يميناً والبعض الآخر ، وتسير في (المطرد) فأينما شئت اطرح مرساتك . وقبل

(المطرد) تأتيك أشباك ، وهي سبعة أذرعة ، عليها قريتان عند رأس غُبَّة كبيرة . والمراكب الصغار تدخل بريح الأزيب الغامزة ، أي النشطة ، إلى القريتين ، أما المراكب الكبار فلا تستطيع الدخول إلى القريتين ، وهما بقرب مدخل (منفيه) ، واسم الشمالية منهما (شالي) والجنوبية (ملالي) . وتشاهد منهما شِعْب باب (منفيه) ، فادخل الباب ، أي المدخل إلى (منفيه) ، في ماء عمقه بالوسط خمسة أو ستة أبواع ، لأن أطراف ماء المدخل رقيقة ، أي قليلة العمق بجوار الشعب وبَرّ المُل . وقبل أن تصل إلى الشعب تأتيك جزيرة صغيرة يقال أن اسمها (كواله) ، فإذا قابلتها كُنْ حذراً لأن تحت الماء هناك صخر ، وقبل أن تصل إليه ترى الماء مبيضّاً عليه ، وبعد الماء الأبيض تأتي (كواله) . ومن رأس (المطرد) إلى جزيرة (الشرقاء) مسير زام واحد ، ومن (الشرقاء) اجر في اتجاه مطلع (الحمارين) إلى (منفيه) . وهناك طريق ثانية في اتجاه مطلع (العقرب) ، وهي الطريق الأصلية ، لكن بوسطها مياه ضحلة . ومن جزيرة (الشرقاء) في اتجاه مطلع (التير) و(الجوزاء) تنتخ الجزر البحرية ، وتسمى (مشيخوبيلي ؟) ، واسم الشمالية من هذه الجزر (واملول) والجنوبية (فلولو) . وبين هذه الجزر طريق أمينة ، وفيها مراسي لكل ريح . وتشاهد هذه الجزر البحرية ، أي البعيدة عن الساحل ، من جزيرة (منفيه) ، وترى (منفيه) من جزيرة (الشرقاء) ، وما بينهما مثل ما بين جزيرة (قَيْس) و(هندرابي) [بالخليج العربي] . فإذا أقبلت من عرض البحر ، وأقبل عليك الليل فاحذر (عوذفرات ؟) منفيه لأنها أطواح ، مساقط ، فاجر منها في اتجاه مطلع (سهيل) إلى (منفيه) . أما الطريق البرية ، أي المسايرة للبر ، ففي اتجاه القطب الجنوبي ، و(السلبار) . لكن أوساخ هذه الطريق كثيرة ، فمل عنها إلى اتجاه مطلع (سهيل) . وقبل وصولك إلى (منفيه) تلقى ظهرة ، قطعة ، عليها شعب صخري . وهذه الظهرة لا تنسب إلى (منفيه) فمل عنها يمنة أو يسرة ، واجر في اتجاه القطب الجنوبي إلى ماشية بندرها .

وهي جزيرة مثلثة الشكل معمورة ، لا يظهر عندها نجما (الفرقدين) ، وقت استقلال منزلة (الصرفة) . وبذلك ينتهي قياس عرض البلدان بها . ويبدأ بعدهما ـ كما شرحنا من قبل ـ قياس العرض بنجمي النعش . وهما (العناق)

و(الجون) . وقياس (منفيه) ، عند ابن ماجد ، اثنتا عشرة إصبعاً بقياس النعش . ويقول أن البحارة الزنوج قد كذبوا في قولهم بأن قياسها أزيد من هذا القياس ، ويستدل على خطئهم بأن قياس الفرقد الصغير عند استقلاله ، أي عند وقوفه على ذروة مداره ، ثلاث أصابع ونصف ، في (منفيه) ، وقياسه عند رأس (الحد) ثلاث وعشرون إصبعاً ونصف . فإذا طرحنا منها جملة قياس (الجاه) وقياس (الفرقدين) ، هي ثمان عشرة إصبعاً يصير الباقي ثلاث أصابع ونصف (٢٣,٥-١٨=٣,٥) ، هي قياس الفرقد الصغير وقت استقلاله ، عند (منفيه) . وعلى هذا يكون عرض (منفيه) اثنتا عشرة إصبعاً بقياس النعش .

وقس هناك (الحمارين) وقت استقلالهما . وإذا كنت لا زلت في عرض البحر ، وأنت مسافر من بر الهند ، بآخر موسم السفر من الهند إلى شرقي افريقيا ، ووجدت أن التيار قد أبعدك عن مجراك فاهتد بقياسات النجوم الصحيحة التي وصفتها لك .

وإن تـرد (كـلوة) المـلوك ... مـن (منفيـه) فـعنـدك السـلوك
في القطب والمحنث تلقى الشعب ... وظـهـرة صـغـيرة بـالـقـربِ
واسمها عند الزنوج (مـانجي) ... وشعبهـا إلى السهيـل ملتجـي
حتى تصـير مقـارب الجـزيـرة ... أعـني (ملكـوه) يـا فتى شهـيرة
أما جنوبي (ملكـوه) (جنبـوبـدو) ... الكـل في اليسـار عنـك يبـدو
بـينـهـم طـريـق لـلمسـافـر ... وإن تخـلفهـم تـرى الجـزايـرِ
أولهـا (وقـولـه) ولها شـاميهـا ... شعب طـويـل منجـذب إليهـا
فيـه الـظهـار أيهـا الـربـانا ... يـشـابـه المـطرد يـا إنسـانـا
وهـي جـزيـرة يـا أخي مـدورة ... فيها الشجر أدقـال بالعين تنظره
ظـهـارهـا البيض يـرون منهـا ... (منفيـه) فخـذ أوصـافي عـنهـا
وقبـل أن تـأتيهـا تـرى جـزيـرة ... فـيهـا الشجـر عـاليـة كبـيرة
عـالقـة لشعب هـذي الأولـة ... فـالكـل دعـه في اليسـار واعـزلـه
واسـم الجنـوبيـة (كـلوبـوني) ... والمـل هنـاك ليس بـالمـأمـوني
في الغلق يجرون لذي الجزايري ... من (منفيه) إن بها طريق للعابري
لـ(شـنـج شنـجـوه) هـي يمـين ... استمـع لشرحي وافهم التقمـين

وبعد يجرون لظهار الشعب ... جري السنابيق بريح الجَنْبِ
وكل هذا بطردك يسارك ... فاطرح إذا شيت باختيارك
فيه مفارض تلتقي الأمواج ... بها ، وبعض أنت فيه لاجي
كمثل ذا المطرد الذي انقضى ... بجزيرة (الشرقاء) شماليك مضى
واعلم إذا خلفت (شنج شنجو) ... على طريقك فاعترض لتنجو
واقرب لتطرح بجزيرة (الحنش) ... إن شيت بالسحر سر منها أو غَلَسِ
لأنها آخر ذي الجزايري ... من الجنوب كن بها خابري
لكن قبل (شنج شنجوه) تلقى ... إلى هنا أمرية لا تَغْلَقا
أقلها يأتي عليه الماء ... ثلاثة أبواع بلا مراءِ
ولم يكن تعدم هناك الأمرية ... حتى ترى جبال (كلوة) صافيَةْ
و(شنج شنجوه) فوقها عريق ... احذر منه وهو في الطريق
وجزيرة (الحنشان) في جنوبيها ... شعب وظهرة مائل غربيها
فاحذر حواليهن في الظلام ... وجود المجرى وكن همام
فاطلق لـ(كلوة) من الحزيرة ... جزيرة هي بالحنش شهيرةْ
في القطب والمحنث بلا محال ... حتى تقابل الجبل الشمالي
تراه بعينيك شمالي الشعب ... هو شعب (كلوه) إليك بالقرب
فجاره حتى تفول عنه ... وادخل بنهج البحر تسلم منه
ومن هناك لجزيرة (الحنشان) ... زامين في المحنث يا ربّانِ
فإن تجاري الشعب في اليمين ... حتى يدور كن به فطين
فاقبل هناك في مغيب التير لا ... تدخل ، غربي (كلوه) تجهلا
حتى تفول ناحية وهي تجي ... على يسارك تفوز بالفرجِ
وتنشر الأعلام بالسلامة ... و(كلوة) الملوك عن أمامه
فمن هناك بين البيوت كلها ... بيوت (كلوه) الملوك خلّها
بصدر مركبك وأنت تنظرا ... والناس ينظرون حول البندرا
هنيت منها ، ذاك خير السفر ... وبالمنىٰ قبل النضار الأحمرِ
أما القياس فعليها الفرقد ... هو إصبعين نفيس علم واكدي
والأعرجين ذلك الحين ... ثمان فكن بها فطين
والنعش احدى عشر ونصف وافي ... إن جيت للباحة فذاك كافي

أمـا عـلى (منفيـه) فـالفـرقـدي   عـلى الـصغـير لـقـولي اهتـدي
عـنـد اعتـدال الحـمارين يـرى   ثـلاثـاً ونـصـف قـد تحـررا
أمـا قياسـات النعـوش اثنـا عشر   يـزيـد فيهـا نفس خـذ خَـبَرَا

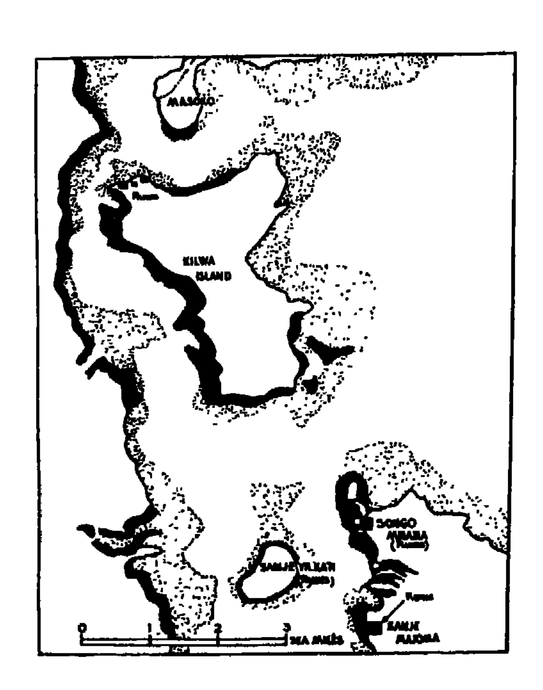
● ● ●

من (منفيه) إلى (كِلْوَة) :

وإن أردت السفر من (منفيه) إلى (كلوة) ، عاصمة الملوك فإليك المسالك : تجري في اتجاه القطب الجنوبي ، ثم المُحْنِث (السلبار) يقابلك شعب وظهرة (قطعة) صغيرة قريبة منه ، تسميها الزنوج (مانجي) ، والشعب إلى ناحية الجنوب منها . وتستمر في مجراك حتى تقترب من جزيرة (ملكوه) المشهورة ، وجنوبيها جزيرة (جنبو) . والجزيرتان تراهما الى يسارك ، وبينهما طريق ، فإذا خلّفتهما تقابلك جزائر أولها تسمى (وقوله) ، ولها من ناحية الشمال شعب ، ذراع صخري طويل مائل اليها ، عليه ظهار ، يشابه (المَطْرَد) . و(وقوله) جزيرة مستديرة ترى فيها أشجار طوال طول أدقال المراكب (الصواري) . والظهار بيضاء ترى منها (منفيه) . وقبل أن تصل إلى الظهار ترى جزيرة عليها أشجار عالية ، وهي عالقة بشعب الجزيرة الاولى . فاجعل جميع الجزر والظهار الى يسارك . واسم هذه الجزيرة (كلوبوني) والبر الافريقي المجاور لها غير مأمون .

وفي موسم الغلق ، أي توقف سفر المراكب في البحر الهندي من أول يونيه الى نهاية اغسطس ، يسافرون من (منفيه) الى هذه الجزائر ، ويسافرون ايضاً الى (شنج شنجوه) ، وهي الى ناحية اليمين عن طريقك ، ويرجون الى ظهار الشعب ، وتصادف كل هذه الجزر وأنت مستمر في الجري الى اليسار . وفي الشعب مفارض ، أي منافذ بعضها تلتقي فيه الأمواج الشديدة ، وبعضها تستطيع اللجوء اليه . وهذا المطرد يشابه المطرد الذي تقدم ذكره عند جزيرة (الشرقاء) .

واعلم أنك إذا خلّفت (شنج شنجوه) تعترض في طريقك واقترب من جزيرة (الحنشان) لتطرح بها سواء بالغلس أو السحر ، لأنها آخر هذه الجزر من



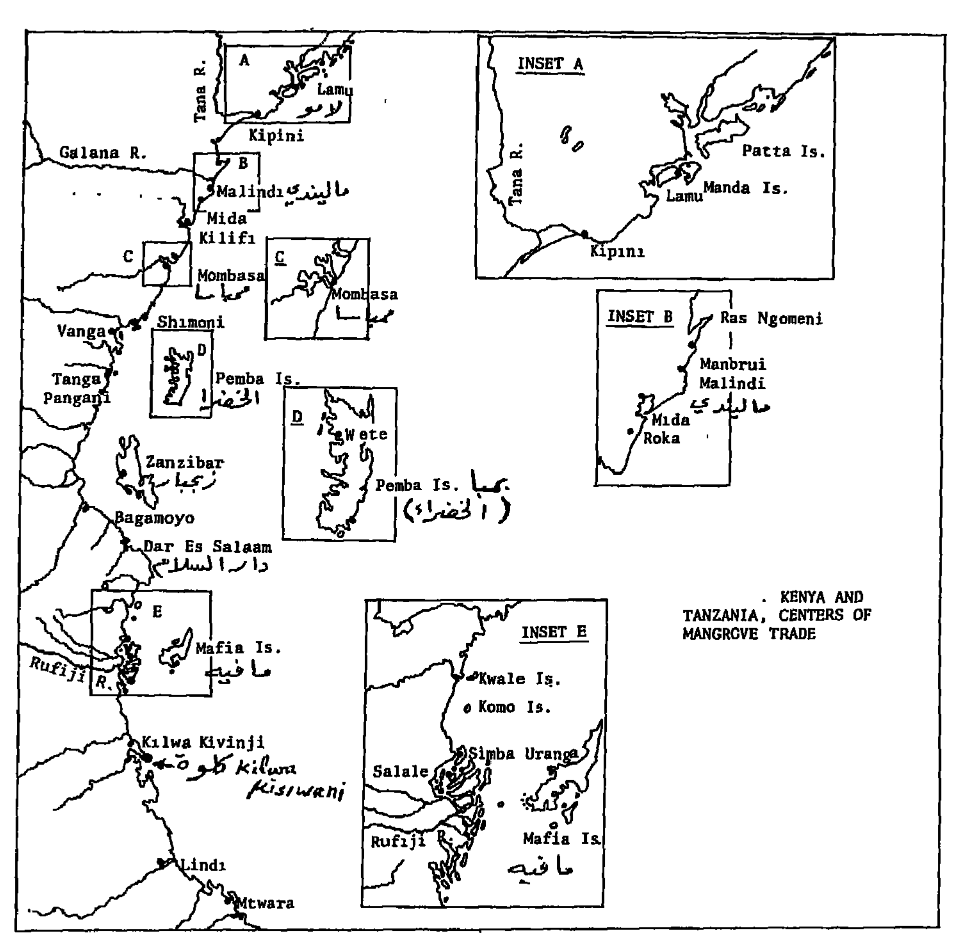
كلوة كيسواني
هي كلوة القديمة
A Guid To The Ruins of Kilwa by H.N.Chittick عن

الجنوب . وتصادف من قبل أن تصل إلى (شنج شنجوه) إلى هنا ، أي إلى جزيرة (الحنشان) أمرية : عروق صخرية ، فلا تغلق . وأقل عمق الماء عليه ثلاثة أبواع . ولا تنقطع عنك الأمرية حتى ترى جبال (كِلْوَة) . و(شنج شنجوه) لها عريق على الطريق فاحذره . وكذلك جزيرة (الحنشان) لها شِعْب وظَهْرَة مائلان إلى غربيها ، فاحذر السير بجوارهما في الظلام .

وانطلق إلى (كلوة) من جزيرة (الحنشان) في اتجاه القطب الجنوبي ، والسِّلبار ، حتى تقابل الجبلِ الشمالي من جبالها ، وتراه شمالي شعب (كلوة) ، وهو قريب منك ، فجاره حتى تَفُوله ، أي تعبره بسلام ، ومل إلى ناحية عرض البحر لتسلم منه . ومن هناك إلى جزيرة (الحنشان) زامان في مجرى السلبارِ . وإن أردت أن تجاري الشعب ، وهو إلى اليمين عنك فسر في اتجاه مغيب (التير) حتى تدور

حوله ، لكن احذر أن تدخل غربي (كلوه) تهلك . فإذا عبرت الشعب تأتيك (كلوه) أمام صدر المركب عند دخولك مرساها .

وقياس منتخها إصبعان بقياس الفرقد ، وقت استقلاله ، وثمان أصابع بقياس (الأعرجين) . وعرضها احدى عشرة إصبعاً ونصف بقياس النعش ، إن جئت من الباحة ، أي عرض البحر . أما قياس (منفيه) فهو - كما تقدم - ثلاث أصابع ونصف بقياس الفرقد الصغير ، وعرضه اثنتا عشرة إصبعاً تزيد قليلاً بقياس النعش .



ساحل كينيا وتنزانيا والجزر المجاورة له

عن The Second Report om The Dhow Trade by Koji Kamioka & Hikoichi Yajima

وإن ترد من (كلوة) (سفالة)   فديرة البر بلا محالةْ
لنعش أحد عشر وهي (وميزي)   في قطب سهيل يا عزيزي
وهي جزيرة أهلها اسلام   . . . .
على النهار أو بليل ارسي   في أي شعب أنت فيه تمسي
كذا إلى تسع في سهيل   أعني لـ(سنجاجي) بالدليل
وأهلها اسلام تحت الكفري   وفوقها شعب طويل بَرّي
منها على القطب (ملنبوني) ترى   لمعدن اللجين ثم العتبرا
فيها النعوش ثمان صحيحا   أوضحته لك يا فتى توضيحا
لكن قياسها نفيس زايد   افهم عني هذه القواعد
منها (لسفاله) في مغيب العقرب   يميل إلى الإكليل كن مهذّبِ
لكن إذا أطلقت ذي الجزيرة   اغزر عن البر وعن ذي الديرةْ
مقدار يوم أربعة أزوام   في القطب والسهيل خذ كلامي
ثم اقصد العقرب والإكليل   ترق بالليل بذا الدليل
يومين أو ثلاث للمعتدي   في المركب الماشي الذي يعدّي
وتلتقي في ذي الطريق الماء   ينقص قرب البر بلا مراءِ
وعندما تنتخ ذاك البر   على (كوامه) شعب هناك خَبري
وعن يمين ينقضي بحاله   وجاري البر وخد سواله
حتى تجي يا صاح (سولنياتي)   وذاك شعب فوق (سوفلات)
وكلهم رمل يا رباني   ما فيهم طين ولا شعبانِ
وعن يمين ينقضي يا صاح   وأعد لذاك الباب بالأفراحِ
وادخل إلى البلاد قرب الباب   تنظرها بالعين بالصوابِ
والماء يبيض هناك والبلد   لحد شرقي البر خد من رشدي
لكن تخاف الموج في الظهور   فإنها مكشوفة خذ شوري
ترميك في (كوامة) الكفار   لأجل هذا فاعرف الأسفارِ
وإن تكن ضرورة حط بها   إلى الصباح ثم كن منتبها
لأن أكثر ريحها الجنوبي   والماء ...... فيها يا حبيبي
أما بقربُ البر يا ربان   بسقي ذا البر افهم البيانِ
وسقيها يرميك في الجنوبي   إلى المغيب عند ذوي التجريبِ

وماؤها يشبه ماء (كمبايه) ... فافهم الدخول بذي الحكايَةْ
فادخلها عند امتلاء الماء ... مايه (كمبايه) بالسواء
وأحسن المنتخ نعوش خمسة ... ونصف خوف العقربي الوحشةْ
علامة الشعب على (كوامه) ... فالبر يا أخي يرتفع قدامه
أما بقرب (سفاله) هو هابطا ... فاجر لها ولا تكن مخالطا
إلى (سفاله) والإشارات بها ... ولم تكن في قربها
تجيك نارجيل بالأمارة ... وفوقها أكداف بالإشارةْ
ترى هناك الباب عند المرية ... عليه باعين بغير مريةْ
تدخلها عند امتلاء الماء ... مايه (كمبايه) بالسواءِ
وهناك إشارات من الأخشاب ... للخور يا من يطلب الثوابِ
وأنت من (كلوة) لذا المكان ... إن شيت جاري البر يا ربان
إن كنت في مريكب صغير ... لذلك الخور بالتدبيرِ
لأجل خوف هذه الطريق ... من اختلاف الريح يا رفيقيَ
مرتفع للبحر يا رباني ... وبعدهم تنتخ على (كلواني)
من حد (كلواني) إلى (كوامه) ... نعوش سبع منتخ الكرامةْ
ومن (ملبوني) إلى (مفاتح) ... بالصحو تلقى فيه طود سابحْ
ولا ترى في هذه الطريق ... جبل لها يعرف بالتحقيقِ
إلا بمجراك في مغيب العقرب ... فإن دركت الخور بالليل اقربْ
وحط للصباح تلقى الباب ... وحوله أشاير أخشابِ
يأتوك سماكون ذاك الطرف ... تدخل (سفاله) بذا تعترفِ
تلقى هناك الأعرجين فيهما ... ثلاث منقولة ...... عليهما
وأنجم الهيراب حقاً ست ... عند قياس الأصل خذ لنعتي
وخير ما تطلق ياخي السفر ... من (كلوه) لها فاسمع من خبري
من أول النيروز للخمسين ... وغيرها في موسم العشرين
أما إذا خرجت من (سفاله) ... مايه وسبعون بلا محالةْ
لا قبلها أو بعدها ، كن عالم ... يكون هذا أحسن المواسم
من قبلها عندك فتور الكوس ... وبعدها يصلب بتلك الرؤوسِ
وترتفع لهم من المطالع ... يرميهم بر ظلوم طامعْ

في قرب المائتين يا ربانا ... ويكثر الموج بذي الأزمانا
زلوا بها الإفرنج غلق الموسم ... في عيد ميكال بالتوهم
قام عليهم موج تلك الرؤوس ... في (سفاله) بقي معكوس
وانقلبت أدقالهم في الماء ... والسفن فوق الماء يا أخائي
غرقى يرون بعضهم لبعض ... كن عارفاً موسم تلك الأرض
بل إن في السبعين بعد المايه ... هو موسم واحد خذ الهداية
يجري على السماك والثريا ... مرتفعاً عن البحر يا خيًّا
مثل عدن لـ(خوريا) ديمان ... اعرف لشرط البحر يا ربانْ
حتى إذا ما جاوزوا ثمانية ... ونصف شيعوا لبر العافيةْ
انتح (ملبوي) وما يليها ... ولا هناك مركب يعديها
وقل تكشفها ترى جبلين ... أحمر وأبيض تراهما بالعين
يهدى بهدين على المنادخ ... منتخ (ملبوني) بعلم باذخ
ويهتدى إلى (مسبيجي) هنا ... بهم إليها راحة من العنا
كمتل (قلهات) إلى (البواطن) ... للخور إلى (جرون) كن فاطن
وليس يغلق من هناك البحر ... لنحو (كلوه) افهمن شعري
وهي عليها النعش يقاسا ... سبعاً ونصف عند كل الناسا
وإن ترد من (كلوه) للطريق ... في الباحة الكبرى على التحقيق
اجر على المحنث والسهيل ... أعني المطالع افهم الدليل
إلى (ملبوني) بعداً مغزرا ... ورد في العقرب فهو المجرى
إلى (سفاله) وهناك ستة ... بها النعوش افهمن نعتةْ
احذر أن تضيق القياس ... تبطي وتنساك جميع الناس
عن خمسة ونصف أقصى المنتخ ... خوفاً من ريح الجنوب يا أخي
وارجع لوصف ذاك الأولي ... لنعش سبع في (كوامه) . . .
عاليها شعب لنحو المشرق ... فاحذر من نتخه وحقق
لكنه رمال . . . . . بالتر ... ما تراه ظاهراً خذ خبري
وهو مقابل يا فتى (مسناوة) ... أهماج كفراً افهم التلاوةْ
وست (سفالة) وخمس تسمى ... جزر (ستوه) فخذ العلما
أما نعوش أربع هي (مختاره) ... ومنهم للقمر هي مغارة

نضيف ما فيها وسخ وجزر   عنيت لك جميع ذا بخبري
أما (سفاله) بندر النضار   يحكمها الكلوي فلا تماري
أعني لك الساحل يا سايلي   لمعدن النضار خذ دلايلي
وفوقهم يا أخي كذلك المعدن   طريق شهراً وزايد فاتقن
على جنوبي يا أخي (سفاله)   مسير يومين بلا محالةً
بندر بكل ريح فيها يلتقى   والنعش عن خمس ونصف ضيقِ
وبعدها تلقى على الجنوبي   نعوش خمس عن ذوي التجريبي
(بلا ملبوني) تسمى بعدها   بعد (ملبوني) فهاك عدُّها
وبعد تأتيك (ملايتي) وهي   قد قيل (برمول) فلم تشتبهِ
فيها النعوش أربع تقاسا   هذا الذي قد ذكره الناسا
وبعدها على الجنوبي تاتي   جزر (شربوه) وهم ثلاثي
آخرهم يا صاحبي (وشكا)   والعاج والعنبر فيها يدركا
بها قياس الحوت والعناق   أعني قياس النعش يا رفاقي
ثلاث مجربة محررة   عمن رآها من قيل مخبرة
وخشب الإفرنج قد جاؤوها   وملكوها بعد أن عزوها
ما بعدهم سوى جزيرة (وازه)   ولا جنوبيها أحد قد جازه
أرقاق أوساخ مع جبال   يعلمها ربي ذو الجلالِ
بها النعوش يا أخي بلا غلط   هن اصبعين ....
هو الذي تعرفه يا صاحب   والبر هناك يدور للمغارب

من (كِلْوَة) إلى (سُفالة) :

وإن أردت السفر من (كلوة) إلى (سفالة) فالطريق البرية ، أي المحاذية للبر ، تجري في اتجاه القطب الجنوبي إلى (وميزي) على عرض احدى عشرة إصبعاً بقياس (النعش) . و(ميزي) جزيرة أهلها مسملون . وأرسي بأي شعب تمسي فيه . وسر على هذا النحو إلى جزيرة (سنجاجي) وأهلها مسلمون يحكمهم كافر ، ويتصل بها شعب إلى ناحية البر منها . ومنها في اتجاه القطب الجنوبي إلى (ملنبوني) بلاد اللجين والعنبر ، وهي على عرض ثمان أصابع تزيد قليلاً ، بقياس (النعش) . ومن (ملنبوني) إلى (سفاله) في اتجاه مغيب (العقرب) مع انحراف إلى اتجاه (الإكليل) . لكن عند خروجك من هذه الجزر اغزر عن البر ، أي ابتعد عنه إلى عرض حيث المياه العميقة الغزيرة ، مقدار مسير نهار واحد ، أربعة أزوام ، في اتجاه القطب الجنوبي ثم اجر بعد ذلك في اتجاه مغيب (العقرب) و(الإكليل) يومين أو ثلاثة أيام للمركب السريع الكامل العدة . وفي هذه الطريق تجد الماء يرق ، أي يقل عمقه ، قرب البر . وعندما تنتخ بر (كوامه) تجد عندها شعباً ينتهي إلى يمينك ، فجار البر إلى أن تصل إلى شعب (سولن) ، وهو شعب فوق (سفاله) . وقاع البحر هناك رمل ، ليس فيه طين ولا شعاب ، وقرب مدخل (كوامه) رق ، مياه ضحلة . لكن الخوف عندها من الأمواج ، لأنها مكشوفة لعرض البحر .

فاطرح بها ، إن كانت لك بها حاجة ، وكن منتبهاً ، فالرياح هناك أكثرها من الجنوب ، والمدّ يرمي بك إلى الجنوب والمغيب منها . فالماء هناك يشبه ماء (كمبايه) ، في حالتي المد والجزر ، فادخل البندر عند امتلاء الماء ، أي في حالة المدّ . وأفضل منتخ لها هو قياس خمس أصابع ونصف بقياس النعش ، خوفاً من الرياح العقربية ، أي الجنوبية الشرقية .

وعلامة شعب (كوامه) هي ارتفاع البر أمامه ، أما بقرب (سفاله) فالبر منخفض . واجر من (كوامه) إلى (سفاله) ، وعلامة (سفاله) أشجار النارجيل [جوز الهند] تقابلك وفوقها أكداف ، وترى هناك عرقاً صخرياً عند مدخلها على عمق باعين . فادخلها أثناء المدّ ، مثل دخولك (كمبايه) وهناك علامات من الأخشاب لخورها .

ومن (كلوة) إلى هذا المكان ، إن شئت يا ربان جار البر إن كنت في مريكب صغير إلى ذلك الخور ، خور (سفاله) ، وصرّف مركبك هناك حسب خبرتك وتجاربك . فإذا خفت الرياح ابتعد إلى ناحية عرض البحر حتى تنتخ (كلواني) ومنها تجري إلى (كوامه) ، وتنتخها بقياس سبع أصابع بقياس النعش . وفي طريقك من (كوامه) إلى (مفاتح ؟) ترى في حالة الصحو جبلاً . وليس يعرف في هذه الطريق جبل إلا في طريقك في اتجاه مغيب (العقرب) . فإن وصلت إلى خور (سفاله) بالليل ، اطرح إلى الصباح ، فترى الباب وحوله علامات من الأخشاب ، فيأتي السياكون فيدخلون بك مرسى (سفاله) . وهناك ترى قياس (الأعرجين) ثلاث أصابع ، وأنجم الهيراب ، ست أصابع .

وأفضل موسم للسفر من (كلوه) إلى (سفاله) هو من أول النيروز إلى الخمسين ، وفي العشرين أيضاً . أما السفر من (سفاله) إلى (كلوه) هو في المائة والسبعين ، لا قبلها ولا بعدها . فقبلها تكون رياح الكوس ضعيفة ، وبعدها يشتد هبوبها فيهيج البحر ، وتعظم أمواجه ، وتندفع بقوة إلى رؤوس بر (سفالة) .

وقد سافر الإفرنج في هذا البحر في «غلق الموسم» ، أي توقف سفر المراكب في بحر الهند ، فقام عليهم موج بحر (سفالة) فانقلبت سفنهم ، رأساً على عقب ، فصارت أدقالها في الماء وأجسامها فوقه ، غرقى يرى بعضهم بعضاً .

فكن عارفاً لموسم السفر في هذا البحر ، فهو موسم واحد ، في المائة والسبعين ، فتجري بعد خروجك من (سفاله) إلى (كلوه) في مطلع (السماك) و(الثريا) ، مثل مجرى المسافر من (عدن) إلى جزر (خوريا موريا) ، حتى إذا جاوز عرض ثماني أصابع بقياس (الجاه) فارق ساحل بلاد العرب الجنوبي . وتنتخ (ملبوني) وقبل أن تنتخها ، أي تكشفها ، ترى جبلين : أحمر وأبيض ، فتهتدي بهما لنتخة (ملبوني) . كذلك يهتدى بهما لنتخة (مسنبيجي) ، مثل مجراك من (قلهات) إلى (البواطن) ، بساحل عمان الشرقي ، وإلى (جرون) بهرمز . ومن هناك ، أي من (ملبوني) إلى (كلوه) لا يتغلق البحر ، أي لا يتوقف السفر . و(كلوة) على عرض سبع أصابع ونصف بقياس النعش .

وإن أردت أن تسلك الطريق البحرية من (كلوة) إلى (سفالة) فاجر في اتجاه مطلع السلبار (المحنث) وسهيل إلى (ملبوني) ، وتأتي في هذه الطريق مغزراً عن (ملبوني) ، أي مبتعداً إلى ناحية عرض البحر . ومن هناك اجر في مغيب (العقرب) إلى (سفاله) ، تجد هناك قياس النعش ست أصابع . واحذر أن ينقص قياس نتختك لبر (سفاله) عن خمس أصابع ونصف ، حتى لا تقع في قبضة الرياح الجنوبية فتهلك .

ونرجع إلى عرض سبع أصابع بالنعش ، وهو عرض (كوامه) . وإلى ناحية المشرق منها شعب فاحذره عند نتخة (كوامه) وهو رمال تبريّة اللون ، وهو مقابل (لمستاوه) بالبر ، وأهلها كفر همج .

وست أصابع بقياس النعش هو عرض (سفاله) وخمس عرض جزيرة تسمى (سنده) ، أما أربع أصابع فهو عرض (مختارة ؟) والبحر ما بين هذه الجزر وجزر (القمر) نضيف ليس به وسخ . و(سفاله) ، بندر النضار ، خاضعة للملك (كلوة) ، أعني الشريط الساحلي ، ومعدن الذهب فوقها في البر على مسير شهر أو أكثر . وإلى الجنوب من (سفاله) ، على مسير يومين مرسى تلتقي فيه كل الرياح ، والنعش هناك خمس أصابع ونصف . وبعدها تأتيك (بلاملبوني) وهي غير (ملبوني) ، وتأتيك بعدها (ملايتي) وقيل أنها تسمى (برمول) عرض أربع أصابع بقياس النعش ، هذا الذي يذكره الناس . وبعدها إلى الجنوب تأتي جزر (شربوه)

وهي ثلاث جزر ، آخرهم (وشكا) وهي بلاد العاج والعنبر ، بها قياس النعش ثلاث أصابع ، جربها من أخبرني عنها . والإفرنج قد مروا بها وملكوها . وما بعدها غير جزيرة (وازه) ، ولم يجتاز أحد البحر جنوبيها . لأنه كثير المضاحل والأوساخ ، وعلى البر جبال لا يعلم بها إلا الله ، عليها قياس النعش إصبعان ، ومنها ينحرف البر إلى ناحية المغيب .

آمـا من (السفـال) والسـواحـل
فـليس شرقـيهـم يخـاف داخـلِ
في البحـر إلى (القمـر) والجـزاير
مـا بـينـه والمـول بـالأشـايـرِ
أشهـرهم (أنجـزيجـات) يـا صـاح
في غـرب كـل الجـزر بـالإيضـاح
بهـا النعـوش أحـد عشر وربـع
جـزيـرة عـظيـمـة فـاستـمـعِ
منهـا إلى (القمـر) عـلى المشـارق
لأي صوب شيت خذ من صادقِ
قبلتـهم و(القمـر) في الـفـراقـد
ومغـرب النعش خـذ بـالـواكـدِ
وآخـر (الـقـمـر) مـن الجـنـوبي
قـبلتـه الـقـطب بـلا تكـذيـبي
أمـا (السفـال) مـع (الأخـوار)
في مـغـرب الفـرقـد بـاختـيـارِ
إلى حدود (الجب) أرض (المقدشي)
ومن هنـاك يميـل لغـرب النعشي
وخـذ قيـاسـات عـلى الجـزايـر
ما كان عنـد الناس منها ظـاهـرِ
تم مـطالعهـا عـلى السـواحـل
مـا أنـا من يخفي العلوم يـا خـلي
لـو تختلف أسماؤهـا في «الحاويـة»
مـا تـلزم العـهـدة إلا الـراويـةْ
وقـد يـقـال عشر (بحـدور)
و(الـديـو) فـافهـم مثـلي واعتـبرِ
وقـد يقـال (مهـايم) و(تـانـه)
ويـقـال (نهرواري) خـذ بيـانـهْ
وقـد يكـون سبـع بـ(سـاجـر)
ثـم (ظفـار) افـتـهـم أشـايـري
فهكـذا في الأبـحـر المجـهـولـة
مـيـز بـالأفـكـار مـا أقـولـه
كـذاك في رهمـانـجي المقـدمـا
ليس لـه اليـوم . . . . العلما
قـد حـرفت أسـماؤهـا وغـيرت
وخـيرها للشخص مـا قـد شهـرتْ
فخـذ قياس (دمـوقي) أحـد عشرا
عشرون زاماً عن (وميزي) أغزرا
ومن (كتـاوه) في سهيـل المجرى
إلى (دمـوقي) وتـنـال الجـزرا
وفـيـهـم الخـلق وبـيـع وشرا
أمـا (دموقي) عن (ديبـوي) بحـرا
وقس (سـعـده) عشر بـالـعـادة
هي شرقي الكـل خـذ الإفـادةْ
وقس عـلى النعش في (لنجـاني)
تسـع وهي مـغـزرة يـا اخـواني

فهـذه خمس جـزايـر قـد شهـرت ... فيهـا المبيـع والشرى قـد عمـرت
حتى يغيب الـنعش يـا مـسـايـلي ... ينقـطع (القمـر) فـخـذ دلايـلي
وفي (دمـوتي) عشر ونـصـف ... اسمـع كـلامي ولا تمـل وصفي
لأنها مـن جـزر ديـر (القمـر) ... يـرونها منها فخـذ من خـبري
عن ساحل (الأخـوار) في الأزوام ... نـيف وثـلاثـين فـخـذ كـلامي
وقس شـماليـه نعـوش اثنـا عشرة ... عشرين زامـاً من جزيـرة (منورة)
لـكـنهـا في الشرق يـا ربـان ... أبحر من (تيري رجـا) يا اخـواني

الطرق بين جزر (القمر) والساحل الافريقي :

أما من (سفاله) و(السواحل) فليس هناك ما يخشاه المسافر إلى جزر (القمر) من مخاطر البحر . وأشهر جزر (القمر) جزيرة (انجزيجا) وهي غربي كل الجزر ، على عرض احدى عشرة إصبعاً وربع بقياس النعش . جزيرة عظيمة تجري منها إلى أي صوب شئت من جزر (القمر) . وقِبْلَة هذه الجزر ، وجزيرة (القمر) في اتجاه القطب الشمالي . أما قِبْلة (سفاله) و(الأخوار) ففي مغرب الفرقد ، ومن هناك إلى حدود (الجُب) و(مقدشوه) تكون القبلة في اتجاه مغيب النعش .

وقياسات الجزائر المعروفة عند الناس قد تختلف عن قياساتها في أرجوزة «الحاوية» ، والعهدة في ذلك على من رواها له . وقد تختلف قياسات الأماكن المعروفة ، مثل (مدور) و(الديو) و(مهايم) وغيرها . وهكذا قياسات البحار المجهولة ، كبحر جزر القمر ، التي لا يتردد إليها البحارة كثيراً . وكذلك القياسات في الرهمانج المتقدم ، [يعني كتاب «الفوائد»] . فالأسماء والقياسات تتبدل وتتغير ، وخير القياسات المشهور منها . وقياسات جزر القمر هي : احدى عشرة إصبعاً بقياس النعش جزيرة (دموتي) ، وبينها وبين (وميزي) على البر الإفريقي عشرون زاماً . ومن (كتاوة) تجري في اتجاه مطلع سهيل إلى (دموتي) ، ومنها تجري إلى بقية جزر القمر ، وهي عامرة بالناس والتجارة ، وهي إلى ناحية عرض البحر من جزيرة (ديبوي) . وجزيرة (سعدا) قياسها عشر أصابع وهي شرقي الجميع ، وجزيرة (لنجاني) تسع أصابع وهي مغزرة . فهذه الخمس الجزائر

المشهورة العامرة بالناس والتجارة . وحيث لا يظهر النعش ، وينتهي قياسه ، ينتهي بر (القمر) أي جزيرة (مدغشقر) . وبين (دموتي) وساحل (الأخوار) أكثر من ثلاثين زاماً .

والطرف الشمالي لجزيرة (القمر) (مدغشقر) على عرض اثنتا عشرة إصبعاً بقياس النعش ، وبينها وبين جزيرة (منورة) عشرون زاماً ، وهي إلى ناحية المشرق عن هذا الطرف . أبحر من جزر (تيري رجا) أي أبعد في البحر من هذه الجزر .

ومطلق الجزر لبر الملِ   ثلاثة أيام في الأقلّ
شيء منه قريب الساحل   بحاية القلعين يجري الداخلِ
وشي بريح الكوس لم تمسكها   إلا من (الأخوار) قد تملكها
لكن لها المعبر بالشوار   مثل (سقطره) كن بهذا داري
فمن (كتاوه) هي لـ (راس الملح)   في التير يا ربان هناك نصحي
وإن تكن تطلق إلى (دموتي)   من (منبسه) فاعرف بذي النعوتي
في مطلع الحمارين (فزنجباري)   منها إلى (دموتي) المجاري
في مطلع القلب فأما (الكلوي)   يجري لها في التير خذ ما روي
أما (السفالي) هو و(الأخواري)   فقليل ما يأتون فلا تماري
وشرقي (القمر) هناك جزاير   قد قال لي عنها حكيم خابر
لكن سمعنا خبراً طريفا   من خابر ذي فطنة ظريفا
لأن هذي الجزر تنجر إلى   نحو الشمال وهي في الشرق إلىٰ
(براوه) و(الجب) مع (كتاوه)   و(منبسه) فافهم التلاوة
ويحسبون يا فتى (زرينا)   من هذه الجزر فكن فطينا
فإنني ممن يصدق ذا الخبر   لأنني في الزنج لم ألق أثَرَ
لموجة الصليب يا حميدا   والواجب أن ها هنا تزيدا
وتلتقي التشوش والشجوري   في ذلك المكان يا نظيري
وتكثر القروش والطيورا   والقد والقرنا فكن خبيرا
حتى نظن أننا في البر   أو تحتنا جبال تحت البحرِ
لما سمعنا علم هذا البر   زال بذا الشك فصرنا ندري

وكـونهم عن بعضهم لبعض   متـفـرقـات افـهـمن وعـظي
يـراهـا السفـري إذا مـا أغـزرا   خوفاً من الكوس يريد الخضرا
في نـادر السنين في الأسفـار   وبعضهم ينتـخ (زنجبـاري)
من ظهرها ، لا جانب المغارب   فكن لشرحي عاملاً أو جارب
شرحتـه يـا صـاحبي والعهـدة   عـلى الـذي رواه لي وعـدّه

● ● ●

بين جزر (القمر) والساحل الافريقي :

والمسافة بين جزر (القمر) وبرّ المُل الافريقي يقطعها المسافر في ثلاثة أيام ، على الأقل . بعض هذه الجزر يسافرون إليه من الساحل الإفريقي بحاية القلعين ، وبعضها قد تمسكه ، أي تصل إليه برياح الكوس ، من (الأخوار) من سفاله جنوباً ، بشرط أن تكون الريح التي تسافر بها شواراً ، أي معتدلة السرعة ، مثل حالة الريح التي يسافرون بها إلى جزيرة (سقطره) من ساحل بلاد العرب المقابل لها . فمن (كتاوه) بالبر الافريقي إلى (رأس الملح) بالطرف الشمالي من جزيرة (القمر) (مدغشقر) تجري في اتجاه مطلع التير . وتنطلق إلى جزيرة (دموتي) من (منبسّه) في اتجاه مطلع (الحمارين) . أما من (زنجبار) إلى (دموتي) ففي اتجاه مطلع القلب أي قلب العقرب . وتجري إليها من (كلوه) في اتجاه مطلع (التير) . أما أهل (سفاله) و(الأخوار) فقليل ما يسافرون إلى هذه الجزر .

ويقول ابن ماجد أن واحداً ممن لهم خبرة ودراية أكثر بتلك الجزر أخبره أن شرقي جزيرة (القمر) جزر اخرى . وسمع من آخر خبراً طريفاً ، هو أن هذه الجزر تنجرّ إلى الشمال إلى حيث تقابل (براوه) و(الجب) من الساحل الصومالي ، ويحسبون من هذه الجزر أيضاً جزر (زرين) (سيشل) . وابن ماجد ممن يصدقون هذا الخبر ، لأنه لم يجد أثراً لموجة (الصليب) التي يعتبرها من اكتشافاته في البحار الجنوبية ، وكان المفروض أن تكون في بحر الزنج أقوى من البحار الشمالية . وكذلك وجود الأسماك والطيور وغيرها من العلامات التي يستشهد بها البحارة على قرب البر ، في البحر الذي كان يقطعه ابن ماجد بين الهند وشرقي افريقيا ، إلى

الجنوب من الصومال . حتى ليحسب انه يجري بقرب البر ، أو تحته جبال . فمن علم بخبر هذه الجزر وانتشارها في هذا البحر زال عنه الشك ، وعرف سبب وجود الطيور وغيرها من علامات قرب البر في هذا البحر . وهذه الجزائر متفرقات يراها المسافر الذي يغزر في البحر خوفاً من رياح الكوس وهو في طريقه إلى جزيرة (الخضراء) أو الذي يقصد ظهر جزيرة (زنجبار) من ناحية المشرق .

ومـوسم السواحلي (للقمر) وجزره ثم (السفال) فاذْرِ
من أول النيروز للسبعينا وأهل (كلوة) موسم التسعينا
ويخرجون الناس من (سفاله) ماية وسبعين لا محالة
أما لها عشرين في النيروز ذكرته من قبل يا عزيزي
ولا لسفاله إلا موسما واحد لا غير فحكم واحكما
أما إلى (الأخوار) ثم (القمر) موسم نفيس عن أهل الخبرِ
في العام مرتين أو ثلاث إن كان قصدك (أنجزيجاتي)
أحسنهم مايه في النيروز للجاي والغادي يا عزيزِ
لكن بالشوار لا بالغامز فاعبر إليها كي تكون فايزْ
والموسم الثاني في الديماني يأتي ولا يروح يا رباني
فخروج أهل القمر للسواحلي بموسمين اعترف يا سايلي
ذكرت ما خليت منها مجرى إن جزت في عمرك هذا البحرا
تلقى بها قولي وصحة فعلي لأنه علم كبير عقلي
وصح أن البر و(القمر) هما ثمانية أزوام ما بينهما
في آخر القمر من الجنوب متفق عليه يا حبيبي

● ● ●

مواسم السفر بين جزر (القمر) والساحل الافريقي :

موسم سفر السواحلي إلى (القمر) وجزرها ، وإلى (سفاله) من أول النيروز إلى السبعين منه . وأهل (كلوة) يسافرون في التسعين من النيروز . ومن (سفاله) يسافرون إلى (كلوة) في المائة والسبعين ، وإليها من (كلوة) في العشرين ـ كما سبق ذكره ـ وليس للسفر من (سفاله) إلى (كلوة) والمراسي الشمالية منها غير موسم واحد

هو المائة والسبعين من النيروز . أما إلى (القمر) و(الأخوار) فلها موسم فسيح ، في العام مرتان أو ثلاث ، لا سيما إلى جزيرة (انجزيجاتي) . وأفضله في المائة من النيروز للرائح والغادي ، لكن بالريح الشوار ، أي المعتدلة السرعة ، وليس بالريح الغامزة السريعة . والموسم الثاني في الديماني ، وهو الربع الأخير من موسم هبوب الرياح الجنوبية الغربية (الكوس) ، ويعود فيها المسافر إلى (القمر) ولا يسافر منها . وبين جزيرة (القمر) (مدغشقر) والبر الافريقي ثمانية أزوام .

هي تسع ماية بيت تزيد عنها	عن أحمد السعدي احفظها
وادع لي في الموت والحياة	من الإله غافر الزلاتِ
....	....
عرفتها حتى بقي ربانها	يسألني عنها وعن شعبانها
وخصني والي البلاد بالسفر	من دون غيري بالهدى والظفرِ
لا شك أن من يرى بالعين	تركن إليه الناس باليقينِ
وقد ركنوا لي والنبي والهادي	وتركوا من لم عاين البلادِ
كفى بذا في جودة السؤال	تصورت في القلب بالكمالِ
شعبانها والبر والقياس	والريح والموسم ثم الناسِ
ثم المطارح ودخول الجزر	حققت بالتدقيق اسمع شوري
واعبر لها بالحزم والصلاة	على النبي اتخذ وصاتي
صلى الإله في ضياء وسحر	على النبي المصطفى خير البشرِ
ما دارت النعوش بالأقطاب	واهتدت الزنوج بالسحاب

● ● ●

الحواشي والمراجع

المقدمة :

(١) ت. شوموفسكي ، ثلاث أزهار في معرفة البحار ، ص٧٢ (ترجمة مرسي) (الناشر : عالم الكتب ـ القاهرة) .
(٢) المصدر السابق (مقدمة المترجم ، ص٤) .
(٣) شهاب ، فن الملاحة عند العرب (مركز الدراسات والبحوث اليمني ـ صنعاء) ١٩٨٢ .
(٤) شهاب ، طرق الملاحة التقليدية (الجمعية الجغرافية الكويتية وقسم الجغرافيا ـ جامعة الكويت) .

التمهيد ـ نشاط العرب البحري في المحيط الهندي :

(١) The Periplus of The Erythraean Sea, Translatedby W.Schoff, P.10
(٢) في رأيي أن (بريبلس) ليس له مؤلف واحد وإنما هو تقرير جمع من تقارير جواسيس (روما) في الشرق . إذ أن من يمعن النظر فيه لا يجد فيه شيئاً من الاسلوب الذي تكتب به عادة الرحلات ، وإنما يجده تقريراً مفصلاً عن سواحل المحيط الهندي والبحار المتفرعة منه ، بل انه يجد فيه وصفاً للمدن والمناطق والشعوب البعيدة جداً عن السواحل . فهو ليس رحلة كتبها ـ كما يعتقد البعض ـ بحار أو تاجر مجهول .
(٣) في الخرائط اليونانية والرومانية القديمة يطلق على (البحر الأحمر) (الخليج العربي) أما الخليج

العربي فيدخل في البحر الأرتيري ، وليس له اسم في خريطة (هيرودتس) (انظر «العراق في الخرائط القديمة ـ الدكتور سوسه/١٩٥٩م») .

(٤) موزع : هذا الميناء ـ كما تحدده المسافة التي قدرها بريبلس بينه وبين مضيق باب المندب ـ ليس بعيداً عن موقع ميناء (المخا) الحالي .

(٥) بريبلوس ، ص٢٨ The Periplus, P.28

(٦) بريجازا : وصف بريبلوس لحالة المد والجزر في خليج (بريجازا) المعروف بخليج (كمبايا) ، يؤكد أن (بريجازا) هي (جوزرات) عند البحارة العرب .

(٧) الاستاديوم : مقياس اغريقي يساوي (٢٠٢) ياردة (الياس ، القاموس العصري) .

(٨) المسافة التي قدرها بريبلس بين (باب المندب) و(العربية السعودية) هي نفس المسافة تقريباً بين عدن و(المندب) .

(٩) بريبلس ، ص٣٢ .

(١٠) قنا : المسافة عند بريبلس بين هذا الميناء و(عدن) هي نفس المسافة تقريباً بين عدن وميناء (بيرعلي) المعروف حالياً . وهناك آثار لميناء بجوار صخرة (حصن الغراب) .

(١١) سكيثيا : هي (السند) ، فربيلس يطلق هذا الإسم على البلاد التي يجري فيها نهر (السندوس Sinthus

(١٢) بريبلس ، ٣٢ .

(١٣) موسكا : في موقع (خور روي) بمنطقة (ظفار) (بريبلس ، المترجم ، ص١٤٠) .

(١٤) بريبلوس ، ص٣٥ .

(١٥) بريبلوس ، ص٣٦ .

(١٦) بريبلوس ، المترجم ، ص١٥١ .

(١٧) بريبلوس ، ص٣٦ .

(١٨) بريبلوس ، ص٤٥ .

(١٩) ج.حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي (ترجمة يعقوب بكر)ص٨٩ .

(٢٠) مخاطرها : في البحر الأحمر .

(٢١) حوراني ، العرب والملاحة ، ص٩٢ .

(٢٢) جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٣ ص٥٢٤ .

(٢٣) حوراني ، العرب والملاحة ، ص١٠٠ .

(٢٤) صلاح البكري ، في جنوب الجزيرة العربية ، ص٤٤ (نقلاً عن R.V.Bodly في كتابه «الرسول The messenger) .

(٢٥) لويس معلوف ، المنجد ، مادة (روديسيا) .

(٢٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٧ .
(٢٧) الجاحظ (أبو عثمان) ، الحيوان ، ج١ ص١٢ .
(٢٨) شهاب ، المراكب العربية : تاريخها وأنواعها ، ص١٩ .
(٢٩) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١١ ـ ١٢ .
(٣٠) حوراني ، العرب والملاحة ، ص٢١٤ (نقلاً عن «أخبار الصين والهند») .
(٣١) المسعودي (أبو الحسن) ، مروج الذهب ، ج١/١٢٣ (دار الأندلس) .
(٣٢) جردفوي : تسمية البحارة (حردفون) ويعرف الآن برأس (عسير) .
(٣٣) بريبلس ، ص٢٦ .
(٣٤) ابن بطوطة (أبو عبد الله) تحفة النظار في غرائب الأمصار ، ج٢ ص١٢٤ (مطبعة الاستقامة ـ القاهرة) .
(٣٥) شهاب الدين أحمد بن ماجد ، كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، ص٢٨٠ (تحقيق خوري) دمشق ١٩٧١م .
(٣٦) سليمان أحمد المهري ، شرح تحفة الفحول في تمهيد الأصول ، ص٧٣ (تحقيق خوري) دمشق ١٩٧٢م .
(٣٧) ابن بطوطة ، التحفة ، ج٢ ص١١٨ .
(٣٨) ابن ماجد ، الفوائد ، ص٢٢٨ .
(٣٩) نفس المصدر ص٢٢٧ .
(٤٠) سليمان أحمد المهري ، العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية ، ص٤٥ (تحقيق خوري) دمشق ١٩٧٠م .
(٤١) ابن ماجد ، الفوائد ، ص٣٠٧ .
(٤٢) المهري ، شرح التحفة ، ص٥٨ .

الفصل الأول : ابن ماجد :

(١) الخارجي : نسبة إلى جزيرة (خارج) بالخليج العربي .
(٢) عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب ، ج٢ ص٥٢١ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) الربان منصور بن الحاج ابراهيم ، دفتر مخطوط في الإرشادات الملاحية .
(٥) ارجوزة مجاري الخليج العربي .
(٦) ابن ماطر ، دفتر مخطوط في الاشارات الملاحية .

(٧) سليم التكريتي ، الصراع على الخليج العربي ، ص٦٢ .
(٨) نيبور : عالم جغرافي داغاركي ، رأس بعثة علمية داغاركية إلى اليمن ، وزار الخليج العربي .
(٩) ياقوت ، معجم البلدان .
(١٠) ابن ماجد ، الفوائد ، ص١٥١ .
(١١) في كتاب «فن الملاحة عند العرب» اعتمدت في استخراج التاريخ التقريبي لمولده على قوله في كتاب «الفوائد» انه قضى خمسين عاماً لم يترك مدير دفة السفينة لوحده ، ص٢٠٢ .
فقلنا أن سِنّه كان في السنة التي نجح فيها (فاسكو داغاما) في عبور رأس (الرجاء الصالح) حوالى ٧٢ سنة .
(١٢) ابن ماجد ، الفوائد ، ص١٦٢ . ويذكر «الذهبية» في صفحات اخرى ايضاً .
(١٣) البيت الواحد والعشرون قبل الأخير من المنظومة .
(١٤) البيت الواحد والثلاثون قبل الأخير من المنظومة .
(١٥) ابن ماجد ، الفوائد ، ص١٥٢ .
(١٦) سليمان المهري ، المنهاج في علم البحر الزاخر ، ص٦ (تحقيق خوري) دمشق ١٩٧٠م .
وشرح تحفلة الفحول ، ص٨٧ .
(١٧) ابن ماجد ، الفوائد ، ص٣٤٣ .
(١٨) ابن ماجد ، الفوائد ، ص٣٤٤ .
(١٩) نفس المصدر .
(٢٠) قلزم العرب : تمييزاً له عن قلزم العجم يذكره ابن ماجد في «الفوائد» ص٢٧٠ .
(٢١) ابن ماجد ، الفوائد ، ص٣٨٥ ـ ٣٨٦ .
(٢٢) البيت أفسده التصحيف .
(٢٣) الحاوية : الفصل الحادي عشر .
(٢٤) ارجوزة «ميمية الأبدال» .
(٢٥) المخطوطة التي نشر صورتها (فران) .
(٢٦) ابن ماجد ، الفوائد ص١٢٩ .
(٢٧) ابن ماجد ، الفوائد ، ص٢٣٥ .
(٢٨) يقصد قياس نجم (الواقع) ونجم (التير) .
(٢٩) ابن ماجد ، الفوائد ، ص١٥٢ .
(٣٠) نفس المصدر ص٨٢ .
(٣١) نفس المصدر ص٧٤ .

(٣٢) ارجوزة «نادرة الأبدال» في قياس نجم (النسر الواقع) و(ذبان العيوق) .
(٣٣) موضع النقطة كلمةمصحفة .
(٣٤) ارجوزة «البليغة في قياس سهيل والسماك الرامح» .
(٣٥) الفوائد ، ص١٩٠ .
(٣٦) تنوخذه : قد تكون اللفظة مصحفة ، فابن ماجد يذكر (الناخوذه) كمالك أو وكيل السفينة في كتاب «الفوائد» ص٣٧٤ .
(٣٧) القصيدة البائية المساة «الذهبية» .
(٣٨) القصيدة «المكية» .
(٣٩) قصيدة «نادرة الأبدال» في قياس (الواقع) و(ذبان العيوق) .
(٤٠) «الذهبية» .
(٤١) الفوائد ، ص٣٢٣ .
(٤٢) نفس المصدر ، ص٣٢٤ .
(٤٣) الفوائد ، ص٢٤٧ .
(٤٤) رابع لثلاثة : هم من أسماهم بالليوث الثلاثة الذين ألفوا (رهماني) في أيام الخلافة العباسية .
(٤٥) «نادرة الأبدال» .
(٤٦) في الأصل : لا حي يعد كفايت .

الفصل الثاني : ابن ماجد في سقطره :

(١) ابن : سقطت هنا ، بدليل قوله في فقرة اخرى : «وولّوا عليهم ابن عبد النبي السليماني» .
(٢) الفوائد ، ص٣٠٦ .
(٣) المحرّجين : المبعدين .
(٤) الفوائد ، ص٣٠٦ .
(٥) نفس المصدر .
(٦) R.B.Serjeant, The Portugues off The South Arabia, P.155
(٧) صلاح البكري ، في جنوب الجزيرة العربية ، ص١١٦ (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) .
(٨) (نقلاً عن تاريخ بافقيه الشحري ، ص١٥٥) Serjeant. The Portugues
(٩) هذه الحكاية لا زالت حتى اليوم تروى على ألسنة كبار السن في (قشن) وغيرها من مدن بلاد المهرة .

الفصل الثالث : مرشد (داغاما) :

(١) النهروالي : (قطب الدين) عاش في الفترة (١٥١١ - ١٥٨٢م) .
(٢) بشير احمود كاظم ، حركة الكشوف البرتغالية وأهدافها ، مجلة «الوثيقة» البحرانية ، العدد الثاني عشر - السنة السادسة .
(٣) زنجبار : جزيرة بجوار ساحل (تنزانيا) (انظر الخريطة) .
(٤) السواحل : يطلق على ساحل (كينيا) و(تنزانيا) .
(٥) Basil Davidson, The African Past, P 133
(٦) نفس المصدر .
(٧) انظر كتابي : «فن الملاحة عند العرب» .
(٨) شهاب ، فن الملاحة عند العرب ، ص٤٥ .
(٩) في الأصل : وسار فيها مبغض الاسلام .
(١٠) B Davidson, The African Past, P 131-132
(١١) نفس المصدر
(١٢) Serheant, The Portuguese, P.12
(١٣) نفس المصدر
(١٤) Serjeant The Portuguese, P.15
(١٥) نفس المصدر ، ص١٤ .
(١٦) B. Davidson, The African Past, P.139
(١٧) في الأصل : وتركوا من عاين البلاد . وهو لا يلائم - كما نلاحظ - معنى البيت الذي سبقه .

الفصل الرابع : نثره ونظمه :

(١) ابن ماجد ، الفوائد ، ص٣٩٣ .
(٢) نفس المصدر ، ص١٢٩ .
(٣) نفس المصدر ، ص٣٩٣ .
(٤) نفس المصدر ، ص٢١٧ .
(٥) ذبان العيوق : نجم صغير يتبع العيوق بينهما ، عند البحارة ، أربع أصابع أي ذبان .
(٦) في الأصل : الحمد لله الحبيب الهادي . التصحيح من كتاب «الفوائد» .

(٧) جلبتي : الجَلْبَة : أشهر أنواع سفن البحر الأحمر المخرزة قديماً .
(٨) المحاوز : المركب السريع الخفيف .
(٩) الترفا : هي جملة الأزوام التي إذا قطعها المركب في أي اتجاه ، أي خن ، ارتفع نجم (الجاه) إصبعاً عرضية .
(١٠) استقلال النجم : وقوفه على دروة مداره .
(١١) يقول ابن ماجد أن نجم (الجاه) تسمية العرب (الجُدَي) بضم الجيم وفتح الدال (الفوائد ص١١٣) .
(١٢) التَّنْبُول : أوراق شجر قلبية الشكل ، تنتشر عادة مضغه في الهند وجزر الهند الشرقية وسيام (تايلند) و(بورما) .
(١٣) لم يذكر ابن ماجد بيتاً واحداً في كتاب «الفوائد» من هذه القصيدة .
(١٤) الفوائد ، ص٥٦ .
(١٥) ابراهيم خوري ، اراجيز ملاحية ، ص٤٤ (منشورات وزارة الاعلام ـ صنعاء) .

الفصل الخامس : علم الملاحة ومساهمة ابن ماجد في تهذيب قواعده :

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١١ ـ ١٢ (طبعة ليدن) .
(٢) الرهمانيات : جمع رهماني ، ويعرف أيضاً بـ (الرهمانج) و(الرحماني) .
(٣) ابن ماجد ، الفوائد ، ص١٤ (مخطوطة باريس) .
(٤) تحت الريح : الجزء الشرقي من المحيط الهندي .
(٥) الفوائد ، ص١٦ .
(٦) الشقاقات : النجوم والأخنان المجاورة من الجنوب والشمال لدائرة اعتدال النهار (خط الاستواء) . والرحويات : المجاورة للقطبين : الشمالي والجنوبي .
(٧) في الأصل : تموت وتغتم . وهو ـ كما نلاحظ ـ خطأ نتج عن اسقاط (من) . والمعنى المقصود ، أن أعداءه تستحق أن تموت من الغم .
(٨) الفوائد ، ص١٢٩ .
(٩) سليمان المهري ، العمدة ، ص٣ (تحقيق خوري) دمشق ١٩٧٠م .
(١٠) الفوائد ، ص٢٣٥ .
(١١) سبقت الإشارة إليه في الفصل الرابع .

(١٢) المهري ، شرح التحفة ، ص١٢١ - ١٢٣ .
(١٣) الفوائد ، ص١٦ .
(١٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص٥٤ (الطبعة الاولى - القاهرة .
(١٥) المقريزي ، كتاب المواعظ ، ص٢١٠ .
(١٦) الفوائد ، ص١٩٢ .
(١٧) المهري ، شرح التحفة ، ص٩١ .
(١٨) مقدمة القصيدة .
(١٩) المهري ، العمدة ، ص٤٥ .
(٢٠) المهري ، المنهاج ، ص٥٨ .
(٢١) ارجع لكتابي «فن الملاحة عد العرب» .
(٢٢) الفوائد ، ص٢٣٦ .
(٢٣) نفس المصدر .
(٢٤) «السفالية»: . . . . قد قستهم هناك بالاسطرلاب .
(٢٥) المهري ، شرح التحفة ، ص٧٥ .
(٢٦) الفوائد ، ص٢٧ .
(٢٧) المهري ، شرح التحفة ، ص٦٤ .
(٢٨) أقدار النجوم عند علماء الفلك ستة ، أكبرها وأشدها بريقاً النجوم التي من القدر الأول ، وأصغرها هي التي من القدر السادس .
(٢٩) يقاس نجم (الجاه) عندما يكون تحت مركز القطب . فإذا قيس وهو مرتفع عن حضيض مداره بإصبع ، مثلاً ، يسمى هذا الارتفاع ياشيًا ، ويطرح من القياس ، أي الإصبع ، وما تبقى يعتبر قياساً أصلياً ، وهو قياس (الجاه) عندما يكون في حضيض مداره .
(٣٠) زيادة يقتضيها السياق .
(٣١) الفوائد ، ص٢٨٦ .
(٣٢) الفوائد ، ص١٨٩ .
(٣٣) الفوائد ، ص١٩٠ .
(٣٤) البيت من القصيدة «الفائقة» .
(٣٥) علوم العرب البحرية ، الناشر «مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - جامعة الكويت .
(٣٦) الزّام القياسي ثمن إصبع ، أما الزام العُرفي ، أو زام جمة - كما يسميه ابن ماجد - فهو ثلاث ساعات أي ربع الليل أو النهار .
(٣٧) المهري ، شرح التحفة ، ص٦٣ .

(٣٨) الفوائد ، ص١٧١ .
(٣٩) الفوائد ، ١٧٣ .
(٤٠) البيت من قصيدته «الذهبية» .
(٤١) سبقت الإشارة اليه .
(٤٢) الفوائد ، ص٣٣١ .
(٤٣) الفوائد ، ص٢٦٢ .
(٤٤) يسمى هذا الموسم «رأس الريح» (العمدة ص١١١) .
(٤٥) المهري ، المنهاج ، ص١٠٢ ـ ١٠٣ .
(٤٦) الفوائد ، ص٣٣٩ .
(٤٧) نفس المصدر .
(٤٨) انظر كتاب «المنهاج» لسليمان المهري (ص١١٠ ـ ١١٢) .
(٤٩) الفوائد ، ص٢٤٨ .
(٥٠) نفس المصدر ، ص٢٥١ .
(٥١) نفس المصدر ، ص١٩١ .

الفصل السادس والسابع : الرحلات :

(١) ابن ماجد ، الفوائد ، ص٣٧٥ .
(٢) فلوباسلار : عند ابن ماجد (فلوفاسلار) أو احداهما مصحفة .
(٣) خوري ، أراجيز ملاحية ، ص٤٤ ، (سبقت الإشارة إلى ذلك) .
(٤) الفالات : جزر الفال (الكاديف حالياً) وهي جزر متقاطرة في صفوف مع جزر الذيبة التي تليها جنوباً . والذيبة تعرف حالياً بـ (مالديف) .
(٥) الحماران : نجمان يسمى أحدهما المعقل والآخر الظليم .
(٦) بنات نعش الكبرى : (الدب الأكبر) .
(٧) الهيراب الأول شمالي الهيراب الثاني بساحل الصومال الشرقي .
(٨) الأكداف : تلال صغيرة ونتوءات بارزة من الطين .
(٩) القلعين : رياح مقاطعة لخط مجرى السفينة .
(١٠) الماشية : الجانب الذي ترسو بجواره المراكب من ساحل المرسى .

فهرس الأشكال

الخرائط

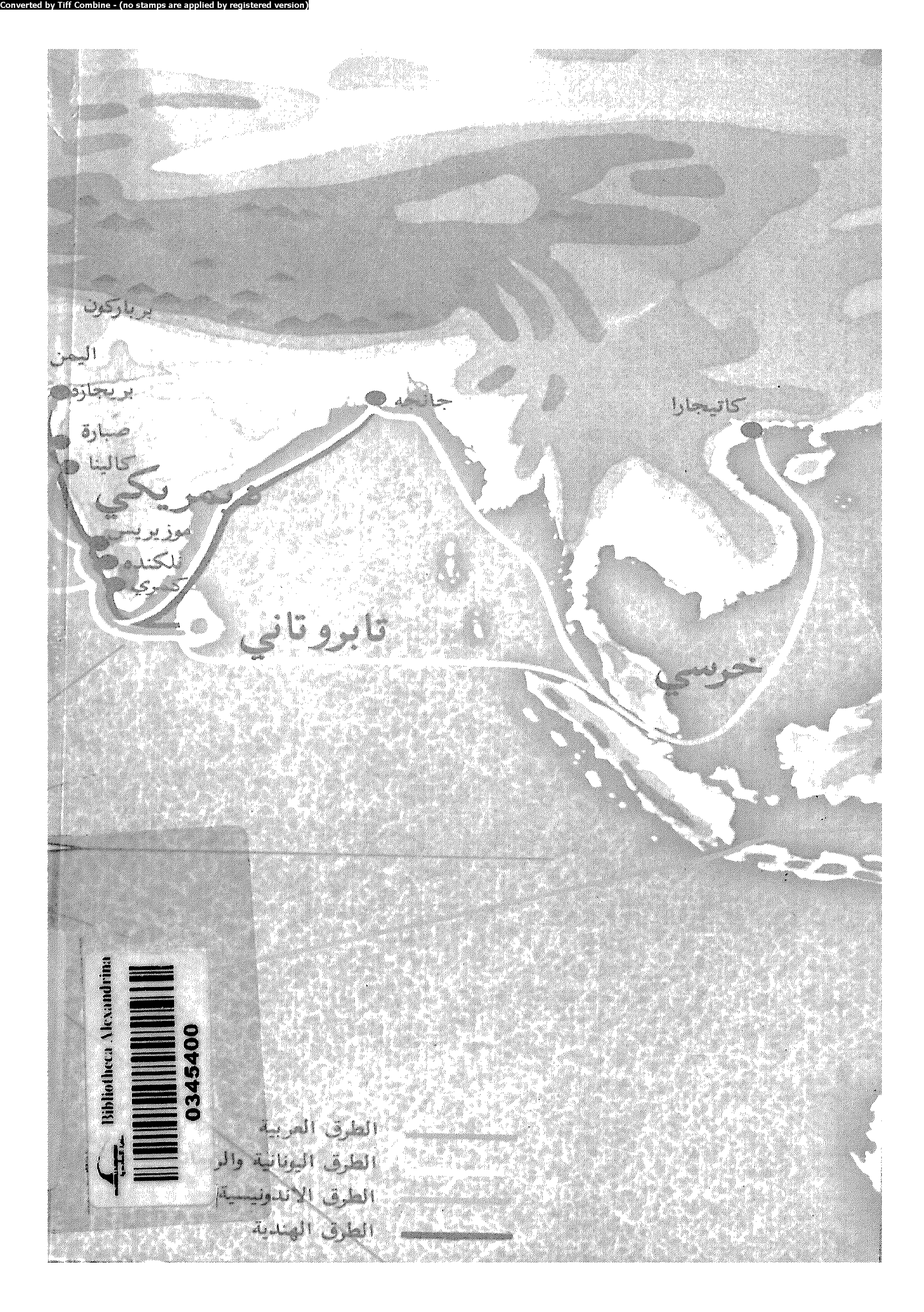
فهرس المحتويات



طبع بمطبعة رأس الخيمة الوطنية

هاتف : ٢٢٨٨١١٩ / ٢٢٨١١٧٠ - فاكس: ٢٢٨١١٨٨ - ص.ب: ٤٦ - رأس الخيمة - إ.ع.م.




بربارکون
اليمن
صبارة
كاتيجارا
تابروتاني
الطرق العربية
الطرق الاندونيسية
الطرق الهندية